المسيحي يسأل

ونجيبه من القلب إلى القلب

مناقشة أهم إشكالات المسيحيين على الإسلام والاستدلال بها من كتبهم المقدسة



هاشم العطاس

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الرب الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الفصيح، وعلى سيدنا عيسى رسول الله المسيح؛ وأما بعد:

فقد كتبت هذا الكتاب كصقل وتجميع للتجربة في الحوار الذي بيننا المسلمين والمسيحيين، حيث جمعت فيه غالب المواضيع التي تدور فيما بيننا، وقد تعود الناس في الخلافات البدء بما اختلفوا عليه ولكن هذا الكتاب يبدأ بما تشابهنا فيه، ثم مناقشة ما اختلفنا فيه، فالمشتركات بين الإسلام والمسيحية عظيمة، وأهم مرتكزات تلك المشتركات هي ما يدور عليها محور الكتاب؛ والتي هي:

1- الاشتراك في النسب.
2- الاشتراك في الدين والمعتقد والعبادة.
3- الاشتراك في المنطقة والثقافة.
4- الاشتراك في الأخلاقيات والأخلاق.
5- الاشتراك في الشخصية (بين ساداتنا المسيح ومحمد عليهما السلام)

ومع ذلك تم التناقش حول مواضيع متفرقة شاملة، وفي هذا الكتاب أيضا ستكتشف بأن أكثر ما يعترض علينا فيه المسيحيون إنما هو أصلاً موجود في كتبهم، فمثلا يعترضون على حجاب المرأة بل ويسخر بعضهم علينا فيه ولا يدركون أن فرض الحجاب موجود في كتبهم المقدسة، وكذلك تعدد الزوجات ومثله عقيدة التوحيد المنافية للتثليث، وتحريم لحم الخنزير وغيرها من القضايا الكثيرة.

إن هذا الكتاب سينفع المسلم المهتم بالقضايا الحوارية، وكذلك المسيحي المهتم، وأهم انطباع أتمنى أن يصل إليه المسلم والمسيحي بعد وضوح الحق هو أخلاق الحوار الراقية، والابتعاد عن الجدال المتعصب.

والله تعالى أرجوا فهو البر الرحيم الذي يقبل على من أقبل عليه ويفرح بقرب عبده منه، أذاقنا الله برد عفوه وجمال الارتباط به سبحانه وتعالى.

الفصل الأول

الاشتراك في النسب

المسلم:

أولاً أرحب بك وأحييك على فتح باب النقاش البناء، فمهما اختلفنا يظل هدفنا واحد وقصدنا نفس القصد، فنحن المسلمون والمسيحيون نحب الله وله نخضع، فهو مقصودنا الأول في الحياة وهو منتهى الآمال، إليه تهفو قلوبنا، وله تخشع أفئدتنا، فالصادق منا مهما كانت ديانته هو الذي يقدم الله على أهوائه وشهواته، بل وعلى أحبائه، وبالتالي نقاشنا هدفه الوصول إلى الله، فلا يهمنا اسم الدين إسلام أو مسيحية وإنما يهمنا ما يرضي الله، فلو كانت مرضاته في المسيحية اتبعناها من دون تردد، ولو كانت في الإسلام لبادرنا إليه من غير تأخر، فما أن نجد الحق (في أي دين كان) فعلينا ألا نفرط فيه: "اِقْتَنِ الْحَقَّ وَلاَ تَبِعْهُ" (المزامير 23 :ـ 23)، فالإنسان حياته قصيرة، وهي حياة واحدة، فعليه أن يجتهد قليلاً لمعرفة الحقيقة، فنحن نأخذ السنين الطويلة كي نتعلم بالمدارس والجامعات، وكل ذلك التعلم من أجل بلوغ الوظائف والحصول على المرتبات، وهذا جانب محبذ غير مرفوض، ولكن أين الله من كل هذا؟ أقصد من هذا الجهد الذي نبذله من أجل الوظائف والأعمال، ألا نعطي أنفسنا قليلاً من ذلك الجهد للبحث عن الحقيقة وعن الله، أليس الله عندنا كمسلمين ومسيحيين أحب إلينا من أموال الدنيا؟

هيا لنتباحث بكل ذوق وأدب رفيع لنعرف أين هي الحقيقة، والتزام الأدب هو أمر ديننا ودينكم، قال تعالى في القرآن الكريم: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (العنكبوت 46)، وفي الكتاب المقدس: "مُحِبُّ الْمَعْصِيَةِ مُحِبُّ الْخِصَامِ." (الأمثال 17 :ـ 19) لأن "اَلْخِصَامُ إِنَّمَا يَصِيرُ بِالْكِبْرِيَاءِ" (الأمثال 13 :ـ 10) إذن بالابتعاد عن الخصام واللجاج هلم نتباحث ونتحاجج، أليس هذا ما أمر به الكتاب المقدس: "هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ يَقُولُ الرَّبُّ." (أشعياء 1 :ـ 18)؟ ولماذا يهمنا التحاجج؟ لأننا يجب أن نعرض الأدلة على صدق ما نعتقد ونبحث ونتباحث من أجل الحق كما أمر الكتاب: "اطْلُبُوا الْحَقَّ." (أشعياء 1 :ـ 17)، و"لأَنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الْحَقَّ" (المزامير 37 :ـ 28)، ولأن الإنسان "هَالِكٌ مِنْ عَدَمِ الْحَقِّ." (الأمثال 13 :23)، وهذا هو نفس ما أُمرنا به المسلمون أيضاً في القرآن العظيم: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة 111)، وحتى حينما نعود يوم القيامة للقاء الله تعالى فإن الله صاحب العدل يطلب من صاحب كل دين وفكر دليله على صدق ما يدعوا إليه: {وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ} (القصص 75).

ولذلك قبل أن يأتي ذلك اليوم العظيم يجب علينا أن نحذر حذراً شديداً جداً بالبحث العميق للوصول إلى اليقين بعد أن نمحص معتقداتنا تمحصاً صادقاً متجرداً لله، فـ"لِنَمْتَحِنْ لأَنْفُسِنَا الْحَقَّ وَنَعْرِفْ بَيْنَ أَنْفُسِنَا مَا هُوَ طَيِّبٌ." (أيوب 34 :ـ 4)، ولكن للوصول إلى الحق هناك شرط آخر إلى جانب البحث والتباحث والنقاش ألا وهو التواضع، والذي هو تاج المحبين لله، فمن اتصف بهذه الصفة وفقه الله للحق، ومن نُزعت منه هذه الصفة خذله الله: "يُدَرِّبُ الْوُدَعَاءَ فِي الْحَقِّ وَيُعَلِّمُ الْوُدَعَاءَ طُرُقَهُ." (المزامير 25 :ـ 9)، فـ"مَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعاً مَعَ إِلَهِكَ." (ميخا 6 :ـ 8)، ولنقرأ أيضاً ما سطره القرآن الكريم: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} (السجدة 15).

وبالإضافة إلى التواضع يجب أيضاً ألا تعمينا العواطف عن رؤية الحق، فـ"اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ" (إرميا 17 : 9)، ولذلك علينا ألا نعتمد على قلوبنا الخادعة وإنما عقولنا المفكرة: "اَلْمُتَّكِلُ عَلَى قَلْبِهِ هُوَ جَاهِلٌ وَالسَّالِكُ بِحِكْمَةٍ هُوَ يَنْجُو." (الأمثال 28 : 26)

وبناء على ذلك اسأل نفسك وعلي أن أسأل نفسي: هل لو ثبت لك الإسلام بأنه الدين الحق، فهل ستتبعه؟ وهل لو ثبتت المسيحية لي أيضاً فهل سأتبعها؟ إن كانت إجابتك وإجابتي نعم، فنحن حقاً صادقين.

المسيحي:

يبدو لي بأن كلا الدينين المسيحية والإسلام يدعوان إلى نفس الأخلاقيات تقريباً، فكلاهما يدعوان إلى الصدق ونبذ الكذب، وبالتالي البحث عن الحقيقة والتجرد لها، وكذلك إلى التواضع والوداعة ونبذ الكبر، وبالحقيقة إنهما أهم صفتين يجب أن يتحلى بهما كل من المسيحي الحقيقي والمسلم الحقيقي، ومن لا يتصف بهاتين الصفتين فإنه خائن لدينه.

المسلم:

بالطبع أتفق معك، كما أن الدينين الإسلام والمسيحية يتميزان بمشتركات أخرى كثيرة جداً، ولذلك فهما قريبان جداً.

المسيحي:

نعم هناك مشتركات بين الدينين، ولكن إلى أي درجة ترى بأن الإسلام قريب من المسيحية؟

المسلم:

أراهما متقاربان جداً، وذلك من عدة نواح:
أولاً: هناك علاقة نسب بينهما: فالمسيحية تنسب نفسها إلى المسيح عليه السلام والإسلام ينسب نفسه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكلاهما ساداتنا المسيح ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه جدهم واحد، وهو أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

المسيحي:

صحيح أن جد نبيكم محمد هو إبراهيم، ولكن النبوة لا تكون إلا في بني إسرائيل، ومحمد ليس من بني إسرائيل، وإنما هو من بني إسماعيل، وإسماعيل إنما هو منبوذ نبذه الله لأنه ولد نتيجة علاقة غير شرعية بين إبراهيم وجاريته هاجر، ولذلك من نتائج إسماعيل كان نبيكم ودينكم.

المسلم:

من الذي قال بأن النبوة خاصة ببني إسرائيل فقط؟ لا يوجد نص واحد من الكتاب المقدس يقول بذلك، بل إنّ الكتاب المقدس يذكر أنبياء ليسوا من بني إسرائيل مثل النبيان أيوب ويونان (أو يونس) عليهما السلام، وأما عن إسماعيل فبقراءتك للكتاب المقدس هل تعلم ماذا تعني كلمة "إسماعيل"؟

المسيحي:

لا، ولكن لا يهمني الاسم ما يهمني هو الشخص ونتائج هذا الشخص.

المسلم:

الاسم معناه "الله يسمع"، والاسم لم يسمه إبراهيم، وإنما الله الذي سماه بذلك، وبالطبع إن كان الله سماه بذلك لا بشر فَيُهِمُّنا أن نعرف الاسم: "وَقَالَ لَهَا مَلاكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ [يا هاجر] حُبْلَى فَتَلِدِينَ ابْناً وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ." (التكوين 16 : 11)

المسيحي:

ولكنه كان نتيجة زنا إبراهيم بالجارية هاجر، أما قرأت في الكتاب المقدس: "لا يَدْخُلِ ابْنُ زِنىً فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الجِيلِ العَاشِرِ لا يَدْخُل مِنْهُ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ." (التثنية 23 : 2)

المسلم:

لو كان ابن زنا الذي ليس له ذنب في تلك الخطيئة بل وأبعد عن ذلك الذنب أبناؤه وأبناء أبنائه حتى الجيل العاشر (ومع أن منهم من قد يكون تقياً وصالحاً)، ففاعل الزنا أولى لأن يُطرد من جماعة الرب (أي من أن يكون من المؤمنين)، ولكن بالطبع حاشا لإبراهيم من أن يكون خارجاً عن جماعة الرب، بل هو سيد جماعة الرب، وأبو الأنبياء عليهم السلام، وحاشاه من أن يقع في الزنا أصلاً، فاتهام إبراهيم بالزنا إنما هي تهمة خطيرة تخالف الكتاب المقدس، فهو الذي وُصِف بأنه "رَئِيسٌ مِنَ اللهِ" (التكوين 23 : 6) وهو الذي جعل الله عهده معه، وبارك له نسله، بل ووُصِف الأتقياء والصالحون بأنهم يؤخذون إلى حضن إبراهيم (لوقا 16 : 22)، وكذلك دُعِي "خليل الله" (يعقوب 2 : 23)

المسيحي:

صحيح، إن إبراهيم يمثل البر والإيمان ولا يمثل الزنا والخطيئة.

المسلم:

تعال إذن ولننظر ما الذي يعلمه الكتاب المقدس بخصوص إسماعيل، فأولاً لم يخطئ إبراهيم مع هاجر لأنها كانت زوجته: "فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ إِبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا مِنْ بَعْدِ عَشَرِ سِنِينَ لإِقَامَةِ إِبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَأَعْطَتْهَا لإِبْرَامَ رَجُلِهَا زَوْجَةً لَهُ." (التكوين 16 : 3)

وبالتالي كانت ولادة إسماعيل ولادة شرعية، ثم حتى لو كانت هاجر جارية لإبراهيم، فكيف أصبح أبناء يعقوب (إسرائيل) الاثني عشر كلهم مباركين بل شعب الله المختار؟ فستة من أولئك الأبناء ولدوا من الزوجة الأولى ليعقوب (وهي ليئة) وأما بقية الستة فإنهم مقسمين من ثلاثة أمهات، اثنان من الزوجة الثانية (راحيل) واثنان من الجارية الأولى

(بلهة) واثنان من الجارية الثانية (رفقة)، أي أن أربعة من أبناء يعقوب ولدوا من جواري! (التكوين 29 :- 31-35 / 30 :- 3-13 ـ 17-24 /- 35 :- 16-18)، وبالتالي أبناء الجارية ليسوا أبناء زنا، مع أنه كما بينت لك بأن إسماعيل لم يولد من علاقة جارية وإنما زوجة.

المسيحي:

ولكن أليست هاجر زوجة ثانية؟ ألا تُعتبر الزوجة الثانية علاقة محرمة، لأن الشرعية فقط زوجة واحدة؟

المسلم:

إذا كان أولاد الإماء والجواري ليسوا بأولاد زنا، وبالتالي علاقة الرجل بجاريته ليس بزنا، فما بالك بالزوجة الثانية؟ الزوجة الثانية تعتبر زنا في الثقافة المسيحية فقط، وإلا لدى الأنبياء الزوجة الثانية هي زوجة شرعية، ولا أريد بأن أذكرك بأن الكثير من الأنبياء تزوجوا أكثر من واحدة، بل بحسب نص الكتاب المقدس يستطيع الرجل أن يتزوج بامرأة ثانية لكن بشرط أن يعدل بين زوجاته: "إِنِ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ أُخْرَى لا يُنَقِّصُ طَعَامَهَا وَكِسْوَتَهَا وَمُعَاشَرَتَهَا." (الخروج 21 : 10)

بل إن إسماعيل أكبر من إسحاق، والابن الأكبر له ضعف الميراث والاحترام: "إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ فَوَلدَتَا لهُ بَنِينَ المَحْبُوبَةُ وَالمَكْرُوهَةُ. فَإِنْ كَانَ الاِبْنُ البِكْرُ لِلمَكْرُوهَةِ، فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لهُ لا يَحِلُّ لهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ المَحْبُوبَةِ بِكْراً عَلى ابْنِ المَكْرُوهَةِ البِكْرِ، بَل يَعْرِفُ ابْنَ المَكْرُوهَةِ بِكْراً لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لهُ حَقُّ البَكُورِيَّةِ." (التثنية 21 : 15-17)

المسيحي:

صحيح أن الابن البكر له الضعف من البركات، ولكن إسماعيل لم يُباركه الله، وإنما على عكس ذلك وصفه الله بأنه "يَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَيَدُ كُلٍّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ." (التكوين 16 :- 12)، فبالتالي هو شخص كله مشاكل ألا ترى من نتائجه ما يحصل في فلسطين بين أبنائه العرب واليهود؟

المسلم:

يجب أولاً أن نفصل بين أحداث تاريخية حاصلة في وقت معين وبين الطابع العام على وجه التاريخ، فقضية فلسطين اليوم إنما هي نتيجة أن تأتي السلطات الإسرائيلية لتهدم بيت أسرة فلسطينية تتكون من أب وأم وجد وجدة وأطفال بحجة أنه قبل ثلاثة آلاف عام عاش بعض أجداد اليهود لمدة تقارب الأربعمائة عام في تلك المنطقة، إنه ضرب من الجنون، فأولاً قبل أن يأتي أجداد اليهود إلى تلك المنطقة هي كانت قبلهم فلسطينية.

ثانياً قد مضى على الموضوع آلاف السنين، لنر كيف سيكون حال العالم لو أن كل أسرة اليوم ستراجع جغرافية وجود أجدادها وبالتالي ستحتل كل منطقة سكن بها أجدادهم؟ ما الذي تتوقع أن يحصل لدول مثل أمريكا وكندا وأستراليا إذا انتفض سكانها الأصليين ونادوا برجوع أرض الأجداد؟ ما الذي تتوقع أن يحصل لبعض الدول الأوروبية التي انتقل

أجدادهم من هنا وهناك كالفنداليين والفيسيغوثيين والفايكنغ؟ ما الذي سيحصل لو أن الهنود أرادوا طرد الآريين باعتبار أن أصولهم إيرانية أو أن الإيرانيين طردوا معظم شعبهم لأن أصولهم أوروبية؟ وهكذا كل جغرافية وكل بقعة في الأرض؟ ثم إذا كان اليهود يطالبون بفلسطين باعتبار أن أجدادهم سكنوها وحكموها ألا يحق للفلسطينيين أن يطردوا اليهود باعتبار أن أجدادهم الكنعانيين سكنوها قبل أن يحتلها عليهم أجداد اليهود؟

في الحقيقة إن ما يدور في فلسطين ليس حرباً بين الإسماعيليين والإسرائيليين أو بين إسلام ويهودية، وإنما هو حرب من ظلم الصهاينة المحتلين (وليس كل اليهود صهاينة) وبين أبناء الكنعانيين (الذين هم ولله الحمد مسلمون ومنهم مسيحيون) والذين يعانون من الاضطهاد والطرد والإقصاء، يجب أن نضع الأمور في نصابها، وقد صرّح الحبر اليهودي الأمريكي الشهير توفيا سينغر بأن الحرب في فلسطين حرب سياسية حالية، وإلا بحسب كلامه بأن اليهود عاشوا في ظل المسلمين قرون طويلة من التسامح والاحترام المتبادل، وضرب مثال الأندلس، بل وكيف دافع بعض المسلمين عن اليهود أيام مذابح هتلر لليهود.

المسيحي:

صحيح يجب أن نفصل بين ما يحصل من فساد سياسي وبين ما يدعوا إليه الدين، وألا نعمم من حادثة تاريخية أو ما يحصل في وقت معين، ولكن ما رأيك في النص الذي ذكرته لك عن إسماعيل؟

المسلم:

إن وصف إسماعيل بأنه يكون إنساناً وحشياً تدل على أن أبناءه سيكونون أبناء صحراء، وهذا فعلاً ما كان عليه العرب لقرون طويلة، وأما أن يكون يده على الجميع ويدهم عليه فقد شرحها المفسر المسيحي آدم كلارك بأنه وعد إلهي لحماية العرب من احتلال الأمم والدول الكبرى (والتي كما صرّح بأنه قد تحصل احتلالات لكنها مؤقتة ليس من بينها سيطرة تامة أو احتلال دائم)، وأن هذا الوعد الإلهي استمر بحسب كلامه على مدى أربعة آلاف عام، أي أنها بشارة لإسماعيل من الله وليست لعنة أو سخط، ويثبت كلام هذا المفسر المسيحي أن هذا النص جاء بعد بشارة الملاك لهاجر مباشرة، وهو يعزيها ويسليها ويريد التخفيف وإدخال السرور عليها بالوعد بإسماعيل (الله يسمع).

المسيحي:

ولكن أليست سارة قامت بطرد هاجر وأيدها الله على ذلك؟ وبالتالي ألا يدل ذلك على نبذ الله لهاجر؟

المسلم:

على العكس من ذلك تماماً، لقد طردت سارة هاجر بحسب الكتاب المقدس لأن إسماعيل ضرب إسحاق وهما لا يزالان أطفالاً صغاراً (وهي أصلا تنبئ عن وجود غيرة مبطنة)، فهل من رأيك أنه لو وقع بين ابنك الطفل الصغير وابن أخيك الطفل الصغير أيضاً عراكاً فهل هذا يعني أنك ستغضب من أخيك وتحصل بينكم مقاطعة؟ لاشك بأن هذا يحدث بين صغار العقل، وبالطبع لن يغضب الله لأسباب صبيانية، ولو كان الله قد غضب من هاجر لما أرسل لها ملاكاً يعزيها ويسليها ويخفف عليها، وإنما رضي الله بأن تخرج هاجر لأنها كانت خطة إلهية، وذلك حتى يخرج نسل إبراهيم في

أرض العرب، والتي منها يحافظون على إرث جدهم إسماعيل مكة والبيت الحرام (أي البيت المقدس) ويصبحوا أمة عظيمة مؤمنة بإرسال نبي كريم من نسل إسماعيل، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

المسيحي:

نعم ليس الله تابعاً للمشاكل الصبيانية، وبما أن الله أرسل لهاجر الملاك بل وأنقذها وأفاض عليها الماء وبشرها بإسماعيل، فلابد أنها كانت خطة قد خططها الله، ولكن أحتاج لأدلة أقوى من تلك، فأمور الإيمان يجب أن تكون بأدلة قوية، فمثلاً أرضكم المقدسة مكة ليس لها ذكر في الكتاب المقدس.

المسلم:

كلامك صحيح، فلم نتناقش إلا لنثبت بالأدلة، فمكة التي سألت عنها موجودة في الكتاب المقدس، وقد وردت بالاسم القديم لمكة وهو بكة، أمامنا اليوم مثلاً مدينة في الهند اسمها مومباي وقبل أعوام قليلة كان اسمها بومباي، وعن مكة نجد بأن العرب أيضاً سموها بكة كما هو واضح من هذه الآيات القرآنية الكريمة: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)} (آل عمران 96-97)

هذه المدينة بكة (مكة) تحدث عنها النبي داود في مزاميره، حيث أولاً نرى شوق داود لجميع بيوت الله: "مَزْمُورٌ مَا أَحْلَى مَسَاكِنَكَ يَا رَبَّ الْجُنُودِ. تَشْتَاقُ بَلْ تَتُوقُ نَفْسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ. قَلْبِي وَلَحْمِي يَهْتِفَانِ بِالإِلَهِ الْحَيِّ." (المزامير 84 : 1-2)

ثم يحن إلى بيت من تلك البيوت فيقول: "طُوبَى لِلسَّاكِنِينَ فِي بَيْتِكَ أَبَداً يُسَبِّحُونَكَ. سِلاَهْ. طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ. عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعاً. أَيْضاً بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ." (المزامير 84 : 4-6)

هذا النص الذي أمامك إنما هو نسخة عربية والمعروفة باسم نسخة الفانديك، وفي هذه النسخة تم طمس الكثير من الألفاظ الهامة، فلو فتحنا نسخة إنجليزية وهي النسخة العالمية الحديثة (New International Version) (أو نسخة الملك جيمس (King James Version)) لوجدناها تذكر بدلاً من "وادي البكاء" بأنها "وادي بكة" (the valley of Baca)، ولوجدنا أيضاً النص الذي يسبقه يقرأ هكذا في النسخة العالمية الحديثة (الإنجليزية): "طوبى لأناس عزهم بك، الذين وضعوا قلوبهم على الحج." (Blessed are those whose strength is in you, who have set their hearts on pilgrimage".)

لم يذكر الكتاب المقدس شيئاً عن تاريخ هذا الحج إلى بيت الله الذي في بكة، والذي به ينبوع أو بئر، فتاريخ ذلك تجده عند المسلمين، والذين فعلاً لديهم حج إلى بيت الله في بكة، وهو البيت الذي بناه إبراهيم مع ابنه إسماعيل، والذي به بئر شهير هو بئر زمزم.

المسيحي:

ولكن كيف يكون إبراهيم قد بنى الكعبة وهي وثنية، فهل يُعقل أن إبراهيم هو من دعا إلى عبادة الكعبة، ألا يسجد المسلمون إلى الكعبة ويطوفون حولها ويقبلونها؟

المسلم:

قد ذكرت لك في نص المزامير 84 :ـ 4-6 (والذي يذكر الحج إلى مكة)، ففي مكة توجد الكعبة، وهذه الكعبة بالنسبة لبني إسماعيل وللمسلمين مثل تابوت العهد لبني إسرائيل (والذي يسمى أيضا تابوت الشهادة)، فالمسلمون لا يعبدون الكعبة كما أن بني إسرائيل لم يعبدوا تابوت العهد.

فنحن لا نسجد للكعبة وإنما نسجد لله، والكعبة مجرد اتجاه السجود، أي قبلة، وكأنها نقطة اتجاه البوصلة التي يتوجه إلى جهتها المسلمون في صلاتهم، ومثلها كان تابوت العهد بالنسبة لبني إسرائيل.

حيث صنع نبي الله موسى تابوتاً بأمر الله وعمل خيمة الاجتماع؛ فأمر الله موسى: "تُقِيمُ مَسْكَنَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَتَضَعُ فِيهِ تَابُوتَ الشَّهَادَةِ" (الخروج 40 :ـ 2-3)، "فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَطْلُبُ الرَّبَّ يَخْرُجُ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ الَّتِي خَارِجَ الْمَحَلَّةِ." (الخروج 33 :ـ 7)، وعبر تابوت العهد كان الله يكلم موسى (العدد 7 :ـ 89)، وكان بنو إسرائيل يقدمون ذبائحهم أمام التابوت (اللاويين 4 :ـ 18)، بل من لم يُقدم ذبائحه هناك فإنه يُقتل (اللاويين 17 :ـ 3-4)، وإذا اجتمعت جيوش بني إسرائيل فإنهم يجتمعون "قُبَالَةَ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ حَوْلَهَا يَنْزِلُونَ." (العدد 2 :ـ 2)، وقد كانوا يسجدون باتجاهها:"فَأَتَى مُوسَى وَهَارُونُ مِنْ أَمَامِ الجَمَاعَةِ إِلى بَابِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ وَسَقَطَا عَلى وَجْهَيْهِمَا. فَتَرَاءَى لهُمَا مَجْدُ الرَّبِّ." (العدد 20 : 6)

وفي زمن سيدنا داود أيضاً بنى خيمة حول التابوت (1 أخبار الأيام 15 : 1) وباتجاهها كان داود يصلي (1 أخبار الأيام 17 : 16)، وحينما جاء النبي سليمان بنى الهيكل (أي المعبد) في أورشليم ووضع تابوت عهد الرب فيها (1 الملوك 8 : 1-6)، وبالتالي أصبحوا يصلون في هذا البيت وقبلتهم بالطبع التابوت (1 الملوك 8 :ـ 42)، وأما الذين يصلون خارج الهيكل فإن الهيكل هو قبلتهم: "وَصَلَّوا وَتَضَرَّعُوا إِلَيْكَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ" (1 الملوك 8 : 33)، وأما من هم خارج أورشليم فإنهم يصلون باتجاه أورشليم، كما فعل النبي دانيال حيث "ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ وَكُوَاهُ مَفْتُوحَةٌ فِي عُلِّيَّتِهِ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَصَلَّى وَحَمَدَ قُدَّامَ إِلَهِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ قَبْلَ ذَلِكَ." (دانيال 6 : 10)

ومثل تابوت العهد يتجه المسلمون الذين هم داخل المسجد الحرام نحو الكعبة في صلاتهم، ولمن هم خارج المسجد يتجهون نحو المسجد، ومن هم خارج مكة يتجهون نحو مكة، فليست الكعبة ولا تابوت العهد مقصودين للعبادة، وإنما المقصود هو الله، وإنما الكعبة والتابوت اتجاهات للعبادة.

وأما التقبيل فليس كل تقبيل هو عبادة للشيء كما هو معلوم، فهل حينما يقبل شخص يد والديه احتراماً لهما يُعد ذلك عبادة لهما؟ وهل حينما تقبل الأم ابنها رحمة له يعد ذلك من العبادة؟ العبادة تكون بنية عبادة الشيء، وطالما أن المسلمين لا ينوون العبادة إلا لله وحده فلا يعد ذلك التقبيل من قبيل العبادة للكعبة، وإنما تقبيل محبة واحترام، وأما تقبيل الوثنيين لأصنامهم فإنما هو تقبيل عبادة، ذلك لأنهم يؤمنون بأن تلك الأصنام إنما هي آلهة، ويقبلونها بنية العبادة لها.

وأما الطواف حولها فإن الكعبة كما بينت بأنها مركز عبادة لله، فهي القِبلة والاتجاه، وبالتالي فإن الطواف والدوران من أجل الله تعالى يجب أن يكون لذلك الطواف مركزاً، إن الطواف يُعدُّ أسلوب التعبد الكوني لله، فأنت ترى بأن كواكب المجموعة الشمسية تدور حول مركزها وهو الشمس، والقمر يدور حول الأرض، وشمسنا يدور حول مركز المجرة، ثم حتى على المستوى الذري فإن الإلكترونات داخل الذرة تدور حول مركز الذرة (والتي تتكون من بروتونات ونيترونات)، وكل تلك الدورانات أو الطوافات إنما تكون عكس عقارب الساعة، وهذا بالضبط ما يعمله المسلمون في طوافهم تقديساً وتعظيماً لله.

المسيحي:

هل توجد أي إشارة من الكتاب المقدس بأي وعد لإسماعيل غير الذي ذكرته؟

المسلم:

نعم، اقرأ هذا النص مثلاً والذي فيه يقول الملاك لهاجر عن ابنها إسماعيل: "قُومِي احْمِلِي الْغُلاَمَ وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً." (التكوين 21 :- 18)، والمقصود هنا أن أبناء إسماعيل سيكونون أمة عظيمة، والعظمة عند الله ليست بالمباني والأموال، وإنما العظمة عند الله تكون بالإيمان، فهو وعد ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذي به أصبح بنو إسماعيل أمة مؤمنة بالله بعد أن سقطوا في عبادة الأصنام ونسوا الله، فجاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليرجعهم إلى دين جدهم إبراهيم عليه السلام.

المسيحي:

صحيح أن أمة إسماعيل قد وُعِد بها في الكتاب المقدس، ماذا عن نبيكم؟ أسمع دائما من المسلمين بأن نبيكم مذكور في الكتاب المقدس، هل هذا صحيح؟ أين ذلك؟

المسلم:

الحقيقة هي أن البشارة بأمة إسماعيل المؤمنة تُعدُّ بشارة كافية بمبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فالكتاب المقدس كثيراً ما يتنبأ بأحداث كبيرة ستقع، ويكتفي بالإشارة إليها دون ذكر تفاصيلها، وهكذا حينما أصبحت أمة إسماعيل مؤمنة من الذي جعلها كذلك؟ إنه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والذي يؤمن به اليوم خُمس سكان الكرة الأرضية.

ولا شك بأن حجماً هائلاً من هذه الأمة المؤمنة على يد هذا النبي الإسماعيلي الإبراهيمي سيجعل الكتاب المقدس ليذكر بعض تلك الملامح مع إشارات وربما تفصيلات أخرى هنا وهناك.

إن الواقع يبين بأن الله تعالى استبدل الإسماعيليين مكان الإسرائيليين، وهذا ما نجد عليه إشارات في الكتاب المقدس حيث بيّن الكتاب المقدس في النصوص التالية بأن الله سيتوقف من اعتبار بني إسرائيل أمته ثم سيستبدل بهم أمة أخرى:

- "إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَرَائِضُ تَزُولُ مِنْ أَمَامِي يَقُولُ الرَّبُّ فَإِنَّ نَسْلَ إِسْرَائِيلَ أَيْضاً يَكُفُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ أُمَّةً أَمَامِي كُلَّ الأَيَّامِ." (إرميا 31 : 36)

- "هُمْ أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهاً أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْباً بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ." (التثنية 32 : 21)
(وبالطبع من هي الأمة التي ليست بشعب؟ أليس بنو إسماعيل الذين وعد الله بأن إسماعيل سيكون إنساناً وحشياً وقد كان العرب قبائل متناحرة متفرقة، ولم يكن عليهم ملك يحكمهم ويوحدهم؟ ألم يكن العرب كما نسميهم بالجاهلية أي الجهل وعدم العلم والذي يوضح معنى قوله: "أمة غبية"؟)
- "لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ." (متى 21 : 43)
(إذا نُزِع ملكوت الله من بني إسرائيل فمن هي الأمة البديلة؟ ألم يعد الله أمة إسماعيل بأنها ستكون أمة عظيمة؟ متى ذلك؟ بعد أن يُنزع ملكوت الله من بني إسرائيل ويعطى لهم)
- "لأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلَى شَفَةٍ نَقِيَّةٍ، لِيَدْعُوا كُلُّهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، لِيَعْبُدُوهُ بِكَتِفٍ وَاحِدَةٍ" (صفنيا 3 : 9)
(كلمة "شفة" تعني لغة، وكلمة "نقية" تعني صافية، وكما هو معلوم بأن اللغة العربية لها قرب باللغة العبرية، وهي لغة صافية، وهذا النص يبين بأن الأمم سيتم توحيدها تحت لغة واحدة، لأن أمة الإسماعيليين تمثلهم، وكل عبادات المسلمين باسم الرب، وطريقة صلاتهم يقفون صفوفاً أكتافهم إلى بعض)

المسيحي:

صحيح بأن أمة إسماعيل باركها الله، ولكننا نؤمن بأن الأمة البديلة عن الإسرائيليين هي الأمة المسيحية.

المسلم:

أولاً: ما هي الأمة التي جاء منها المسيح والتي يُنسب إليها؟ بالطبع بنو إسرائيل أنفسهم، ومن هذه الأمة التي جاء منها يخبرها بأنه ستؤخذ منهم وتعطى لأمة أخرى.

ثانياً: الكلمة اليونانية المستخدمة مكان كلمة "أمة" هي ἔθνος (إثنوس)، وهي الكلمة التي جاء منها مصطلح الإثنية في العربية أي العرقية، وجاءت منها أيضاً في الإنجليزية كلمة "ethnicity"، والتي تحمل نفس المعنى، والتي بالطبع لا يقصد بالكلمة اليونانية أمة دينية، وإنما أمة عرقية إثنية، وذلك مثل هذا النص: "بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ." (الأعمال 10 : 35)، وكما هو معلوم بأن المسيحية تعتبر ديانة يتبعها عدة أمم إثنية (أي عرقية)، بينما المسيح صرّح بأنها أمة إثنية واحدة (وليست مجموعة أمم إثنية) هي التي ستُعطى، وبالتالي فالمسيحية ليست هي المقصودة.

ثالثاً: لا يمكن أن تكون الأمة التي يتحدث عنها هي الأمة المسيحية باعتبار أن رأسها (أي المسيح وكذلك تلامذته) من بني إسرائيل، أي أن الأمة الشعوبية الإثنية الممثلة للمسيحية هم بنو إسرائيل، فكيف تؤخذ من الإسرائيليين وتعطى لأمة غيرهم؟ هل تؤخذ من المسيح وتلامذته الذين هم من بني إسرائيل لتعطى لأمة غيرهم؟

المسيحي:

ولماذا لا يكون المقصود به أمة الروم؟ فقد عاش المسيح تحت ظل حكمهم، وكُتِب العهد الجديد باللغة اليونانية، بل كان بولس مع أنه يهودي الأصل إلا أنه رومي الجنسية، كما أن الكنائس المسيحية الأولى بعد زمن المسيح وتلامذته كانت في المناطق المختلفة من تلك الأمة.

المسلم:

أولاً: قوله في التثنية 32 :ـ 21 : "فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْباً بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ" تدل على أنها أمة غير الروم، فالروم كانوا دولة متحدة قوية، وكانت حضارة في ذلك الوقت، وإنما ينطبق وصف النص على بني إسماعيل.

ثانياً: لا توجد في العهد القديم إشارة إلى تسلم الروم للملكوت، وإنما الإسماعيليون كما رأينا.

ثالثاً: قوله في صفنيا 3 :ـ 9 : "لأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلَى شَفَةٍ نَقِيَّةٍ" يشير إلى اللغة العربية، فما هي اللغة التي بالنسبة للعبرية تعتبر أنقى منها؟ إنها العربية (فكلا اللغتان تعتبران من اللغات السامية)، ولذلك نقرأ في الموسوعة الكاثوليكية (*Catholic Encyclopedia*) ط 1911، تحت عنوان "الساميون" (Semites):

"أيضاً شكل اللغة السامية موجودة طبيعةً في العربية، ففيها المقاطع اللفظية وجزئياً البناء النحوي أيضاً للغة السامية نجدها أكثر صفاءاً كما أن الكلمات محفوظة فيها بشكل شبه كامل. فلهذه الأسباب بالإضافة إلى أسباب أخرى نستنتج بأنه يجب أن تعتبر العربية البيت الأصلي للشعوب السامية."

“Physically, also, the Semitic form it is found in Arabia. Here also the phonetics and partly also the grammatical structure of the Semitic language, are most purely, as the vocabulary is most completely, preserved. From these as well as from other circumstances the conclusion has been drawn that Arabia should be considered the original home of the Semitic peoples.”

ولاحظ كيف وصفت الموسوعة بأن اللغة العربية هي أصفى اللغات السامية، ألا ينطبق هذا على النبوءة التي بينت بأن الأمم والشعوب سوف تجتمع تحت لغة صافية؟ ألا تجتمع شعوب الأرض المسلمة ليصلوا باللغة العربية (أي الصلوات الخمس المفروضة) وبالتالي اجتمعت تحت لغة واحدة؟

المسيحي:

هل هناك إشارة إلى نبيكم محمد في الكتاب المقدس؟ هل هناك أي ذكر لشخصه؟

المسلم:

نعم، إليك هذا النص يتحدث عن منطقته ودعوته وهجرته وقبيلته وأول معركة له:

"(13) وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ. (14) هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ. (15) فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ. (16) فَإِنَّهُ هَكَذَا قَالَ لِي السَّيِّدُ: «فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ (17) وَبَقِيَّةُ عَدَدِ قِسِيِّ أَبْطَالِ بَنِي قِيدَارَ تَقِلُّ لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ»." (أشعياء 21 : 13-17)

فهذا النص يصرّح بالمنطقة العربية، ثم يذكر قوافل الددانيين، وكلمة قوافل تدل على رحلة سفر تجارية، والددانيين هم في سوريا، وأهلها كانوا مسيحيين أيام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأما تيماء فهي مدينة تقع شمال الجزيرة

العربية، وكان أهلها يهوداً، وقد كانت قوافل التجارة أيام النبي صلى الله عليه وسلم تمشي من مكة إلى دمشق مروراً بتيماء، يقول المفسران كيل ودلزتش في تفسيرهما على العهد القديم على نص أشعياء 21 :- 14، وهما يوضحان تيماء بقولهما:

"ولكن تيماء في طريق الحج من دمشق إلى مكة، [تقع] بين تبوك ووادي القرى"
“but the Tema on the pilgrim road from Damascus to Mecca, between Tebuk and Wadi el-Kora” (Kiel and Delitzsch Commentary on the Old Testament)

فالنص كما هو واضح يطالب المسيحيين واليهود بمساعدة أولئك الهاربين من أمام السيف والقوس المشدودة، أي المهاجرين الذين هربوا من الاضطهاد، فكما نعلم بأن المسلمين كانوا مضطهدين من أهل مكة، ثم هاجروا إلى المدينة المنورة، ثم بعدها بسنة أقيمت معركة بدر الكبرى، وعن ذلك نجد النص يقول: "فَإِنَّهُ هكَذَا قَالَ لِي السَّيِّدُ: «فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ"، وقيدار لمن لا يعرفه هو الابن الثاني لإسماعيل: "وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ: نَبَايُوتُ بِكْرُ إِسْمَاعِيلَ وَقِيدَارُ وَأَدَبْئِيلُ وَمِبْسَامُ" (التكوين 25 : 13)

وقيدار هو جد قبيلة قريش، التي هي قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر النص بأنه يفنى مجد قيدار، بعد الهجرة بسنة، وهو ما حصل بهزيمة قريش في معركة بدر وانتصار المسلمين عليهم.

وإليك نصاً آخر يشير إلى ذات شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وهو النص القائل: "هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي." (أشعياء 42 : 1)

المسيحي:

لا إن المقصود بنص أشعياء 42 : 1 هو المسيح وليس محمد، فهو نص شهير نؤمن كمسيحيين بأنه يذكر المسيح.

المسلم:

النص يشير إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدليل أن الآية 11 التي جاءت في سياق النص تذكر قيدار: "لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ."، وكما ذكرت آنفاً بأن قيدار هو الابن الثاني لإسماعيل، وهو جد قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم، والتي هي قبيلة قريش.

بل ويذكر النص مكان هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي المدينة المنورة، والتي بها جبل سلع المشهور، بالإضافة إلى ذكرهم بأنهم يترنمون، وهو بالفعل ما عملوه حينما هاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم، ورنموا له: "طلع البدر علينا . . ." إلى آخر الأبيات، والنص هو: "لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ." (أشعياء 42 : 11)

وكذلك ورد في السياق هذا النص: "أَنَا الرَّبُّ هذَا اسْمِي وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ وَلاَ تَسْبِيحِي لِلْمَنْحُوتَاتِ." (أشعياء 42 : 8)، وهي إشارة إلى أن مجيء هذا العبد المختار إنما يكون لأمة تعبد الأصنام بينما لم يبعث المسيح لعابدي الأوثان، وإنما إلى بني إسرائيل، وأما النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعث إلى قوم يعبدون الأصنام.

إضافة إلى ما سبق إليك نقطة رابعة تشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتنافي ما قام به المسيح، وهو إقامة الحروب على الأعداء، والذي يشير إليه هذا النص: "الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ." (أشعياء 42 : 13)

بل وأيضاً وصف بأنه صاحب شريعة ولم يكن المسيح صاحب شريعة بل اتبع شريعة موسى، وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد امتاز بالشريعة الغراء؛ ولذلك نقرأ: "وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ" (أشعياء 42 : 4)

إذن النص يذكر خمسة علامات تنطبق على النبي صلى الله عليه وسلم: قيدار (أهل مكة)، وسكان سالع (أهل المدينة المنورة)، ودعوة هذا المختار الوثنيين، وقيامه بالحرب على الأعداء، وأن له شريعة، وبالتالي من الواضح أن الموصوف هو سيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإليك سياق النص:

"1 هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. 2 لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. 3 قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. 4 لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ. 5 هَكَذَا يَقُولُ اللَّهُ الرَّبُّ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحاً. 6 أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ وَنُوراً لِلأُمَمِ 7 لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ. 8 أَنَا الرَّبُّ هَذَا اسْمِي وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ وَلاَ تَسْبِيحِي لِلْمَنْحُوتَاتِ. 9 هُوَذَا الأَوَّلِيَّاتُ قَدْ أَتَتْ وَالْحَدِيثَاتُ أَنَا مُخْبِرٌ بِهَا. قَبْلَ أَنْ تَنْبُتَ أُعْلِمُكُمْ بِهَا. 10 غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ. أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا 11 لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا. 12 لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْداً وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ. 13 الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ." (أشعياء 42 : 1-13)

الفصل الثاني

الاشتراك في الدين والمعتقد والعبادة

المسيحي:

قلت بأن الإسلام والمسيحية متقاربان، وأن من ذلك التقارب هو أن المسيح ومحمداً كلاهما من نسل إبراهيم، وماذا غير ذلك؟

المسلم:

نعم، هناك تقريباً خمسة نقاط رئيسية يشترك فيها الإسلام والمسيحية، فكما قلتُ بأن أولها: الاشتراك في نسب إبراهيم، والنقطة الثانية هي الاشتراك في الدين والعقيدة المتعلقة بالله وفي العبادة، فالقرآن والكتاب المقدس كلاهما يركزان على توحيد الله تعالى، فالمسيح يقول: "إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ." (مرقس 12 : 29)، وهذا النص إنما اقتبسه المسيح من كلام موسى (التثنية 6:- 4) ليؤكد على أنه يتبع نفس المعتقد، وعلى نفس المنوال يعلّم الإسلام توحيد الله تعالى وعدم عبادة غيره: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} (البقرة 163)، وإلى جانب الإيمان بالله وتوحيده آمن ساداتنا المسيح ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه بالملائكة والأنبياء.

وإذا كانت معتقداتهم متشابهة فإن صلواتهم كانت أيضاً متشابهة، حيث تميزت عبادتهما بالسجود، فإذا كان المسلم قد اعتاد على السجود في صلواته فإن المسيح أيضاً كان محباً للسجود لما فيها من الخضوع والقرب العميق من الله عز وجل: "ثُمَّ تَقَدَّمَ [يسوع] قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَكَانَ يُصَلِّي" (متى 26 :- 39)، بالإضافة إلى اهتمام المسلمين البالغ بالصلاة فتجدهم يحافظون على خمسة صلوات يومياً على الأقل (إضافة إلى صلوات أخرى مع أنها ليست بواجبة إلا أنها مرغوبة كالصلوات المسنونة وقيام الليل)، بل وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يهرع للصلاة في كل وقت، ودائماً يحافظ على قيام الليل (أي صلاة الليل، وهي الاستمرار في الصلاة في آخر الليل مختلياً بالله حبيبه والناس نيام)، وهكذا كان المسيح دائم الصلاة ومحباً للاختلاء بربه: "وَبَعْدَمَا صَرَفَ الْجُمُوعَ صَعِدَ [يسوع] إِلَى الْجَبَلِ مُنْفَرِداً لِيُصَلِّيَ." (متى 14 :- 23) بل "وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ لِلَّهِ." (لوقا 6 :- 12)، وهكذا كانا المكرّمين المسيح ومحمد محبّان بل عاشقان للصلاة لله، إنما هي محبة قلبية من أعماق كيانهم نحو الإله العظيم خالقنا، لقد كانت الصلاة لذتهم وحياتهم، ولذلك كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: "جعلت قرة عين لي في الصلاة"، تقول سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ." (رواه مسلم) (أي أنه يذكر الله سبحانه وتعالى في كل وقته، فهذا حال المحب مع حبيبه)، وقال المغيرة بن شعبة: "قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ، قَالُوا: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»." (رواه البخاري)

لقد كانت أرواحهم سامية تستلذ بالاتصال بمولاها وبارئها، وتذوب في حبه والشوق إليه، ومن شدة اندماجهم في حب الله لم تهمهم أموال الدنيا ولا ذهبها، لذلك كان المسيح يقول عن نفسه: "لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ." (متى 8 :- 20)، وهكذا كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع أنه كان يعيش مع أتباعه أعظم من ملوك الدنيا (بسبب شدة محبتهم له وتعظيمهم له) إلا أنه لم يدخر لنفسه مالاً بل كان ينفق كل ما عنده على الفقراء والمحتاجين، ويبقى هو جائعاً يربط الحجر على بطنه من الجوع، حيث تمر عليه الليالي وهو جائع.

المسيحي:

صحيح أن المفهوم العام للتوحيد بمعنى عبادة إله واحد، الذي هو الله، نشترك فيه نحن وإياكم ولكنكم لا تؤمنون بالتثليث مثلنا نحن واليهود، وهي العقيدة التي تصرح بأن الله واحد، ولكنه عبارة عن ثلاثة أقانيم (أو شخصيات)، وأما أنتم فلا تؤمنون بالثالوث الأقدس، وإذا كان كذلك فكيف تقول بأن عقيدتنا وعقيدتكم واحدة؟

المسلم:

اليهود لا يؤمنون بالتثليث، ولا حتى أنبياء اليهود علّموا التثليث، فإيمان اليهود وأنبيائهم إنما هو نفس إيمان المسلمين، والذي هو الاعتقاد بأن هناك إله واحد بالمعنى الواضح والصريح لكلمة "واحد"، تخيل لو قلت لك بأنه لدي صديق واحد فقط، ثم أتيت لك بثلاثة أشخاص، وقلت لك بأن كل واحد من هؤلاء الثلاثة صديقي، ولكنهم ثلاثتهم عبارة عن صديق واحد فقط، لاشك بأنك ستتهمني بالتلاعب بالألفاظ، فإن قلت لك لدي صديق واحد فإنك ستفهم كلامي على أنه شخص واحد، رجل واحد، إنسان واحد، صديق واحد، وهكذا اليهود وكل أنبياء الله عبدوا إلهاً واحداً، بمعنى واحد فقط، وهكذا نحن المسلمون مثلهم، إننا واليهود نعتبر فريقاً واحداً فيما يتعلق بمفهوم الإله الواحد، ولذلك تقول موسوعة اللاهوت المسيحي (Encyclopedia of Christian Theology) تحرير: Jean-Yves Lacoste تحت موضوع: "التثليث" (Trinity) ص 1606، ط 1999، طبعة Routledge:

"إنها [أي عقيدة التثليث] تميز المسيحية عن الدينين التوحيديين العظيمين: اليهودية والإسلام".
“It distinguishes Christianity from the two great monotheistic religions, Judaism and Islam.”

وإليك بعض نصوص التوحيد في العهد القديم، والتي تبين لك بأنهم لم يؤمنوا أصلاً بالتثليث، فليس فيها كلمة ثلاثة بتاتاً:

- "أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلَهَ سِوَايَ. نَطَّقْتُكَ وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْنِي. لِيَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ." (أشعياء 45 : 5-6)
- "أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ." (أشعياء 45 : 22)
- "لِيَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الأَرْضِ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ." (1 الملوك 8 : 60)
- "لا يَكُنْ لكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي." (الخروج 20 :- 3 / التثنية 5 :- 7) (وهذا النص عبارة عن الوصية الأولى من الوصايا العشر)
- "إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ." (التثنية 6 :- 4) (وهذا النص يسميه اليهود بنص الـ"شيما" أي بالعبرية "اسمع"، والتي هي أول كلمة في النص)

وبسبب هذه النصوص الواضحة وغيرها والتي تبين بأن الله واحد بشكل قاطع وواضح (وليس ثلاثة ولا عشرة في واحد) يرفض اليهود لأن يسلّموا بالتثليث، وإضافة لرفضهم لعقيدة التثليث وإدراكهم لنقضها لعقيدة التوحيد النبوية ينكر اليهود (ومعهم المسلمون) أن يكون الله إنساناً، فعقيدة التجسد إنما هي خاصة بالمسيحية وتناقض عقيدة الأنبياء التوحيدية:

- "لَيْسَ اللهُ إِنْسَاناً فَيَكْذِبَ وَلا ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ" (العدد 23 : 19)
- "وَأَيْضاً نَصِيحُ إِسْرَائِيلَ لاَ يَكْذِبُ وَلاَ يَنْدَمُ لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَاناً لِيَنْدَمَ" (1 صموئيل 15 : 29)

- "لأَنِّي اللَّهُ لاَ إِنْسَان" (هوشع 11 : 9)
- "لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ" (ملاخي 3 : 6)

ولذلك يرى اليهود بأن المسيحية عبارة عن "عَبُودَه زَرَه" أي عبادة وثنية، وذلك بسبب عبادة الإنسان؛ فأشهر العلماء اليهود على الإطلاق هو الحبر موسى بن ميمون (Maimonides) الملقب بـ"رامبام" (عاش في القرن الثاني عشر الميلادي)، والذي يقول في تفسيره على المشنا (عبوده زره 1 : 3):

"اعلم بأن هذه الأمة المسيحية والذين ينادون في دعواهم بمسيح إله/إنسان إنما هم كلهم عبدة وثن، والاحتفال بأعيادهم محرم، وبالنسبة للأمور الدينية فإننا نتعامل معهم كما نتعامل مع الوثنيين."
"Know that this Christian nation, who proclaim their claim of a divine/human messiah, are all idol worshippers and (celebrating) their holidays is forbidden, and regarding religious issues as we deal with them as we would with pagans." (Maimonides interpretation of the Mishnah, tractate Avoda Zara 1:3)

بينما نفس هذا الحبر (أي موسى بن ميمون) قال في المسلمين (في رسالته إلى عوبديا "Letter to Obadiah the Proselyte"):

"هؤلاء الإسماعيليون على الأقل ليسوا بعُبَّاد وثن، [فالوثنية] لها وقت طويل منذ أن انقطعت عن أفواههم وقلوبهم، فهم يعبدون إلهاً واحداً بالطريقة المناسبة من دون أي شائبة." ويضيف الحبر قوله: "وبما أنهم موحدون بتوحيد صاف فإنهم لا يحتاجون لأن يدخلوا في اليهودية."

وقوله: "لا يحتاجون لأن يدخلوا في اليهودية." أي أنه يرى بأن إسلامهم كاف لنجاتهم وخلاصهم، فاليهود يؤمنون بأن اليهودية خاصة ببني إسرائيل، وأنهم شعب الله المختار، وماذا عن الأمم الأخرى هل سيدخلون النار؟ لا إنهم يرون الأمم الأخرى إذا اتبعوا ديناً موحداً يدعوا إلى إله واحد، ولا يشركون بالله شيئاً، وعاشوا بتقوى بعيداً عن القتل والسرقة والزنا وغير ذلك من المنكرات فإنهم سيخلصون، وأفضل ديانة يراها اليهود قريبة جداً من ديانتهم هي دين الإسلام، وبالتالي يرى اليهود المسلمين بأنهم مخلصون وناجون بينما يرون المسيحيين غير مخلصين لأنهم وثنيين ومشركين في نظرهم، وبالتالي المسلمون واليهود يعتبرون عقائدياً صفاً أو فريقاً واحداً، يقول الحبر اليهودي ألن ملر (Rabbi Allen Maller) على موقعه الرسمي بالانترنت (على هذا الرابط: www.rabbimaller.com/judaism-and-islam/false-attacks-on-qur-an) التالي:

"وفي الحقيقة العرب واللغة العربية وعقيدة القرآن قريبون جداً من قومي ولغتي وعقيدتي." ثم يقول عن المسلمين: ". . . بما أنهم موحدين توحيداً صافياً فإنهم لا يحتاجون لأن يدخلوا في اليهودية."
"In fact, the Arab people, the Arabic language and the Qur'an's theology are very close to my own people, language, and theology . . . since they are pure monotheists they have no need to convert to Judaism."

المسيحي:

صحيح، لا يؤمن اليهود بالثالوث المسيحي، فقد كان الثالوث سراً غامضاً عن بني إسرائيل، ولكنه تكشّف في العهد الجديد.

المسلم:

الثالوث سر تكشف؟ أين وكيف تكشف؟ لا يوجد نص واحد يبين ذلك، فحينما جاء رجل يسأل المسيح: "أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟" كانت فرصة المسيح لأن يعلن له ذلك السر الخطير، ولكنه بدلاً من ذلك أجابه بنفس صيغة الشيما التي علمها نبي الله موسى قبله، إنه يكرر نفس معتقد موسى: "فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ." (مرقس 12 : 29)

لقد كانت فرصة المسيح ليكشف عن السر المزعوم، ولكنه لم يفعل ذلك، فهذا النص يبين مدى تمسك المسيح بنفس معتقد موسى التوحيدي.

ثم إن التثليث لو كان حقاً فإنه لن يخفى عن أنبياء الله: "إِنَّ السَّيِّدَ الرَّبَّ لاَ يَصْنَعُ أَمْراً إِلاَّ وَهُوَ يُعْلِنُ سِرَّهُ لِعَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ." (عاموس 3 : 7)

وإنه حقيقة لمصيبة أن يدعي أحدنا بأن العقيدة الحقيقية أخفاها الله كَسِرٍّ ثم يعلنها لاحقاً بعد مئات السنين! إن هذا الكلام مع عدم منطقيته يفتح أيضاً باباً للدجل والكذب، وبذلك حتى عبدة الأوثان يمكنهم الزعم كذلك، فيمكن لأي شخص أراد أن يعبد شجراً أو حجراً أو إنساناً أو حيواناً فيقول لك إن الكتاب المقدس لم يذكر هذا المعبود لأنه كان سراً ثم تكشف!

المسيحي:

أنتم لا تفهمون التثليث إنما هو سر، أي لا يستطيع فهمه إنسان، والتثليث لا يناقض التوحيد، فنحن نؤمن بأن الثلاثة هم إله واحد، ونحن لم نقل ثلاثة آلهة، فنحن نرى الثلاثة واحداً، وليس كما يعتقد الوثنيون من أن هناك آلهة منفصلون.

المسلم:

هذا الكلام يدل على خلط اللغة واللفظ مع إبقاء المقصد، صناعة وصياغة العقيدة بهذا الشكل أشبه بعقيدة الهندوس، إلا أن الهندوس أكثر صراحة، فالهندوس يؤمنون بأن الآلهة في الأصل هي إله واحد، وهو الإله الخالق (براهما)، ومع ذلك فإن كل تلك الآلهة إنما هي أشكال لذلك الإله الواحد، فالهندوس يصرحون بأن إيمانهم مبني على التوحيد، وبالطبع هذا لا يجعلهم موحدين لأنهم في حقيقة الأمر أشركوا آلهة أخرى مع هذا الإله الخالق، وبالتالي هم مشركون وليسوا موحدين سواء قالوا بأن الآلهة منفصلة أو قالوا بأن الآلهة هي إله واحد، فالشرك إنما هو اتخاذ شريك مع الله تعالى (أياً كان هذا الشريك شيئاً أو شخصاً أو كائناً من كان).

فما الذي غيرتموه مما يفعله الهندوس غير شيئين اثنين: أولهما: أنكم خصصتم إشراك اثنين مع الله ليكون من تعبدونهم ثلاثة شخصيات، بينما عبد الهندوس ما لا يحصى من الشخصيات، ولهم بالمناسبة أيضاً تثليث، وهو تثليث يسبق

المسيحية، والذي هو عبارة عن براهما وفشنو وشيفا، ويسمون هذا التثليث بلغتهم تري مورتي أي الثلاثة أشكال، أليس هذا هو نفس ما يزعم به المسيحيون تقريباً؟ فالفكر الوثني له انتشار ويتم تبنيه بين الأمم المختلفة والديانات المختلفة مع بعض التعديلات الخاصة لكل أمة من تلك الأمم. وثانيهما: أن الهندوس أكثر صراحة من المسيحيين فمع أن الهندوس يؤمنون بأن كل تلك الآلهة المختلفة كل واحد منها إنما هو إله إلا أنهم يرون أنه منطقياً يطلق عليهم بمجملهم لفظة "آلهة"، وأما بالنسبة للمسيحيين فإنهم يتفقون بأن كل شخصية من شخصيات الثالوث عبارة عن إله بل إله كامل، إلا أنهم فقط يحرّمون إطلاق لفظ الجمع "آلهة" على الثلاثة وإنما الاكتفاء بلفظة "الله" أو "إله واحد" على الثلاثة جميعهم، ولم يضطر المسيحيون إلى هذه العملية الغريبة إلا لأن كتبهم المقدسة تصرح بأن الله واحد، ولم يأت في أي نص بأن الإله ثلاثة أو أن هناك آلهة، وبالتالي إنها عملية توليفية اضطرارية، وكما ترى بأن الفارق لفظي وإلا فَفِهم الديانتين (المسيحية والهندوسية) متشابه إلى حد بعيد، وسواء أزعم الهندوس أو المسيحيون بتعدد الإله على أن هذا التعدد عبارة عن إله واحد أو زعموا بأن التعدد عبارة عن آلهة متعددة، فإن المشكلة الرئيسية لا تزال واقفة على وجود ذلك التعدد.

المسيحي:

لا لا الأمر ليس كذلك، فنحن نؤمن فعلاً بأن الإله واحد، انظر أليس أنت كإنسان متكون من ثلاثة أشياء الروح والجسد والعقل، فإن قبلت هذا التعدد على نفسك يا إنسان فكم بالحري يكون الإله؟

المسلم:

هنا بالضبط مكمن المشكلة، فالتعدد في الأشياء إنما هي أجزاء لها، وبمجموع تلك الأجزاء يكون لدينا الشيء الناتج من اجتماعها، وأما التعدد الذي نتحدث عنه كمشكلة عقائدية بل شرك بالله تعالى هو تعدد الأشخاص، ولذلك فالتشبيه بين أجزاء الإنسان وشخصيات الإله تشبيه باطل، فأنت حينما تقول بأن الإنسان مكون من روح جسم وعقل فأنت لا تقصد بأن الروح شخص والجسم شخصية أخرى والعقل شخصية ثالثة، كما أن هذه الثلاثة في الإنسان كما قلت لك عبارة عن أجزاء، وأما ما تقصدونه في الثالوث هو أن الآب شخص والابن شخص آخر والروح القدس شخص ثالث، ثم تقولون أيضاً بأن الآب إله كامل وليس جزءاً من الإله، وكذلك الابن الذي هو شخص آخر هو إله كامل، وبالمثل بالنسبة للروح القدس، فأي شخص آخر يكون إلهاً كاملاً إلى جانب الله الآب يجعل ذلك الشخص الآخر الإلهي إنما هو إله آخر!

لا أريد أن أشرح أبجديات المنطق التي نراها بأعيننا كما نرى الشمس، فنحن مثلاً حينما نقول بأن بطرس ويوحنا ويعقوب هم كل واحد منهم شخص، وكل واحد منهم تلميذ للمسيح، وأن كل واحد منهم إنسان، فلا يمكن بأي حال أن يتفلسف أي أحد من الناس ليقول لنا بأن هؤلاء الثلاثة أشخاص ليسوا ثلاثة تلاميذ وإنما تلميذ واحد، وذلك لأن أصلهم واحد وهو البشرية! هنا ندخل في السفسطة (أي الكلام غير المنطقي)، ونخبط بذلك أي دليل وأي حجة وأي معنى لأي شيء، فإن كان كل واحد منهم شخص وكل واحد تلميذ فهم بذلك ثلاثة تلامذة لا تلميذ واحد، وبالمثل حينما تقولون بأن الآب والابن والروح القدس كل واحد منهم شخص وكل واحد منهم إله فإنكم بذلك تجعلونهم ثلاثة آلهة.

المسيحي:

ولكن ألا ترى بأن الله فوق العقل، وبالتالي المنطق لا يجدي هنا؟ فمن نحن حتى نعرف حقيقة الله؟ فضربك للثلاثة تلاميذ لا يناسب هنا باعتبار أن الله طبيعته تختلف عن طبيعة البشر؟

المسلم:

أريد أن نفرق بين ما هو فوق العقل وما هو تحت العقل، ما فوق العقل هو الشيء الذي لا يدركه عقلك، لكن تحت العقل هو ما يدركه عقلك بشكل متناقض أو غير منطقي، فحينما يقول لنا الهندوسي مثلاً بأن البقرة هي إله، بل هي تجلي من تجليات الخالق، أظن أنه لا يمكن أن يقبل العقل هذا الكلام، ذلك لأنه منطقياً الله أعظم من أن يكون حيواناً، بل أعظم من الإنسان، بل أي مخلوق لأنه هو الخالق، كما أن البقرة بلا عقل والله أصل الحكمة ولديه الحكمة المطلقة غير المحدودة، والبقرة صفاتها كذا وكذا وكذا والله تعالى صفاته كذا وكذا، لا يستطيع الهندوسي بأن يقول لي: "انتظر لا يمكنك فهم الخالق إنه يمكن أن يكون بقرة حتى وإن لم يستوعب عقلك ذلك، فالخالق فوق العقل!"، حينها لا يمكن أن أُسَلِّم له وأقول بأن عقلي لا يستوعب ما يقول من سفسطة!

وكذلك مما لا يقبله العقل ولا يُسَلِّم له هو إنكارنا للوثنيين في عبادتهم للأصنام، ولو لم يكن الأمر له باب من العقل لاقتنعنا بكلام الوثنيين بأن الأصنام آلهة باعتبار أنه سر لا يمكننا فهمه.

ألا تعلم أن الكتاب المقدس نفسه يعلم استخدام العقل في مسألة الألوهية؟ انظر كيف يناقش الكتاب المقدس مسألة تأليه الأصنام، إنه يناقشهم بالعقل لا بالأسرار، فيحاججهم أولا بأنها مصنوعة باليد، وهذا نقص في الألوهية، فالله ليس بمخلوق ولا مصنوع، ثم يستدل عليهم بأن أصنامهم لا تتكلم ولا تحس ولا تتحرك، فمن المنطقي ألا تكون آلهة:

- "4 أَصْنَامُهُمْ فِضَّةٌ وَذَهَبٌ عَمَلُ أَيْدِي النَّاسِ. 5 لَهَا أَفْوَاهٌ وَلاَ تَتَكَلَّمُ. لَهَا أَعْيُنٌ وَلاَ تُبْصِرُ. 6 لَهَا آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُ. لَهَا مَنَاخِرُ وَلاَ تَشُمُّ. 7 لَهَا أَيْدٍ وَلاَ تَلْمِسُ. لَهَا أَرْجُلٌ وَلاَ تَمْشِي وَلاَ تَنْطِقُ بِحَنَاجِرِهَا. 8 مِثْلَهَا يَكُونُ صَانِعُوهَا بَلْ كُلُّ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَيْهَا." (المزامير 115 : 4-8)
- "إِنَّ الَّتِي تُصْنَعُ بِالأَيَادِي لَيْسَتْ آلِهَةً." (الأعمال 19 : 26)
- "19 إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ 20 لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ. 21 لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلَهٍ بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. 22 وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ 23 وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى وَالطُّيُورِ وَالدَّوَابِّ وَالزَّحَّافَاتِ." (رومية 1 : 19-23)

وقد دعا الكتاب المقدس عموماً إلى استخدام العقل:
- فيجب أن يكون المؤمن ناضجاً في فكره وعقله: "أَيُّهَا الإِخْوَةُ لاَ تَكُونُوا أَوْلاَداً فِي أَذْهَانِكُمْ" (1 كورنثوس 14 : 20)
- إن التفكير السليم والحكمة مشكلة بالنسبة للجهلاء: "أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ." (الأمثال 1 : 7)
- ليس هناك أغلى من الحكمة المبنية على ذكاء التفكير: "لأَنَّ الْحِكْمَةَ خَيْرٌ مِنَ اللآلِئِ وَكُلُّ الْجَوَاهِرِ لاَ تُسَاوِيهَا. أَنَا الْحِكْمَةُ أَسْكُنُ الذَّكَاءَ وَأَجِدُ مَعْرِفَةَ التَّدَابِيرِ." (الأمثال 8 : 11-12)

- الحكيم يفكر بمنطقية واضحة بينما غير الحكيم يشرق ويغرب بعيداً عن المنطق: "الْحِكْمَةُ عِنْدَ الْفَهِيمِ وَعَيْنَا الْجَاهِلِ فِي أَقْصَى الأَرْضِ." (الأمثال 17 : 24)
- العقيدة في الله ليست مبنية على السفسطة والتناقضات: "لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلَهَ تَشْوِيشٍ" (1 كورنثوس 14 : 33)

المسيحي:

ولكن التثليث لدينا مبني على المنطق السليم وعلى الفكر الواضح، ألا تؤمن بأن الله لديه صفات منها الكلمة والحياة؟ وبالتالي الابن هو كلمة الله والروح القدس هو حياة الله، ولأنهم صفاته فمن دون شك هؤلاء الاثنان هما أنفسهما الله، ألا ترى كيف أن هذا المعتقد مبني على المنطق الصحيح؟

المسلم:

إذن الله لديه عشرات الشخصيات! الله من صفاته الرؤية فهو يرانا فنحتاج الآن إلى تكوين شخصية رابعة ثم الله كلي العلم ولذلك لدينا شخصية خامسة، ثم هو سميع إذن شخصية سادسة، ومن صفاته تعالى الإرادة إذن شخصية سابعة، وهكذا لنخلق شخصيات أخرى لكل صفة أخرى كالأزلية والأبدية والقدرة والرحمة والعدل والعظمة وغيرها الكثير، وما الذي سينتج عن ذلك إلا هندوسية بوجه آخر.

إن الزعم بأن التثليث عبارة عن صفات لله إنما هي مغالطة حيث أن الابن هو شخص وليس مجرد صفة، هو شخص يتحدث إلى الله الآب ويطيعه ويحبه . . إلخ، بل تعبدونه وتصلون إليه، وهكذا الحال مع الروح القدس.

ثم أنتم تصفون الروح القدس بأنه روح الله كما أن للإنسان روحاً، مع أن الله الآب في نظركم هو نفسه روح (يوحنا 4 : 24)، فهل الروح مجرد صفة؟ ثم كيف يكون الله نفسه روح وله روح آخر؟ ألا ترى كيف يتصادم الفكر الثالوثي مع ما يتم شرحه؟

المسيحي:

لا تستخدم عقلك كثيرا على الله!

المسلم:

الوثني نفس الكلام سيقول لك على صنمه لا تستخدم عقلك كثيراً مع الإله، وما الذي سينتج عن ذلك؟ سينتج عنه قبول لعبادة البقر والقرد والفأر والشجر والحجر، وطالما أن الإنسان سيتتبع الأمور من غير عمق تفكير ولا تحليل بل على سطحية تفكير فلا شك بأن كل من سيخلق فلسفة دينية ويلصق على الله أي سفسطة فإنه سيقبلها!

والعجيب هنا أنك تطالبني بعدم التفكير ولكنك تفكر بجهد شديد لتحاول أن تدمج الثلاثة وتجعلهم إلهاً واحداً، والمصيبة الكبرى هي أنك تفكر في الله وتلصق به أشياء لم يذكرها الله في الكتاب المقدس أصلاً! لو كان التثليث من التعاليم

الصريحة للكتاب المقدس لكان على الأقل يحق لك بأن تطالبنا بعدم الاجتهاد فيما لا تصل إليه عقولنا، ولكن المشكلة هي أن الكتاب المقدس لا يذكر ذلك أبداً، وإنما اخترعت هذه العقيدة لاحقاً بعد المسيح بسنين طويلة، وأما المسيح فعقيدته كان مثل عقيدة أنبياء بني إسرائيل، ألا وهو التوحيد الخالص البعيد كل البعد عن شيء اسمه تثليث.

المسيحي:

لا على العكس هناك نصوص كثيرة تثبت معتقد التثليث.

المسلم:

حينما أتحدث عن دليل نصي فإني أطلب دليلاً واضحاً صريحاً، ولا أريد تلميحات وإشارات والتي ليست بواضحة بل يفسرها كل شخص كما يريد.

المسيحي:

لدينا هذا النص الذي يؤكد على الثالوث: "فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ." (1 يوحنا 5 : 7)

المسلم:

هذا النص محرف بمعنى أنه مضاف بكليته، افتح بعض النسخ العربية للكتاب المقدس مثل الترجمة العربية المشتركة أو اليسوعية أو الإنجيل الشريف أو البولسية ولن تجد هذا النص فيها، والسبب يعود إلى عدم وجود هذا النص في المخطوطات اليونانية القديمة للعهد الجديد.

هل لديك نص من كلام المسيح يصرِّح فيه بأن الله ثلاثة في واحد أو أنه هو الله؟ هل لديك نص صريح واضح بهذا الكلام؟

المسيحي:

نعم المسيح قال: "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ." (يوحنا 10 : 30)، وهذا يدل على أن المسيح هو نفسه الله فهما نفس الشيء، ماذا تريد من وضوح أكثر من هذا؟ بل إن المسيح قال: "الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ." (يوحنا 10 : 38) ، ليؤكد المسيح للمرة الثانية بأنه هو والآب نفس الشيء.

المسلم:

هل ترى هذا النص شديد الوضوح لأن المسيح والله واحد؟ ماذا تقول لو كان موسى أو إبراهيم هم واحد مع الله، هل ستقول أيضاً بأنهم شخصية من شخصيات الله؟ ماذا أيضاً ستقول لو أضافت تلك النصوص معنى كونهم في الله والله فيهم؟

المسيحي:

بالطبع! لو ذكر الكتاب المقدس وحدتهم مع الله فإني لن أمتنع عن تأليههم، فما يصرّح به الكتاب المقدس أنا علي اتباعه.

المسلم:

أما تعلم بأن الكتاب المقدس علّم بأن من هم دون أنبياء الله إبراهيم وموسى عليه السلام إنما هم واحد مع الله؟ بل وعلّم بأن هؤلاء سيكونون في الله وهو فيهم؟ أين ذلك؟ إنه في نفس إنجيل يوحنا حيث وُصِف المؤمنون بأنهم واحد مع المسيح والله، وأن المسيح والله فيهم، وإليك النص:

"20 وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلاَءِ فَقَطْ بَلْ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكلاَمِهِمْ 21 لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. 22 وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. 23 أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي." (يوحنا 17 : 20-23)

وكما هو واضح من النص بأن المؤمنين أيضاً هم واحد مع الله والمسيح وأن الله والمسيح فيهم مثلما أن الله في المسيح، فكيف يُستدل على وحدة المسيح مع الله بأنه دلالة صريحة على الألوهية مع أن نفس العبارة أطلقت على المؤمنين عموماً؟

المسيحي:

ولكننا نفهم من النص السابق بأن المسيح حينما تحدث عن وحدته مع الله صرح بأنه هو الله ولكن حينما تحدث عن وحدة المؤمنين مع الله فإنها تعني قربهم منه واتحادهم معه من ناحية انتسابهم الإيماني به.

المسلم:

لو تذكر سؤالي الأساسي، طلبت منك نصاً يصرح فيه المسيح بأنه هو الله، وليس نصاً لا تفهم فيه ألوهية المسيح إلا للكنيسة الفلانية أو المذهب العلاني، أنا لا أريد ما الذي تفهمه بعض المذاهب المسيحية وإنما أريد ما الذي صرّح به المسيح، فإن كانت نفس اللفظة التي جعلها المسيح على نفسه جعلها أيضاً على المؤمنين فهذا يبين بأن المسيح لم يقصد المعنى الذي أرادت أن تفهمه به بعض المذاهب المسيحية.

ثم تعال وانظر إلى ما الذي قال به المسيح نفسه في تفسير معنى الوحدة مع الله، إنه بنفسه يصرح بأن مفهوم وحدته مع الله هي نفس مفهوم وحدة المؤمنين، لاحظ كلمة "كما" حيث قال: "لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ" (يوحنا 17 : 22)

ثم تعال وتفكر هل الله الآب في المسيح بحسب عقيدة المذاهب التثليثية (الأرثوذوكس والكاثوليك والبروتستانت)؟ لا، وإنما الله الابن بحسب معتقدهم هو الحال في المسيح.

المسيحي:

لو كانت وحدة المسيح مع الله هي نفس وحدة المؤمنين مع الله فلماذا حينما صرح المسيح بأنه هو والآب واحد رجمه اليهود وصرحوا بأنهم لم يرجموه إلا لأنه ادعى الألوهية؟ حيث نقرأ:

"31 فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضاً حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. 32 فَقَالَ يَسُوعُ: «أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي - بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟» 33 أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهاً»" (يوحنا 10 : 31-33)

إن هؤلاء اليهود يفهمون لغة المسيح وقد كانوا معاصريه مما يبين بأن المسيح قصد بشكل واضح أن يصرح بلاهوته.

المسلم:

جيد أنك قرأت السياق، وليتك تكمله، ويا ترى لو أكملنا سياق النص ما الذي سنجده؟ هل أيد المسيح ما قالوه أم أنه رد عليهم وصد رأيهم؟

في الحقيقة لم يتفق المسيح مع ما قالوه وبين بطلان قولهم حيث أجابهم مباشرة:
"34 أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ مَكْتُوباً فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ 35 إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ." (يوحنا 10 : 34-35)

فالمسيح يريد أن يقول لهم بأن العهد القديم نفسه يلقب البشر بالآلهة، وأن هذا اللقب لم ينقض تعاليم العهد القديم (التي تعلم بأنه لا يمكن أن يكون إلهاً إلا الله وحده)، لماذا لا ينقض هذا اللقب التعاليم؟ لأنه لم يُقصد بمعناه الحرفي وإنما يُفهم بالمعنى المجازي، أي أن المسيح يشرح لليهود بأن ما عمله بزعمه الوحدة مع الله يقصده بالمعنى المجازي (وهو نفس المعنى لوحدة المؤمنين مع الله) وأنه لم يقصد المعنى الحرفي الذي لامه اليهود عليه.

المسيحي:

ولماذا برأيك يكذب اليهود على المسيح؟ ما مصلحتهم من ذلك؟

المسلم:

اليهود دائماً يتهمون المسيح كذباً لكونه لاذعاً عنيفاً معهم ودائماً يشتمهم، كقوله: "13 لَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! . . . 14 وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! . . . 15 وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! . . . 16 وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! . . . 17 أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! . . . 19 أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! . . . 23 وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! . . . 24 أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! . . . 25 وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ . . . 26 أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّ الأَعْمَى . . . 27 وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! . . . 29 وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! . . . 33 أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي!" (متى 23 : 13-33)

بل وقد يستخدم معهم أحياناً يده: "14 وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَراً وَغَنَماً وَحَمَاماً، وَالصَّيَارِفَ جُلُوساً. 15 فَصَنَعَ سَوْطاً مِنْ حِبَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ، اَلْغَنَمَ وَالْبَقَرَ، وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ." (يوحنا 2 : 14-15)، "16 وَلَمْ يَدَعْ أَحَداً يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ . . . 18 وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ" (مرقس 11 : 16- 18) (وبعد هذه التعرضات من المسيح عليهم نجد هنا كيف يصرّح النص بأنهم "طلبوا كيف يهلكونه" أي أخذوا يفكرون في طريقة كيف يقتلونه!)

وهكذا اتخذ اليهود أي طريقة ليقتلوه حتى لو بالكذب عليه وشهادة الزور: "وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ" (متى 26 : 59)

وانظر إلى هذا المثال ليبين لك كيف كانوا يكيدون له:
"18 كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذلِكَ الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ؟» 19 فَطَلَبَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ أَنْ يُلْقُوا الأَيَادِيَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، وَلكِنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ قَالَ هذَا الْمَثَلَ عَلَيْهِمْ. 20 فَرَاقَبُوهُ وَأَرْسَلُوا جَوَاسِيسَ يَتَرَاءَوْنَ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ لِكَيْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ، حَتَّى يُسَلِّمُوهُ إِلَى حُكْمِ الْوَالِي وَسُلْطَانِهِ. 21 فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ بِالاسْتِقَامَةِ تَتَكَلَّمُ وَتُعَلِّمُ، وَلاَ تَقْبَلُ الْوُجُوهَ، بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ. 22 أَيَجُوزُ لَنَا أَنْ نُعْطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟» 23 فَشَعَرَ بِمَكْرِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ 24 أَرُونِي دِينَاراً. لِمَنِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «لِقَيْصَرَ». 25 فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا إِذاً مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ». 26 فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ قُدَّامَ الشَّعْبِ" (لوقا 20 : 18-26)

فهذه الحادثة تبين بأن اليهود كانوا يريدون ضرب عصفورين بحجر، فلو أجاب المسيح لا تعطوا الجزية فإنهم سيتهمونه أمام السلطات الرومية بأنه يقيم ثورة فيقتلوه، وإن أجابهم بأن يُعطوا الجزية لاتهموه أمام أتباعهم بأنه ليس المسيح المنتظر الذي سيقيم دولة، وإنما دجال مدع، ولكنه أجابهم بطريقة ذكية خرج من كيدهم.

من هنا تفهم لماذا حاول اليهود اتهام المسيح بأنه ادعى الألوهية، هذا لأن أشنع ادعاء يدعيه إنسان لدى اليهود هو أن يدعي الألوهية، إنها قمة الوثنية، ولب الكفر والتجديف على الله، ولذلك كان أحبار اليهود يريدون تأليب الحكومة الرومية على المسيح بالزعم أنه رجل ثوري ضد الحكومة الرومية، وكذلك يريدون تأليب أتباعهم اليهود ضده فلا يتبعوه عن طريق الادعاء بأنه سامري يستخدم الشياطين تارة (يوحنا 8 : 48 ومتى 12 :24) وتارة أخرى على أنه ليس المسيح الملك الذي ينتظرونه والذي سيحررهم من حكم واستبداد الروم، وتارة ثالثة بأنه رجل وثني يدعي الألوهية (وبالمناسبة اليهود في زمن المسيح كانوا يعيشون في ظل دولة وثنية وهي دولة الروم).

المسيحي:

ولكن ألا ترى أن هذا النص صريح يبين بأن المسيح هو الله؟ حيث نقرأ:

"15 قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» 16 فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ». 17 فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ." (متى 16 : 15-17)

فيسوع هو ابن الله وهو المسيح وهو الحي، ماذا تحتاج من أدلة أوضح من هذه الصفات كلها؟

المسلم:

لقد رأيت الكثير من المسيحيين يستخدم هذا النص مع أنه يقف ضد تأليه المسيح، فأولاً لنحلل "ابن الله"، هل البنوة لله صفة من صفات الله؟ بالطبع لا، ليس الله ابناً لأحد، إلا لو أردنا أن نناقض أنفسنا بالقول أن الله ابن لنفسه، إذن البنوة لله هي صفة من يا ترى؟ إنها صفة المؤمنين المقربين من الله، إنها وصف لهم، إنها تسمية لهم، ألم يقل الكتاب المقدس عن المؤمنين: "أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ." (التثنية 14 : 1)، وهكذا وُصف الأنبياء بأنهم أبناء الله مثل آدم (لوقا 3 : 38)، ويعقوب (إرميا 31 : 9)، وداود (المزامير 89 : 20 ، 26-27)، وسليمان (1 أخبار الأيام 22 : 9-10) عليهم السلام جميعاً، وكذلك الملائكة هم أيضاً أبناء الله (أيوب 1 : 6 والمزامير 89 : 6 ولوقا 20 : 36) والمؤمنون عموماً هم أبناء الله (متى 5 : 9 ، 44-45 ويوحنا 1 : 12-13 ويوحنا 11 : 52 و 1 يوحنا 3 : 1-2 ورومية 9 : 26) أليست أشهر صلاة في المسيحية هي أن ينادي المؤمنون الله بأبيهم: "يا أبانا الذي في السماوات . . . "، إذن البنوة لله ليست دليلا على الألوهية أبداً، وإنما هي دلالة على المؤمن والقريب من الله تعالى.

وماذا عن لقب "الحي"؟ هذه اللفظة تعود إلى الله، وليست إلى المسيح، فقد جاءت بحركة الكسر كصفة عائدة على كلمة "الله" التي تنتهي بالكسر أيضاً لكونها مضافاً إليه، ثم إن هذا نفس اللقب الذي لُقِّب به المؤمنون من بني إسرائيل: "لَكِنْ يَكُونُ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُكَالُ وَلاَ يُعَدُّ وَيَكُونُ عِوَضاً عَنْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ: لَسْتُمْ شَعْبِي يُقَالُ لَهُمْ: أَبْنَاءُ اللَّهِ الْحَيِّ." (هوشع 1 : 10)

بقي لقب "المسيح" هل هو لقب من ألقاب الله أم من ألقاب الذين اختارهم الله؟ ما معنى كلمة "المسيح" أولا؟

المسيح معناه الحرفي الممسوح بالزيت، وهي علامة تنصيب شخص على أنه ملك أو نبي أو كاهن، كما جاء في سفر اللاويين: "وَصَبَّ مِنْ دُهْنِ الْمَسْحَةِ عَلَى رَأْسِ هَارُونَ وَمَسَحَهُ لِتَقْدِيسِهِ." (اللاويين 8 : 12) حيث كان بنو إسرائيل يحتفلون بتنصيب أحد أولئك الأشخاص، وكانت من مراسيم الاحتفال مسح ذلك الرجل بالزيت كشعار وعلامة على قبوله بذلك المنصب الذي اختاره الله له، وبالتالي المعنى المجازي لكلمة "المسيح" هو مختار الله، وبالتالي لقب المسيح ينقض ألوهية المسيح لأنه لا يدل على أنه هو الله، وإنما شخص اختاره الله، فالملك شاول هو مسيح الله لأن الله اختاره (1 صموئيل 12) وكذلك النبي الملك داود (المزامير 18 : 50)، وهو لقب عام بأنبياء الله:
"لاَ تَمَسُّوا مُسَحَائِي وَلاَ تُسِيئُوا إِلَى أَنْبِيَائِي" (المزامير 105 : 15)

لاحظ بأن أهم ما يحاول المسيحيون إلصاقه بالمسيح على أنه ألوهية له كتلقيبه بابن الله والمسيح إنما هي في الحقيقة أدلة على عدم ألوهيته!

المسيحي:

ولكن المسيح قال: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي." (يوحنا 14 : 6)

المسلم:

ماذا في هذا النص من دليلٍ على ألوهية المسيح؟ المسيح هو الطريق وليس المقصود، المقصود هو الله والمسيح موصل إلى الله عن طريق اتباعه، هذا هو دور الأنبياء عليهم السلام، الذين هم إنما طرق موصلة إلى الله تعالى، ولذلك باتباعهم يحصل الإنسان على الحياة الأبدية ويكون على الحق.

ولاحظ بأنك إلى الآن لم تجلب نصاً واحداً يقول فيه المسيح بكل صراحة بأنه هو الله، لم يقل: "أنا الله"، وأما الصفات والألقاب العامة فليست دلالة على ألوهية، نريد تصريحاً وتوضيحاً، ولا نريد تلميحاً وتلويحاً، فلا يمكن للمسيح لو كان هو الله فعلاً أن يعاقب الناس يوم القيامة على شيء هو لم يصرح به، لا يمكن أن يعاقبني في ذلك اليوم لأنني أنكر ألوهيته باعتبار أنه لم يصرح بأنه هو الله، اقرأ العهد القديم وستجد بأن الله مرات عديدة يصرح بأنه الإله الواحد الذي يجب عبادته، لماذا لم يصرح المسيح مثل ذلك؟ تخيل إنساناً يؤمن أتباعه بعد حياته بقرون بأنه هو الله، وهذا الرجل عاش لمدة تتجاوز الثلاثين عاماً، ومع ذلك لم يصرّح ولا مرة بأنه الله هكذا بكل صراحة، وكتب أولئك الأتباع (كما هو الحال مع العهد القديم في المسيحية) تصرح بأن الله ليس بإنسان، كيف يمكننا أن نثق فيما يقوله أولئك الأتباع، ألا يعني ذلك أنهم حرفوا تعاليم معلمهم؟ هذه قاعدة لأي شخص يؤمن أتباعه بأنه إله، ألا ترى بوذا مثلاً يزعم بعض البوذيين بأنه إله مع أنه لم يقل ذلك ولا مرة في حياته، فكيف يُعقل أن نقول بأن البوذيين معهم حق إن كان كلامهم ليس مما علمهم معلمهم؟ بالطبع هم خالفوا معلمهم.

المسيحي:

إليك نصاً واضحاً يصرح المسيح فيه بأنه هو الله حيث قال: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يوحنا 14 : 9)

المسلم:

مرة أخرى جئنا للنصوص غير الواضحة في تأليه المسيح، بل هي واضحة بأنها مجازية، كيف؟ إذا أردت أخذ النص بحرفيته فستقع في مشكلة مع عقيدتك، فلو أخذنا قول المسيح بأن من رآه فقد رأى الآب بالمعنى الحرفي فإن ذلك يعني أن المسيح هو الآب! وبالطبع لا يؤمن أي مسيحي يؤمن بالتثليث بأن المسيح هو الآب وإنما هو الابن.

وأما لو أردنا فهم النص بمعناه المجازي فالرؤية تعني المعرفة، أي من عرفني واتبعني فإنه بالطبع سيعرف الله الآب ولن يكون بعيداً عنه، فالمسيح نفسه يقول: "لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ." (يوحنا 14 : 7)

وبالطبع الله الآب لا يرى بالعين المجردة، إنه لا يرى بالمعنى الحرفي، وإنما بالمعنى المجازي فنعم.

يا رجل اختصر علي وعليك الوقت رجاء! أين قال المسيح بأنه هو الله؟ قل لي بكل صراحة هل لديك نص يقول المسيح فيه: "أنا الله"؟

المسيحي:

لا، لا يوجد، ولكن لدينا نصوصاً تؤكد ألوهية المسيح من غير أقواله، مثلاً نقرأ في إنجيل يوحنا: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ." (يوحنا 1 : 1)، ألا يدلك نص: "وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ" بأن المسيح هو الله؟

المسلم:

تخيل معي لو كان المسيح هو الله فعلاً ولكنه لم يصرّح بذلك فهل من حقه أن يلقيني في جهنم؟ هل لديه الحجة على ذلك؟ بالطبع لا، فالمسيح كان هنا على الأرض لمدة 33 عاماً تقريباً، ولم يصرح ولا مرة واحدة بأنه هو الله! بالطبع لن يصرح لأنه بكل بساطة لم يكن هو الله أصلاً.

وأما عما ورد في بداية إنجيل يوحنا فإن مشكلته مشكلة ترجمية، فقوله: "وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ" مبني على إشكالية ترجمة خاطئة لكلمة "الله"، وحتى نعلم موضع الخلل نسأل ماهي كلمة "الله" في اليونانية؟ في الحقيقة لا توجد كلمة خاصة بالله كاسم في اليونانية، وإنما يقابل كلمة "الله" عندنا في العربية كلمة "الإله" في اليونانية، وبالتالي حينما يريد اليونانيون أن يقولوا كلمة "إله" فإنهم سيقولون "θεὸς" (ثِيُوسْ) بينما لو أرادوا أن يقولوا "الله" فحينها سيقولون "ὁ θεὸς" (هُوْ ثِيُوسْ)، هذا في حالة الرفع طبعاً، وأما في حالة النصب فإنها ستكون "θεὸν" (ثِيُونْ) أي "إلهاً"، وستكون "τὸν θεὸν" (تُونْ ثِيُونْ) أي "الله".

وكلمة "الله" في عبارة: "وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ" هي ليست "هو ثيوس" بأل التعريف، وإنما هي مجرد "ثيوس" من دون أل التعريف، أي أن العبارة من المفترض أن تترجم هكذا: "وكان الكلمة إلهاً".

والآن إذا أدركنا بأن الوصف هو "إله" وليس "الله" حريٌّ بنا أن نفهم هل كلمة "إله" تستلزم معنى الألوهية، كلا، فقد وصف موسى بأنه إله: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلَهاً لِفِرْعَوْنَ." (الخروج 7 : 1)، ووصف الحكام وذوي السلطات بأنهم آلهة: "اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ. فِي وَسَطِ الآلِهَةِ يَقْضِي." (المزامير 82 : 1) وكذلك: "أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ." (المزامير 82 : 6)

فكما هو ملاحظ أن ذوي السلطات والقدرات قد يُطلق عليهم كلمة "إله" مجازياً ولا يقصد منه تأليههم.

إذا أدركنا بأن الكلمة قد وُصفت بالنكرة "إلهاً" فماذا يعني ذلك؟ بحسب مقدمة إنجيل يوحنا: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ" أي في بدء الخلق كان هناك أمر الله، فمن معاني كلمة "الكلمة" الأمر، وهو المعنى المجازي بالطبع، وهي محاكاة لبداية سفر التكوين: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ . . . وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ» فَكَانَ نُورٌ." (التكوين 1 : 1 - 3)، لاحظ هنا كلمة "قال" أي أمر، وبالتالي كلمة الله إلهاً أي أنها نافذة ذات سلطة حاصلة، ولاحظ أنه لم يطلق أبداً على المسيح لفظة "الله"! ما الذي تفهمه من ذلك؟

المسيحي:

وماذا عن قول بولس: "وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ" (1 تيطس 3 : 16)

المسلم:

أنت تقرأ من نسخة عربية اسمها الفانديك، ولكنك لو فتحت من نسخة أخرى مثل الترجمة العربية المشتركة فإنك ستجد النص هكذا: "ولا خلاف أن سر التقوى عظيم الذي ظهر في الجسد".

لاحظ ما الذي تغير؟ لقد تم تغيير كلمة "الذي" إلى "الله"، وهو تحريف بدأ من المخطوطات اليونانية، وعلى ذلك ليس الله هو الذي ظهر، وإنما سر التقوى هو الذي ظهر في الجسد.
إذن الذي حصل عملية تغيير وتحريف على النص.

المسيحي:

ألم يُوصف المسيح بأنه رب؟ أليس هذا من ألقاب الله!

المسلم:

إن كلمة "رب" في اليونانية هي كيريوس (κύριος)، وهي كلمة شائعة تطلق على كل رئيس وسيد وصاحب الشيء، وقد تمت ترجمتها أحياناً إلى رب وإلى سيد وإلى صاحب (الشيء)، فهي قد تطلق على الآتي:

- على الله باعتباره صاحب السيادة المطلقة كما في قول المسيح: "اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ." (مرقس 12 : 29)
- على صاحب الشيء كصاحب الكلاب والكرم (أي شجرة العنب): "وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا" (متى 15 : 27)، "قَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ لِوَكِيلِهِ" (متى 20 : 8)
- وعلى كل شيء يُخدم: "لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ . . . لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ" (متى 6 : 24)
- وعلى سيد العبد: "وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى سَيِّدُ أُولَئِكَ الْعَبِيدِ وَحَاسَبَهُمْ." (متى 25 : 19)
- وعلى الزوج: "كَمَا كَانَتْ سَارَةُ تُطِيعُ إِبْرَاهِيمَ دَاعِيَةً إِيَّاهُ «سَيِّدَهَا»." (بطرس 3 : 6)

(كل هذه الكلمات التي تحتها خط هي في اليونانية "كيريوس")

ثم انظر إلى هذا النص:
"فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَهُمَا يَتْبَعَانِ فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» فَقَالاَ: «رَبِّي (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ) أَيْنَ تَمْكُثُ؟»" (يوحنا 1 : 38)

إذن يطلق على المسيح لقب "رب" لأنه سيد تلامذته فهو معلمهم، ولاحظ كيف يُطلق على المسيح بأنه رب ولم يطلق عليه لفظة الله أبداً، ألا ترى هنا مشكلة كيف يؤله المسيحيون المسيح مع أنه لم يقل بها ولا مرة؟

المسيحي:

من هو المسيح إذن؟ هل يستطيع إنسان أن يعمل ما عمله المسيح؟ ألم يحيي الموتى ويشفي المرضى ويطعم الكثيرين بطعام قليل وعَمِلَ معجزاتٍ كثيرة؟ أليست هي قدرة الله وحده؟

المسلم:

ألم يعمل الأنبياء مثله؟ ألم يكن من الأنبياء من يحيي الموتى؟ ألم يحيي النبي إليشع الموتى؟

"32 وَدَخَلَ أَلِيشَعُ الْبَيْتَ وَإِذَا بِالصَّبِيِّ مَيِّتٌ وَمُضْطَجِعٌ عَلَى سَرِيرِهِ. 33 فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى نَفْسَيْهِمَا كِلَيْهِمَا وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. 34 ثُمَّ صَعِدَ وَاضْطَجَعَ فَوْقَ الصَّبِيِّ وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ وَيَدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَسَخُنَ جَسَدُ الْوَلَدِ. 35 ثُمَّ عَادَ وَتَمَشَّى فِي الْبَيْتِ تَارَةً إِلَى هُنَا وَتَارَةً إِلَى هُنَاكَ، وَصَعِدَ وَتَمَدَّدَ عَلَيْهِ فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ." (2 الملوك 4 : 32-35)

ولم تكن هذه معجزة إليشع الوحيدة وإنما عمل إليشع معجزات أخرى مثل المسيح كإطعام مائة رجل بعشرين رغيفاً (2 الملوك 4 : 43-44) وشفى الأبرص (2 الملوك 5 : 10-14) وعمل معجزات أخرى كشق نهر الأردن (2 الملوك 2 : 13-14) وإرواء ثلاثة جيوش كبيرة (2 الملوك 3) وحول مياه رديئة إلى مياه صالحة للشرب (2 ملوك 2 : 19-22) وقضى على السموم التي في الخضراوات (2 الملوك 4 : 38-41) وبدهنة زيت ملأ أوعية كثيرة (2 الملوك 4 : 1-7) وجعل الحديد يطفو على الماء (2 الملوك 6 : 1-7) وكشف خطط العدو (2 الملوك 6 : 8-23) وعلم ما عمله خادمه من ورائه ومخالفته إياه ولعنه بالبرص على ذلك (2 الملوك 5 : 19-27) وتنبأ بمجاعة لمدة سبع سنين (2 الملوك 8 : 1) وتنبأ بشفاء الملك وأنه يموت (2 الملوك 8 : 10) وغير ذلك.

فهل النبي إليشع الذي حياته كلها معجزات تجعله تلك المعجزات إلهاَ؟

المسيحي:

كلا، فالنبي إليشع إنما صلى إلى الله ففعل الله له كل تلك المعجزات، فهو لم يعملها من نفسه، بينما عمل المسيح المعجزات بنفسه لأنه هو الله.

المسلم:

إذن كل من يصلي إلى الله ليعمل له المعجزات لا يمكن أن يكون ذلك الشخص إلهاً، أليس كذلك؟

المسيحي:

نعم.

المسلم:

هاك المفاجأة، وهي أن المسيح حينما كان يعمل معجزاته كان يصلي لله الذي يستجيب له، ففي قصة أعظم معجزة له وهي إحياء الميت نجد بأن المسيح بعدما أحيا الميت:

"41 وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي 42 وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي." (يوحنا 11 : 41-42)

إن المسيح كما هو واضح رفع عينيه ليخاطب الله الآب وشكره لأنه سمع له صلاته ودعاءه، فاستجاب له، وعمل له المعجزة، بل إنه دائماً يصلي له، والله هو الفاعل له.

وبالطبع هذا يبين بأن المسيح لم يعمل المعجزات من نفسه، بل هو نفسه قد صرح بذلك في موضع آخر: "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً." (يوحنا 5 : 30)

فكما هو واضح بأن كلام المسيح عكس ما تقوله تماماً، فهو لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئاً، بل هو يطلب من الله، والله هو من يقوم بالعمل له مثله مثل الأنبياء تماماً.

بل ولأن المسيح ليس هو الله بالطبع أحياناً لا يعمل الله له تلك المعجزات فيقف المسيح عاجزاً عن عملها، فهو لم يقدر على عملها لأنه لا يقدر أن يفعل من نفسه شيئاً كما أخبر هو بنفسه، وإليك ما يبين ذلك:

"4 فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرِبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ». 5 وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلاَ قُوَّةً وَاحِدَةً غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرْضَى قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ." (مرقس 6 : 4-5)

ولاحظ هنا بأنه صرح بأنه نبي وقد بيّن النص أنه لم يقدر أحياناً على عمل المعجزات، وهذا الكلام يناقض تماماً القول بأن المسيح هو الله القادر على كل شيء، والذي واضح هنا أمامنا هو أن المسيح نبي مثل إليشع يقوم بالمعجزات بعدما يصلي لله، وهو لا يعملها بنفسه، وأحياناً لا يستطيع القيام بها.

المسيحي:

المسيح بحسب التعاليم المسيحية له طبعيتين: اللاهوت (أي الطبيعة الإلهية) والناسوت (أي الطبيعة البشرية)، فالطبيعة اللاهوتية هي التي كان بها المسيح يقوم بعمل المعجزات، ولذلك حينما يقول المسيح بأنه لا يقدر أن يفعل شيئاً إنما يقصد بأنه بناسوته لا يقدر أن يفعل شيئاً إلا بالله الابن.

المسلم:

لا أظن أنه يخفى عليك بأن فكرة اللاهوت والناسوت لم يعلمها المسيح، وإنما هي فكرة لاحقة في الكنيسة، وتعال نناقش النصوص السابقة، وأبيّن لك تناقضها مع فكرة اللاهوت والناسوت.

فحينما حمد المسيح الله الآب الذي صلى إليه المسيح ليلبي له المعجزات كان من المفترض لو أن المسيح لاهوت وناسوت أن يشكر بناسوته الله الابن الذي بداخله لا أن ينظر إلى السماء ليخاطب الآب! أين اللاهوت المزعوم في المسيح؟ فما عمله المسيح إنما هو نفس ما يعمله الأنبياء فكيف يكون هو الله دونهم؟

ثم ماذا عن عدم قدرة المسيح لعمل المعجزات أحياناً؟ ألم يكن اللاهوت مع الناسوت؟ ألم تكن المعجزات عمل اللاهوت؟ فكيف المسيح بعدم مفارقة لاهوته لم يقدر أن يقوم بالمعجزات؟ بل الأهم من ذلك كله أنه في النص الذي يسبق عدم

قدرته على عمل بعض المعجزات يصرح المسيح فيه بأنه نبي، وبالتالي طبعاً كنبي لن يقدر إلا بما أيده الله الآب فيه، بل كما يبيّن المسيح بأنه حينما يقوم بعمل المعجزات إنما يكون ذلك باستجابة الله لصلاته: "وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي." (يوحنا 11 : 41-42)

ثم بعد ذلك كله يظهر هذا النص بشكل منطقي جداً: "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً." (يوحنا 5 : 30)، ثم اقرأ هذا النص الآخر الذي ينقض فكرة اللاهوت من أساسها:

"19 فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمْ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهَذَا يَعْمَلُهُ الاِبْنُ كَذَلِكَ. 20 لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الاِبْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ." (يوحنا 5 : 19-20)

وكيف ينقض هذا النص فكرة اللاهوت؟ لأنه صرّح بأن "الابن" لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئاً، والابن لقب للاهوت المسيح، إنه يمثل الشخصية الثانية من الثالوث المسيحي "الله الابن"، بل إن أعمال الابن إنما هي بحسب ما يريه الله الآب والذي سيريه أعمالاً أعظم، كيف؟ حينما يصلي الابن للآب: "وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي." (يوحنا 11 : 41-42)

إن فكرة اللاهوت والناسوت اخترعتها الكنيسة، ولم يقل بها المسيح أبداً، فهناك الكثير من تعاليم الكنيسة التي تتناقض مع تعاليم الكتاب المقدس، ألم تحوّل الكنيسة الصلاة من يوم السبت إلى يوم الأحد، مع أن الكتاب المقدس ذكر السبت ولم يذكر أي عظمة ليوم الأحد؟

تخيل معي لو كنت أنا أعتقد بألوهية النبي أليشع لأنه قام بمعجزات كثيرة فقمت أنت وحاججتني ببعض صفات أليشع التي تخالف صفات الله، فما كان مني الرد إلا أن أقول لك كل ما تراه من صفات تخالف صفات الله إنما هي الطبيعة الناسوتية لأليشع وأما ما تراه من معجزات لأليشع إنما هي صادرة عن طبيعته اللاهوتية! لاشك بأنك لن تقبل بهذا الكلام وستعتبره مجرد تبرير وتهرب مما هو واضح.

المسيحي:

إذا لم يكن المسيح هو الله فمن هو إذن؟ هل تقصد بأنه دجال أو مجنون؟ أم ماذا؟

المسلم:

أولاً: هو بالطبع ليس الله، وإنما هو أقل من الله، كما أن الله بالنسبة له إلهه:
- "أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي." (يوحنا 14 : 28)
- "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ" (يوحنا 20 : 17)

ثانياً: هو ليس فقط تحت الله مكانة، وإنما تحت الله من ناحية الصفات أيضاً، فالمسيح لم يكن يعلم بميقات يوم القيامة التي حددها الله تعالى، ولم يكن المسيح يعلم بموسم الثمار كالتين، وبالتالي لم يكن المسيح صاحب علم مطلق، لم يكن كلي العلم، وأما الله فهو العالم بكل شيء، حيث نقرأ:

- "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الاِبْنُ إِلاَّ الآبُ." (متى 13 : 32)
- "12 وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنْيَا جَاعَ [المسيح] 13 فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئاً. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ." (مرقس 11 : 12-13)

ثالثاً: المسيح هو إنسان يوحى إليه من الله، فهو الذي قال عن نفسه: "وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ" (يوحنا 8 : 40)، وهذا تعريف النبي.
وبيّن بأنه نبي في قوله: "لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرِبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ" (مرقس 6 : 4)
وهذا ما شهد به الذين عايشوه وعرفوه من المؤمنين:
- "فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ»." (لوقا 7 : 16)
- "فَقَالَتِ الْجُمُوعُ: «هَذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ»." (متى 21 : 11)
- "فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!»" يوحنا 6 : 14)

ولذلك كما ناقشنا سابقاً بأنه حتى في المعجزات لم تكن من نفسه، وإنما مثله مثل الأنبياء يصلي إلى الله الذي يستجيب له فيها.

المسيحي:

ولكن المسيح مات من أجل ذنوبنا، من يستطيع أن يحمل ذنوب جميع البشر؟ أليس الله؟ فحينما أكل آدم من الشجرة توارث نسله تلك الخطيئة، وحتى يغفر الله تلك الخطيئة لابد وأن تقدم أضحية مكانها، ولأن الخطيئة كبيرة جداً غير محدودة فإنها تحتاج إلى أضحية وفداء كبير جداً غير محدود، وبالطبع لا يوجد من هو غير محدود إلا الله، وبالتالي من محبة الله لنا أن نزل إلى الأرض وقدم نفسه فداء مقابل تلك الخطيئة.

المسلم:

هل الله يموت؟ من الذي مات من أجل ذنوبنا؟ الله؟ إنها لطامة عقائدية! فهذا الكلام يناقض صفة كمال الله تعالى: "حَيٌّ أَنَا إِلَى الأَبَدِ." (التثنية 32 : 40)، لأنه "الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ" (1 تيموثاوس 6 : 16)

ثم ألا يستطيع الله أن يغفر الذنوب برحمته وعفوه؟ إن الكتاب المقدس نفسه يصرّح بأن الله قادر على مغفرة الذنوب بمجرد التوبة ومن دون أضحية: "21 فَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقّاً وَعَدْلاً فَحَيَاةً يَحْيَا. لاَ يَمُوتُ. 22 كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لاَ تُذْكَرُ عَلَيْهِ. فِي بِرِّهِ الَّذِي عَمِلَ يَحْيَا." (حزقيال 18 :- 21-22)

إن الله بهذه الصورة (أي بعدم قدرته على المغفرة إلا بدم) يتم تصويره على أنه دموي لا يستطيع المغفرة إلا بالقتل، ثم إنها فكرة لا محل لها من المنطق السليم، فكيف يقال بأن الله لا يستطيع أن يغفر الذنب إلا بانتحاره؟

المسيحي:

لا لم يمت الله نفسه، فالله لا يموت، وإنما مات ناسوت المسيح!

المسلم:

إذا مات الناسوت فلا نفع لعملية الفداء، ذلك لأن الخطيئة غير محدودة، وبالتالي يجب أن يموت غير المحدود الذي هو الله، فإن كان الناسوت المحدود هو الذي مات فما الفائدة؟

بل إن وراثة الخطيئة في نسل آدم إنما هي كارثة لأنها اتهام لله بالظلم، كيف يغضب الله على جميع البشر لذنب هم لم يقترفوه وإنما اقترفه أبوهم؟ هل يحق لدولة ما أن تضبط وتسجن ابن السارق أو ابن القاتل فقط لأن أباه هو من قام بالجريمة؟ إن مبدأ وراثة الخطيئة في الحقيقة مخالف لتعاليم العهد القديم؛ أما تقرأ:

"19 وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لِمَاذَا لاَ يَحْمِلُ الابْنُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ؟ أَمَّا الابْنُ فَقَدْ فَعَلَ حَقّاً وَعَدْلاً. حَفِظَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَعَمِلَ بِهَا فَحَيَاةً يَحْيَا. 20 اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. الابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ." (حزقيال 18 : 19-20)

المسيحي:

ولكن المسيح هو الوحيد الذي بلا خطيئة!

المسلم:

من قال بأن المسيح هو الوحيد الذي بلا خطيئة؟ هذا ليس تعليم الكتاب المقدس، فهناك أشخاص كثيرون قد وصفوا بالكمال، وأنهم بلا لوم، أي لم يعملوا أي خطيئة، مثل الأنبياء أيوب ونوح ودانيال ولوط، والملوك مثل يوشيا وحزقيا وآسا وغيرهم مثل زكريا وزوجته:

- "وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ [أيوب] كَامِلاً وَمُسْتَقِيماً يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ." (أيوب 1 : 1)
- "كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ" (التكوين 6 : 9)
- "نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ" (حزقيال 14 : 14)
- "إِذْ كَانَ [لوط] الْبَارُّ بِالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ" (2 بطرس 2 : 8)
- "وَكَانَا كِلاَهُمَا [زكريا وإليصابات] بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ." (لوقا 1 : 6)
- "وَعَمِلَ [يوشيا] الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَسَارَ فِي جَمِيعِ طَرِيقِ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَلَمْ يَحِدْ يَمِيناً وَلاَ شِمَالاً." (2 الملوك 22 : 2)
- "إِلاَّ أَنَّ قَلْبَ آسَا كَانَ كَامِلاً كُلَّ أَيَّامِهِ." (2 أخبار الأيام 15 : 17)
- "هَكَذَا عَمِلَ حَزَقِيَّا فِي كُلِّ يَهُوذَا وَعَمِلَ مَا هُوَ صَالِحٌ وَمُسْتَقِيمٌ وَحَقٌّ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِهِ." (2 أخبار الأيام 31 : 20)

أضف إلى نقطة كونهم كاملين بلا خطيئة أنهم كانوا مُخَلَّصين، فلا حاجة للدم والأضحية، وإلى أن ينتحر الله، بل ما دام أن الله يستطيع مغفرة الخطايا بلا مقابل فما الحاجة لأن يموت الله؟ ما الحاجة لأن ينزل الله أصلاً ليتجسد ويصير إنساناً! مع أن الكتاب المقدس ينفي أن يكون الله إنساناً: "لأَنِّي اللهُ لاَ إِنْسَانٌ" (هوشع 11 : 9) كما أنه تعالى لا يتغير: "لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ" (ملاخي 3 : 6)

المسيحي:

لقد قلت بأننا نشترك في الدين، كيف ذلك؟ الإسلام دين جاء بعد المسيحية، فهو دين دخيل مبتدع، فكيف يشترك المسيح ومحمد في نفس الدين؟

المسلم:

ولم لم تقل أيضاً بأن المسيحية دين دخيل مبتدع لأنه دين جاء بعد اليهودية؟ على الأقل اعدل، فإذا انتقدت شيئاً عند الآخرين وهو عندك قبلهم فابدأ بنقد نفسك أولاً، وهذا النقد الذي يوجه إلى الإسلام من قِبل بعض المسيحيين حاله كحال الكثير من تلك الانتقادات والتي لا أعطيها وصفاً أبلغ مما قاله المسيح: "3 وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ 4 أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ. 5 يَا مُرَائِي أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ! " (متى 7 : 3-5)

على العموم ليس الإسلام دين دخيل مبتدع بل هو دين الأنبياء عليهم السلام، فلو سألتك ما هو دين المسيح عليه السلام؟

المسيحي:

المسيحية أو أظن اليهودية.

المسلم:

بما أنك تعتقد بأن ديانتك هي المسيحية، وتعتبر بأن مؤسسها هو المسيح، فعلى الأقل من المفترض أن تعرف دين مؤسس دينك، وفي الحقيقة لن تجد المسيح قط قد صرح بأنه مسيحي، وإنما على العكس سميت الديانة بالمسيحية في وقت متأخر بعد زمن المسيح، بمعنى أن المسيح أبداً لم يسمع كلمة "مسيحي" أو "الدين المسيحي" في حياته.
فأول مرة أطلقت كلمة "المسيحية" في أنطاكيا على يد الأعداء الروم تمييزاً لهم عن اليهود: "وَدُعِيَ التَّلاَمِيذُ «مَسِيحِيِّينَ» فِي أَنْطَاكِيَةَ أَوَّلاً." (الأعمال 11 :- 26) بينما لم تكن المسيحية تعتبر ديناً منفصلاً عن اليهودية في أول الأمر، وإنما كانت مذهباً يهودياً، حيث كانوا يسمونها "شِيعَةِ النَّاصِرِيِّينَ" (الأعمال 24 :- 5)، وذلك بحسب نسخة الفاندايك للكتاب المقدس، وإلا فنسخة كتاب الحياة فقد ذكرت الاسم هكذا: "مذهب النصارى".

المسيحي:

إذن كان دين المسيح اليهودية؟

المسلم:

إن دين المسيح هو نفس دين موسى، ألم يقل المسيح: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ." (متى 5 : 17)، الناموس هو شريعة النبي موسى عليه السلام، ومعنى كلام المسيح أنه جاء على نفس تعاليم نبي الله موسى ودينه.

ولكن لم يكن موسى على دين اليهودية.

المسيحي:

كيف لا يكون موسى يهودياً وقد كان من شعب اليهود وعلى دين اليهود بل هو الذي أعطى اليهود الشريعة؟

المسلم:

إن كلمة "يهودي" هي نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، فقد أنجب سيدنا يعقوب (وهو الملقب بإسرائيل) عليه السلام 12 ابناً، كل واحد من هؤلاء الأبناء يمثل قبيلة من قبائل بني إسرائيل، لم يكن نسب سيدنا موسى يعود إلى يهوذا وإنما إلى لاوي بن يعقوب (اللاويين 6 : 16 ، 18 ، 20 و 1 أخبار الأيام 6 : 1-3)، وبالتالي ليس للنبي موسى علاقة باليهود إلا من ناحيتين: 1) أنهم أبناء عمومته. 2) أنهم اتبعوا شريعته. فكيف تم اعتبار موسى يهودياً؟ فهو لم يكن يهودياً، ولم يكن في زمنه شيء اسمه يهودية، يجب أن نعلم بأنه كما تم إطلاق المسيحية على المسيحيين ممن هم كانوا خارج المسيحية فهكذا أيضاً تم تسمية الدين الذي كان يتبعه اليهود باليهودية ممن هم كانوا خارجين عن اليهودية، فحينما اتحدت قبائل بنو إسرائيل كمملكة تحت راية الملك شاول ثم النبي داود عليه السلام انقسمت مملكة إسرائيل من بعد زمن سيدنا سليمان عليه السلام إلى دولتين: 1) مملكة إسرائيل في الشمال (عاصمتها السامرة)، والتي كان يسكنها ويحكمها غالبية قبائل بني إسرائيل. 2) ومملكة يهوذا (أو المملكة اليهودية) في الجنوب (عاصمتها أورشليم)، والتي حكمها وعاش فيها بنو يهوذا. ثم بعد فترة اندثرت مملكة إسرائيل على يد الآشوريين العراقيين ثم بعدها بفترة احتل البابليون العراقيون مملكة يهوذا، وفي زمن الروم أصبحت تلك المنطقة تسمى باليهودية، من هنا أطلق على دين أصحاب المنطقة اليهودية باليهودية باعتبار أنها دين اليهود، ولذلك لا تقرأ أبداً في العهد القديم أي تسمية للدين الذي كان بنو إسرائيل يتبعونه باليهودية.

المسيحي:

إذن ماذا كان دين موسى؟ والذي بالطبع يتبعه السؤال ماذا كان دين المسيح؟

المسلم:

أول ما كلم الله موسى قال له: "أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ" (الخروج 3 : 6)، ومثله قول النبي إيليا: "أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ" (1 الملوك 18 : 38)، أي أنه نفس الإله الذي أرسل أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وبالتالي لم يرسل الله موسى بدين آخر، وإنما نفس دين إبراهيم عليه السلام، وإذا كان نفس الإله هو

الذي بعث إبراهيم وموسى والمسيح فإن دينهم واحد، وبما أنه نفس الإله الذي ليس فقط بعث إبراهيم، وإنما هو نفس إله نوح وآدم أبو البشرية فإن دين البشرية واحد، وبالتالي لو سألنا موسى أو نوح أو أياً من أنبياء الله ما هو دينك؟ لقال ديني هو عبادة الله وحده وطاعته ومحبته والخضوع له، هذه الكلمات كلها تختصر في كلمة واحدة وهي "الإسلام"، ولذلك فنحن المسلمون نقول بأن دين جميع الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى المسيح إلى محمد هو الإسلام.

يقول الحبر اليهودي ألن ملر (Rabbi Allen Maller) وهو الزعيم الروحي لكنيس أكيبا (Temple Akiba) والذي درس في مجموعة من الجامعات الأمريكية (كجامعة لويولا ماريمونت وكلية غراتز بفيلادلفيا) والرئيس السابق لجمعية كاليفورنيا الجنوبية للأحبار الإصلاحيين (The Southern California Association of Reform Rabbis) ورئيس اللجنة اليهودية الوطنية للضيافة (The National Jewish Hospitality Committee) على موقعه الرسمي بالانترنت (على هذا الرابط: www.rabbimaller.com/judaism-and-islam/false-attacks-on-qur-an) التالي:

"إنني أيضاً لا أؤمن ولا أكفر بالقرآن [أي شخص حيادي]، إنني أحترم القرآن جداً كقرين الوحي وأنه أولاً أعطي لأناس أبناء عمومة بلغة قريبة، وفي الحقيقة العرب واللغة العربية وعقيدة القرآن قريبون جداً من قومي ولغتي وعقيدتي . . . لا يمكن أن يكون هناك تعارض ديني بين الأديان مثل اليهودية والإسلام لأن كلاهما لا يصرحان بأن كتبهما المقدسة هي الوحيدة المعطاة من الله . . . إنني أرى نفسي كحبر إصلاحي على أنني مسلم يهودي، ففي الواقع أنا مسلم يهودي أي يهودي ملتزم مُسلمٌ نفسي لمشيئة الله، وذلك لأنني حبر إصلاحي. وكحبر فإني ملتزم بالعهد الذي صنعه الله مع إبراهيم – المسلم اليهودي الأول، وأنا أسلم نفسي للعهد ووصاياه الذي صنعه الله مع أهل إسرائيل بجبل سيناء."

"I too neither believe nor disbelieve in the Qur'an. I do respect the Qur'an very much as a kindred revelation, first given to a kindred people, in a kindred language. In fact, the Arab people, the Arabic language and the Qur'an's theology are very close to my own people, language, and theology . . . There can be no religious conflict between religions like Judaism and Islam because neither of them declare that their scripture is the only one given by God . . . I think of myself as a Reform Rabbi who is a Muslim Jew. Actually I am a Muslim Jew i.e. a faithful Jew submitting to the will of God, because I am a Reform Rabbi. As a Rabbi I am faithful to the covenant that God made with Abraham – the first Muslim Jew, and I submit to the covenant and its commandments that God made with the people of Israel at Mount Sinai."

وبالطبع لم يكن سيدنا إبراهيم يهودياً لأنه ليس من نسل يهوذا بل جدهم، بل هو كما أخبر القرآن الكريم عنه:
{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)} (سورة آل عمران 65-68)

المسيحي:

ما رأيك في الأديان الأخرى غير الإبراهيمية؟

المسلم:

لقد بعث الله لكل أمة من الأمم السابقة نبياً يعلمها، ولكن الناس يحرفون تعاليم أنبيائهم ويدخلون مبتدعات كالشرك بالله وعبادة الأصنام ويقومون بتحريف كتبهم المقدسة ووصايا أنبيائهم، فالهندوسية مثلاً لو رجعت إلى أقدم الكتب المقدسة والمسماة بكتب الفيدا، لوجدت بها نصوصاً تنادي بعبادة الإله الواحد وعدم عبادة الأصنام، ولكنك تجدهم أيضاً قد حرفوها وأضافوا كتباً أخرى وبها ينادون بالشرك بالله، ولا يزال الهندوس يؤمنون بأن خالق الكون حقيقة هو إله واحد، ولكنهم يضمون إليه آلهة أخرى، بل ويعتبرونها تجليات لذلك الإله الواحد، بل وتجد في مجموعة كتب مقدسة أخرى مسماة بكتب البورانا بها ذكر لبعض أنبياء الديانات الإبراهيمية مما يبين لك علاقة تعاليمهم أنها في الأصل جاءت من الإله الحقيقي، وبما أن الإله واحد، وهو نفس الإله لجميع البشر، فإن الدين واحد، وهو دين الإسلام، فالهندوسية سميت بهذا الاسم ليس لأنه نابع من اسم الدين، وإنما نسبة إلى المنطقة التي هم فيها، وهي وادي إندوس، ومنها جاءت كلمتي الهندوسية والهند، وبالتالي الهندوسية ليست اسم الدين أصلاً، وهذا يشبه الحال مع اليهودية، والتي سميت بذلك بسبب اسم المملكة اليهودية، والتي لم تسم بذلك إلا تبعاً لعرق وشعب بني يهوذا.

المسيحي:

صحيح أنكم كمسلمين موحدين وتؤمنون بإله إبراهيم، بل وتوحيدكم صاف مثل توحيد اليهود ولكن لا تزال لدي إشكالات على مفهوم الإله عندكم.

المسلم:

مثل ماذا؟

المسيحي:

الله هو الله أليس كذلك؟ فالله لا يتغير، فكيف تبررون الناسخ والمنسوخ والتي يبدو منها أن الله يغير رأيه؟

المسلم:

الله تعالى حينما ينزل الشرائع على أنبيائهم ليست لحاجته هو إلى تلك الشرائع، بل لحاجة الناس إليها، فالزنا والقتل والكذب مثلاً تم تحريمها لأنها تضر بالمجتمعات، إذن شرائع الله إنما هي خير للبشرية، وبالتالي متى كانت شريعة مناسبة لأناس أو أقوام ألزمهم الله بها، أحياناً إنزال شريعة معينة تكون غير مناسبة في وقت معين فيعطيهم الله تعالى أمراً أولياً ووصية مبدئية ثم يعطيهم أمراً آخر في نفس المسألة حينما يكون وقتها مناسب لهم، مثل الطبيب حينما يشكو المريض من مرض ما قد يتدرج الطبيب في إعطاء الأدوية بما يناسب حالة المريض.

فمثلاً قبل زمن سيدنا موسى كانت الشريعة تجيز الجمع بين الأختين (كما حصل من زواج سيدنا يعقوب من الأختين ليئة وراحيل)، فربما كان الجمع بينهما مناسباً لذلك الوقت فلم تكن الغيرة بين النساء كما هي في زمن سيدنا موسى

بسبب شدة صفاء قلوبهن في ذلك الوقت المبكر، فأمر الله في زمن سيدنا موسى بني إسرائيل ألا يجمعوا بين الأختين حتى لا تصير عداوة بين الأخوات.

المسيحي:

ولكن لم تكن هناك شريعة قبل موسى أصلاً، ولذلك كان الزوج يجمع بين الأختين.

المسلم:

على العكس من ذلك كانت هناك شرائع قبل زمن سيدنا موسى، فالزنا والقتل والسرقة والكذب كلها كانت محرمة من قبل نبي الله موسى، بل وفي زمن سيدنا نوح تم تحريم الميتة من الحيوان ودمه والنجس وإقامة حد القتل على القاتل:
"3 كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَاماً. كَالْعُشْبِ الأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ الْجَمِيعَ. 4 غَيْرَ أَنَّ لَحْماً بِحَيَاتِهِ دَمِهِ لا تَأْكُلُوهُ . . . 6 سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ." (التكوين 9 : 3-4 ، 6)

بل ولديك مثالاً من تعاليم سيدنا نوح خاص به، وهو أن الله أمره بأن يصنع الفلك ويجمع سبعة ذكور وسبعة إناث من كل نوع من الحيوانات الطاهرة، واثنتين فقط من الحيوانات النجسة، وهذا الأمر بالطبع كان خاصاً بسيدنا نوح ولم يكن شاملاً لتعاليم سيدنا موسى، أي أنه أَمْرٌ أَمَرَ الله به سيدنا نوح ثم نسخه، أي أبطله وغيره.

المسيحي:

نعم النسخ يحصل بين شريعة وشريعة أخرى أما في الإسلام فإن النسخ وقع في نفس الشريعة، ففي نفس تعاليم الإسلام تجد أمراً ثم هذا الأمر نسخ بأمر آخر، فالنسخ لا يمكن أن يحصل في تعاليم نفس النبي.

المسلم:

من أين جئت بهذا الكلام؟ طالما أن هناك نسخاً وتغييراً لأوامر الله فلا يلزم أن يقتصر هذا النسخ أن يكون حاصلاً فقط بين نبي ونبي آخر مختلفاً عنه، تعال وانظر مثلاً إلى هذين الأمرين من أوامر المسيح، فمرة يأمر أتباعه بألا يكرزوا ولا يبشروا إلا لبني إسرائيل فقط ويمنعوا من دعوة وتبشير أي أمة غيرهم، ومرة يبين بأن دعوته والكرازة تكون لجميع الأمم:

- "5 هَؤُلاَءِ الاِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. 6 بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ." (متى 10 : 5-6)
- "وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلاً بِالإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ." (مرقس 13 : 10)

ما رأيك هل يتناقض النصّان أم أن الله يغير رأيه؟

المسيحي:

لا يتناقض النصان، وإنما في البداية كانت بشارة المسيح خاصة ببني إسرائيل ولكن حينما رفضوه ولم يستجيبوا له تحول عنهم إلى بقية الأمم، إنها أوامر متناسبة مع المواقف.

المسلم:

جميل، يعني ناسخ ومنسوخ في تعاليم نفس النبي؟

المسيحي:

لا نسميه ناسخ ومنسوخ.

المسلم:

الإشكالية ليست في المسمى، وإنما الإشكالية في الفكرة، الناسخ والمنسوخ إنما هو إبطال حكم إلهي أو استبداله بحكم آخر أنسب منه في الوقت الذي نزل فيه الحكم، وهو بالضبط ما حصل لأمر المسيح عليه السلام.

وأنتم حينما تنكرون وجود الناسخ والمنسوخ فإنكم بذلك تنكرون نصوصاً كثيرة في كتبكم تبين تغير الأوامر الإلهية ثم تناقضون مثل هذه النصوص:

"7 : 12 لأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ الْكَهَنُوتُ فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضاً . . . 7 :- 18 فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضُعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا، 7 :- 19 إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئاً. وَلَكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللهِ. . . 8 : 13 فَإِذْ قَالَ «جَدِيداً» عَتَّقَ الأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الاِضْمِحْلاَلِ." (العبرانيون 7 : 12 ، 18-19 / 8 : 13)

المسيحي:

هناك إشكالية أخرى في الله في الإسلام أليس القرآن يصف الله بالمكر؟ ألا ترى بأن صفة الخداع تخالف كمال الله؟

المسلم:

يجب أولاً معرفة كلمة "المكر" لدى لغة العرب حيث نزل القرآن بهذه اللغة، فالمكر مكران: مكر محمود ومكر مذموم، فالمكر المحمود هو استدراج المجرم إلى نتائج سوء عمله، وذلك كما تقوم الشرطة حينما تريد القبض على المجرمين فإن الشرطة تتركهم لتخطيطاتهم وهي تعلم بما يخطط المجرمون حتى يقعوا في شر أعمالهم فيقبضوا عليهم متلبسين وتقام عليهم العقوبة، ولذلك يقول الله في حق المجرمين: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} (الأعراف 182)

وقد بين الله تعالى بأن مكره على الماكرين واستدراجه لهم بأن يتركهم ثم يعاقبهم على ما فعلوه دنيوياً وآخروياً كما في الآيات التالية:

- {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} (البقرة 9-10)
- {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} (البقرة 14-16)
- {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ} (النمل 50-51)
- {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ . . . فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} (آل عمران 54 ، 56)

وأما المكر المذموم فهو المكر السيء والمقصود منه ذلك المكر المبني على الخداع والظلم والأهداف الشريرة كما في قوله تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} (فاطر 43)، وهو الذي لا يتصف الله به، وإنما هو وصف المجرمين الماكرين.

ولاحظ المكر المحمود لا يكون إلا مع مجرمين ماكرين كما صرحت به الآيات الكريمات، والذي بينت بأن المقصود منه استدراج المجرم لجريمته.

هذا عن القرآن الكريم، ولكنني أتعجب من ذكرك للقرآن الكريم مع أن في الكتاب المقدس ما هو أغرب، إليك هذه النصوص ولا أريدك أن تبررها بقدر ما أريدك أن تتفكر فيها:

- "11 وَلأَجْلِ هذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، 12 لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ." (2 تسالونيكي 2 : 11-12)
- "فَإِذَا ضَلَّ النَّبِيُّ وَتَكَلَّمَ كَلاَماً فَأَنَا الرَّبُّ قَدْ أَضْلَلْتُ ذلِكَ النَّبِيَّ، وَسَأَمُدُّ يَدِي عَلَيْهِ وَأُبِيدُهُ مِنْ وَسَطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ." (حزقيال 14 : 9)
- "وَالآنَ هُوَذَا قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ هؤُلاَءِ، وَالرَّبُّ تَكَلَّمَ عَلَيْكَ بِشَرّ." (1 الملوك 22 : 23)
- "آهِ يَا سَيِّدُ الرَّبُّ حَقّاً إِنَّكَ خِدَاعاً خَادَعْتَ هذَا الشَّعْبَ وَأُورُشَلِيمَ قَائِلاً: يَكُونُ لَكُمْ سَلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَ السَّيْفُ النَّفْسَ." (إرميا 4 : 10)
- "10 الرَّبُّ أَبْطَلَ مُؤَامَرَةَ الأُمَمِ. لاَشَى أَفْكَارَ الشُّعُوبِ. 11 أَمَّا مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الأَبَدِ تَثْبُتُ." (المزامير 33 : 10-11)
- "كَمَا أَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ هكَذَا يُعْطِي نِعْمَةً لِلْمُتَوَاضِعِينَ." (الأمثال 3 : 34)
- "2 قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعاً عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ قَائِلِينَ: 3 [لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا]. 4 اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ." (المزامير 2 : 2-4)

المسيحي:

ولكن أليس الإسلام أيضاً يعلم بأن الله هو الذي يضلل الناس كما نقرأ في القرآن: {فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (فاطر 8)

المسلم:

يجب أن نفرق أولاً بين قدرة الله وإرادته، فعن القدرة فإنه لا شيء يتحرك ولا شيء يقف إلا وهو بقدرة القادر على كل شيء، أي عمل تبذله أو حتى تفكر فيه إنما هي قدرة أعطاك الله إياها، فلا شيء من خير ولا شر إلا هو بقدرة من الله، بل ولا تدور الأرض ولا تسبح الأفلاك إلا بقدرته تعالى، ولا النار تحرق ولا السكين يقطع إلا به تعالى، وبالتالي وقوع الإنسان في الضلال أو اختياره للخير إنما هي قدرة وهبها الله لذلك الإنسان، ومن هنا تفهم أن الضلال والهداية إنما هما بالله.

وأما الإرادة فإن كل شيء خاضع تحت إرادته، ولا يخرج شيء عن تلك الإرادة المطلقة، إلا أنه من إرادته أيضاً أنه تعالى جعل للناس إرادة خاصة بهم (بالطبع خاضعة تحت إرادته) فيسمح تعالى بإرادته لمن أراد أن يضل فليضل ومن أراد أن يهتدي فليهتدي، وقد بيّن الله تعالى ذلك في قوله: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (الانفطار 28-29)

فالله تعالى لا يجبر الناس على الضلال وإنما بإرادته يأذن (يسمح) للناس إن أرادوا أن يضلوا فيضلوا: {أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ} (البقرة 221)، وقوله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (التغابن 11)

هذا عن الإسلام وأما المسيحية فهي تعلم بأن الله يضل الناس، بل إن الضال إنما خلقه الله وجبله على الضلال مثلما يشكل الصانع الفخار، وكذلك هدايته:

- "18 فَإِذاً هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ. 20 فَسَتَقُولُ لِي: «لِمَاذَا يَلُومُ بَعْدُ لأَنْ مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ؟» 20 بَلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللهَ؟ أَلَعَلَّ الْجِبْلَةَ تَقُولُ لِجَابِلِهَا: «لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هَكَذَا؟» 21 أَمْ لَيْسَ لِلْخَزَّافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ؟" (رومية 9 : 18-21)
- "وَلَكِنِّي أُقَسِّي قَلْبَ فِرْعَوْنَ وَأُكَثِّرُ آيَاتِي وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ." (الخروج 7 : 3)
- "لِمَاذَا أَضْلَلْتَنَا يَا رَبُّ عَنْ طُرُقِكَ قَسَّيْتَ قُلُوبَنَا عَنْ مَخَافَتِكَ؟" (أشعياء 63 : 17)
-"39 لِهَذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لأَنَّ إِشَعْيَاءَ قَالَ أَيْضاً: 40 «قَدْ أَعْمَى عُيُونَهُمْ وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ لِئَلَّا يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ»." (يوحنا 12 : 39-40)
- "11 وَلأَجْلِ هَذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، 12 لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ." (2 تسالونيكي 2 : 11-12)
- "فَإِذَا ضَلَّ النَّبِيُّ وَتَكَلَّمَ كَلاَماً فَأَنَا الرَّبَّ قَدْ أَضْلَلْتُ ذَلِكَ النَّبِيَّ، وَسَأَمُدُّ يَدِي عَلَيْهِ وَأُبِيدُهُ مِنْ وَسَطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ." (حزقيال 14 : 9)
- " لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ بَلْ لِشُهُودٍسَبَقَ اللهُ فَانْتَخَبَهُمْ" (الأعمال 10 : 41)
- "29 لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. 30 وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ فَهَؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ فَهَؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ فَهَؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضاً. (رومية 8 : 29-30)

- "كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ" (إفسس 1 : 4)
- "مُعَيَّنِينَ سَابِقاً حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ" (أفسس 1 : 11)
- "وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ" (غلاطية 1 : 15)

المسيحي:

ألا يتصف الله في الإسلام بأنه الجبار والمنتقم بينما يوصف الله في المسيحية بالمحبة ثم إن علاقة المسلم بربه علاقة خوف بينما علاقة المسيحي بربه علاقة محبة؟

المسلم:

إنما الجبار والمنتقم من أوصاف الله تعالى، فهو صاحب القوة والجبروت، وهو المعاقب والمنتقم ممن يخالف أوامره ويكفر به ويؤذي خلقه، وإلا فمن أوصافه تعالى أيضاً الودود (من المودة أي المحبة)، والرحمن والرحيم والعدل، فيجب أخذ الصورة كاملة، كما أن علاقة المسلم بربه يجمع بين ثلاثة مشاعر المحبة والخوف والرجاء، فهو يحب الله أكثر من أي شيء وفوق كل شيء، وهو يخاف من الله ويرجوا منه أكثر من أي شيء، فهو يحب الله في كل حاله، ويخاف من أن يعصيه ويخالف أوامره ويرجوا منه الخير وينتظر منه الرحمة، كما أن الله سبحانه وتعالى يحب المؤمنين ويغضب ممن يكفر به.

- {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (آل عمران 31)
- {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (المائدة 54)
- {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} (البقرة 165)

وهناك آيات كثيرة تذكر بأن الله يحب التوابين والمحسنين والمتطهرين والصابرين والمتقين وأنه تعالى لا يحب المفسدين والمعتدين.

وكما يجب أن نأخذ صورة كاملة عن الله في القرآن الكريم يجب كذلك أن نأخذ صورة كاملة أيضاً عنه تعالى في الكتاب المقدس، فكما وُصِف الله بالمحبة قد وصف أيضاً بالمنتقم والجبار والمخوف، وكذلك كما أن علاقة المؤمن بحسب الكتاب المقدس علاقة محبة هي أيضاً علاقة خوف، بل إن الخوف يعتبر أساساً في المعاملة مع الله:"كُنْ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ الْيَوْمَ كُلَّهُ." (الأمثال 23 :- 17) بل "رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ." (المزامير 111 :- 10) وكذلك "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ." (الأمثال 1 :- 7) وأيضاً "بَدْءُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ" (الأمثال 9 :- 10) وذلك لأنه "فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ الْحَيَدَانُ عَنِ الشَّرِّ." (الأمثال 16 : 6)

وللأسف الكثير من المسيحيين لا يعرفون الله، يظنون أنه فقط محبة ولا شيء آخر، وإذا كان هذا الكلام صحيحاً فلماذا إذن مخافة الرب رأس الحكمة وبدايتها ورأس المعرفة؟ وفي الحقيقة هؤلاء ربما لم يقرأوا الكتاب المقدس جيداً، فكما وصف الكتاب المقدس الله بالمحبة وصفه أيضاً بأنه "مُنْتَقِمٌ وَذُو سَخَطٍ" (ناحوم 1 :- 2) أو كما يصف الله نفسه: "لِيَ النَّقْمَةُ وَالجَزَاءُ." (التثنية 32 :- 35) "وَبِغَضَبٍ وَغَيْظٍ أَنْتَقِمُ مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا." (ميخا 5 :- 15) فهو "الإِلهُ العَظِيمُ الجَبَّارُ المَهِيبُ" (التثنية 10 :- 17)، وهو "الإِلَهَ الْعَظِيمَ الْجَبَّارَ الْمَخُوفَ" (نحيميا 9 :- 32)، إنه "إِلَهٌ مَهُوبٌ جِدّاً

فِي مُؤَامَرَةِ الْقِدِّيسِينَ وَمَخُوفٌ عِنْدَ جَمِيعِ الَّذِينَ حَوْلَهُ." (المزامير 89 :- 7) وبالتالي كما في العهد الجديد كم هو "مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!" (العبرانيين 10 :- 31)، ولذلك فليحذر كل إنسان من مخالفاته لله "لأَنَّ الرَّبَّ مُنْتَقِمٌ لِهَذِهِ كُلِّهَا" (1 تسالونيكي 4 : 6)

المسيحي:

بقيت لدي إشكالية الجنة والنار، فالمسيحية تعلم بأن الله رحيم، وبالتالي لن يعاقب الناس في نار أبدية، كما أن القيامة ستكون روحية ألا ترى بأن الإسلام دين جسدي ويدعوا إلى شهوات الجسد عبر فكرة الحور عين والتزاوج في الجنة؟

المسلم:

نحن لا نقول بأن نعيم الآخرة نعيم جسدي فقط، بل نرى بأنه نعيم روحي أولاً ثم يتبعه النعيم الجسدي: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (التتوبة 72)

لاحظ في الآية السابقة بأن رضوان الله (وهو النعيم الروحي) أكبر -أي أعظم- من الجنات بجمالياتها (وهي النعيم الجسدي)، وبالتالي كما قلت بأن الأساس هو النعيم الروحي ولا مانع من أن يدرج لنا الله إلى جانبها النعيم الجسدي، فماذا في ذلك؟

وبالطبع إن الخلاف بيننا وبينكم هو أصلا هل قيامتنا ستكون بالأرواح فقط أم بالأرواح مع الأجساد؟ هذا الخلاف هو الذي أدى للنتيجة المختلفة، فلو قلنا بالأرواح فقط فإن معنى ذلك أن النعيم في الآخرة وكذلك العذاب سيكونان روحيان فقط، بينما لو كانت القيامة بالأجساد أيضاً فمن دون شك فإن النعيم والعذاب سيكونان جسديان أيضاً.

المسيحي:

قال المسيح: "لأَنَّهُمْ مَتَى قَامُوا مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ." (مرقس 12 : 25)

ومن هنا ترى بأن المسيح يبين بأنهم سيكونون مثل الملائكة الذين هم أرواح (العبرانيون 1 :- 14)، ولأن القيامة بالأرواح فالحياة ستكون روحية لا زواج فيها، ويشهد القديس بولس بأن القيامة قيامة أرواح:

"وَكَنِيسَةِ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ. . . وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ." (العبرانيون 12 : 23)

المسلم:

هذه الآية التي استدللت بها يقول المسيح في الآية التي قبلها: "فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ لِهَذَا تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللَّهِ؟" (مرقس 12 : 24)

لقد وبخهم المسيح لأنهم لم يقرأوا الكتب، أي كتب العهد القديم، وبالتالي نسأل ما الذي يقوله العهد القديم عن قيامة الأموات هل هي بالأجساد أم فقط بالأرواح؟

هذا ما يصرح به العهد القديم:
"وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ هَؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ وَهَؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلاِزْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ." (دانيال 12 : 2)
فقوله : "الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ" يدل على أن القيامة بالأجساد لأن الرقود في تراب الأرض إنما يكون بالأجساد.

بل وقد تم التصريح بأن القيامة تكون بالأجساد ولكن قامت نسخة الفاندايك العربية بتحريف النص إلى جعله عكس ما يقوله النص تماماً:
"وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هَذَاوَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ." (أيوب 19 : 26)

فالنص بهذا الشكل ينكر قيامة الجسد ليجعلها قيامة روحية، ولكن هذا النص بهذا الشكل محرف فالنص العبري ليس فيه النفي، ولذلك قامت تراجم ونسخ عربية أخرى للكتاب المقدس بتعديل النص إلى:

"فتلبس هذه الأعضاء جلدي وبجسدي أعاين الله." (بحسب الترجمة العربية المشتركة)
"وبعد أن يكون جلدي قد تمزق أعاين الله في جسدي." (بحسب النسخة اليسوعية)
"وحتى إن فني جلدي، فإني بهذا الجسم أرى الله." (بحسب نسخة الإنجيل الشريف)

بل إن نفس نسخة الفاندايك الذي حرفت النص جعلت النص الذي بعده هكذا:
"الَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ." (أيوب 19 : 27)
فقوله: "وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ" يبين بأن المقصود به الجسد (فالعينين جسدية).

وبالإضافة إلى ما سبق لدينا هذا النص الهام:
"تَحْيَا أَمْوَاتُكَ. تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا. تَرَنَّمُوا يَا سُكَّانَ التُّرَابِ." (أشعياء 26 : 19)

إذن حينما يطالب المسيح اليهود بالرجوع إلى الكتب باعتبار القيامة روحية فإننا لا نجد الكلام صحيحاً بل ما نجده هو قيامة الأجساد، وهذا مما يبين بأن هذا النص أصلا قد تم تلفيقه على المسيح.

وانظر إلى نصوص أخرى للمسيح وهو يؤكد عكس ذلك وهو أن القيامة ستكون بالأجساد وفيها مشاعر الأجساد كالعطش والشرب والحرق بالنار ووجود تفاصيل الأعضاء الجسدية كاللسان والعينين والإصبع والأسنان واليدين، كما أن العذاب يكون في نار أبدية:

- فحينما تحدث المسيح عن الغني المتكبر الذي مات وأُخِذ إلى العذاب الجسدي: "23 فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْهَاوِيَةِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ 24 فَنَادَى: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمُ ارْحَمْنِي وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللهِيبِ." (لوقا 16 : 23-24)
- "وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ." (متى 13 : 50)

- "8 فَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ أَوْ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي النَّارِ الأَبَدِيَّةِ وَلَكَ يَدَانِ أَوْ رِجْلاَنِ. 9 وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي جَهَنَّمَ النَّارِ وَلَكَ عَيْنَانِ." (متى 18 : 8-9)
- "وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ." (متى 10 : 28)
- "ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ." (متى 25 : 41)
- "فَيَمْضِي هَؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ». (متى 25 : 46)
- "10 وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ أَمَامَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ وَأَمَامَ الْحَمَلِ. 11 وَيَصْعَدُ دُخَانُ عَذَابِهِمْ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. وَلاَ تَكُونُ رَاحَةٌ نَهَاراً وَلَيْلاً" (الرؤيا 14 : 10-11)

مما سبق يتبين بأن القيامة ستكون بالأجساد، وحاضرة فيها مشاعر تلك الأجساد، ولذلك فالعذاب سيكون أيضاً عذاباً جسدياً (إلى جانب العذاب الروحي)، وهو عذاب بنار أبدية في أتون من نار، وبالتالي حتى النعيم سيكون إلى جانب النعيم الروحي نعيماً جسدياً طالما أن الأجساد في الآخرة تشعر بالعطش وتشرب، بل ومن عدل الله وفضله أن يتعذب غير المؤمنين والأشرار بعذابين جسدي وروحي ويقابله نعيم المؤمنين والصالحين نعيمين: النعيم الروحي والنعيم الجسدي.

الفصل الثالث

الاشتراك في المنطقة والثقافة

المسيحي:

قلت بأن الإسلام والمسيحية متقاربان، وأن من ذلك التقارب هو أن المسيح ومحمداً كلاهما من نسل إبراهيم، وماذا غير ذلك؟

المسلم:

ذكرت بأن هناك الاشتراك في النسب الإبراهيمي، وأن هناك اشتراك في الدين والمعتقد المختص بالله، وفي العبادة، بالإضافة إلى الاشتراك في المنطقة والثقافة، فكل من المسيح ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهما عاشا في الشرق الأوسط، وبالتالي ثقافتهما متقاربة جداً، حتى أن لغة المسيح التي هي الآرامية هي لغة قريبة من لغة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي هي العربية، وكلا اللغتين تعتبران من اللغات السامية، والتي تضم أيضاً اللغة العبرية لغة نبي الله موسى عليه السلام، فنسمع مثلاً تحية المسلمين: السلام عليكم، وهي من أجمل تحايا الأرض لأنها تمني السلام والأمان، سلامة القلب وأمان البدن، وهكذا كان المسيح يحيي تلامذته (لوقا 24 :- 36) وهي في لغته: "شلاما عليخو" (وفي العبرية لغة سيدنا موسى عليه السلام: "شالوم غليخم")، وأصحاب ثقافة الشرق الأوسط ترى حتى مظهرهم ولباسهم فيه تشابهاً، ولذلك نجد بأن الرجال كانوا يحافظون على لبس العمائم (زكريا 3 :- 5) وهو بالضبط ما كان يعمله النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما أن أهل الجنة مع المسيح دائماً يتم رسمهم على أنهم يلبسون ثياباً بيضاً (وهو يرمز إلى النقاء)، وهكذا كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يحب لبس البياض، بل وهو الغالب على المسلمين تشبهاً به صلى الله عليه وسلم، وكذلك حينما يتم رسم سيدتنا مريم عليها السلام في التقليد المسيحي فإنه يوضع لها حجاباً، وفي الحقيقة هذا كان من عادة النساء المؤمنات أنهن يضعن حجاباً على رؤوسهن، ونرى هذه المحافظة موجودة في الإسلام.

المسيحي:

ولكن الحجاب كان مجرد عادة لدى المسيحيين الأوائل، وأما الآن فقد تغيّرت هذه العادة، وأما لديكم في الإسلام فإنه ليس مجرد عادة، وإنما التزام ديني.

المسلم:

بالنسبة للمسيحية حجاب المرأة التزام ديني أيضاً، وليس مجرد عادة، فللأسف الكثير من المسيحيين ينظرون إلى الحجاب على أنه مجرد عادة مع أن دينهم يبين لهم بأن لبس الحجاب من تدين المؤمنات، كما نقرأ في العهد الجديد: "وَكَذَلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ" (1 تيطس 2 :- 9)، وأيضاً: "إِذِ الْمَرْأَةُ إِنْ كَانَتْ لاَ تَتَغَطَّى فَلْيُقَصَّ شَعَرُهَا. وَإِنْ كَانَ قَبِيحاً بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُقَصَّ أَوْ تُحْلَقَ فَلْتَتَغَطَّ." (1 كولوسي 11 : 6)

المسيحي:

لا أنكر أن على المرأة المسيحية أن تلبس لباساً محتشماً على عكس ما تعمله الكثير من نساء اليوم، ولكنني معترض على فهمك لنص لبس حجاب الرأس، فقد أمر الرسول بولس المرأة بأن تتحجب تماشياً مع المجتمع الذي كانت فيه، فهو لم يكن أمراً دينياً، وإنما مجرد عادة اجتماعية.

المسلم:

لو كان الحجاب مجرد اتباع العادة السائدة، وليس أمراً دينياً لما توعد بولس بقص شعر غير المتحجبة، فمن يخالف عادة لا يلام إلى درجة الوعيد والتهديد، إضافة إلى ذلك بيّن بولس بأن المرأة يجب أن تغطي شعرها لا لأسباب اجتماعية، وإنما لأسباب فطرية (والأسباب الفطرية كما هو معلوم تكون ثابتة ليست كالاجتماعية التي يمكن أن تتغير من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان) حيث يبين سببين لذلك: 1- أن المرأة خلقت من الرجل وليس العكس. 2- أنها خُلِقت من أجل الرجل. لنقرأ سياق كلام بولس:

"6 إِذِ الْمَرْأَةُ إِنْ كَانَتْ لاَ تَتَغَطَّى فَلْيُقَصَّ شَعَرُهَا. وَإِنْ كَانَ قَبِيحاً بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُقَصَّ أَوْ تُحْلَقَ فَلْتَتَغَطَّ. 7 فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ. 8 لأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ. 9 وَلأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ. 10 لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ أَجْلِ الْمَلاَئِكَةِ." (1 كورنثوس 11 : 6-10)

ولم يقف بولس عند ذلك بل صرّح بوضوح بأنها من الطبيعة أي أنها فطرية؛ حيث قال:
"احْكُمُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: هَلْ يَلِيقُ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُصَلِّيَ إِلَى اللهِ وَهِيَ غَيْرُ مُغَطَّاةٍ؟ أَمْ لَيْسَتِ الطَّبِيعَةُ نَفْسُهَا تُعَلِّمُكُمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِنْ كَانَ يُرْخِي شَعْرَهُ فَهُوَ عَيْبٌ لَهُ؟" (1 كورنثوس 11 : 13-14)

وبالتالي إن التأكيد على فطرية الحجاب تم بثلاثة نقاط:
1- لأن المرأة من الرجل ولأنها لأجله خُلِقت.
2- لأن الطبيعة تُعَلِّم ذلك.
3- جعل عليها وعيداً أن يقص شعرها إن لم تتحجب.

إن عادة المسيحيين اليوم في كشف المرأة لشعرها إنما هو مخالف لتعاليم الكتاب المقدس، وما سبب ذلك إلا سقوط الكثير من المسيحيين تحت ما تمليه العلمانية اليوم.

المسيحي:

لماذا برأيك يأمر الله المرأة بالحجاب؟ ولماذا لم يأمر الرجال بذلك؟

المسلم:

هناك سببان بحسب الكتاب المقدس: السبب الأول مصرّح به، والسبب الثاني يُفهم من عدة نصوص أخرى. فالسبب المصرّح به هو أن الحجاب يعتبر رمزاً لخضوع المرأة للرجل، فخضوع المرأة للرجل بحسب الكتاب المقدس سببه الخطيئة الأصلية حينما أكل آباؤنا آدم وحواء من الشجرة فعوقبت المرأة بأن زوجها يرأسها: "وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ" (التكوين 3 : 16) (هذا بحسب نسخة الفانديك العربية وإلا بحسب ترجمة الحياة: "وهو يتسلط عليك")، وبناء على ما ورد في العهد القديم يأتي العهد الجديد ليتفق في ذلك معه: "22 أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، 23 لأَنَّ الرَّجُلَ

هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. 24 وَلَكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذَلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ." (أفسس 5 : 22-24)، وتتكرر الأوامر بخضوع المرأة للرجل في مواضع عدة في العهد الجديد (كولوسي 3 : 18 وتيطس 2 : 5 و 1 بطرس 3 : 1 ، 5-6)، فكانت من آثار ذلك الخضوع أن تلزم المرأة بأربعة أمور:

1- أن تطيع الرجل في كل شيء (أفسس 5 : 24)
2- أن يكن "مُلاَزِمَاتٍ بُيُوتَهُنَّ" (تيطس 2 : 5)
3- أن لا تعلّم الرجال ولا تتكلم أمامهم ولا تسألهم إلا زوجها فقط (1 كورنثوس 14 : 34-35)
4- أن تتحجب باعتبار أن الحجاب هو رمز لذلك الخضوع (1 كورنثوس 11 : 10)، حيث وصف الحجاب في هذا النص بأنه "سلطان على رأسها" أي سلطان الرجل عليها، أو كما ترجمته كل من ترجمة الحياة والترجمة العربية المشتركة والنسخة البولسية إلى "علامة الخضوع".

المسيحي:

وما هو السبب الثاني برأيك؟

المسلم:

السبب الثاني هو أنه من الحشمة أن تتستر المرأة فلا ينكشف شعرها، فإذا كان المسيح قد حذر من نظر الرجل بشهوة إلى المرأة (متى 5 : 28) فإن ذلك يدل على أن الرجال لديهم تلك النظرة المحرمة ناحية المرأة، وبالتالي وجب عليها كما أوصى بولس أن تكون النساء "عَفِيفَاتٍ" (تيطس 2 : 5) وأن "يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ" (1 تيموثاوس 2 : 9)، وبالتالي عليهن أيضاً أن يغطين شعورهن.

المسيحي:

ماذا عن الإسلام؟ هل حجاب المرأة لنفس السببين؟

المسلم:

الإسلام يخالف المسيحية في السبب الأول، فالإسلام لا يعلم بأن الحجاب رمز الخضوع كما هو في المسيحية، وإنما أهمية الحجاب في الإسلام هو حماية المرأة من أذى الرجال، وهذا الذي صرّح به القرآن الكريم:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (الأحزاب 59)

وحتى يتبين لك أهمية هذا الكلام أنت تعلم بأن العالم مليء بحوادث الاغتصابات والتحرشات الجنسية، وبحسب المركز الأمريكي مركز دراسات النساء الوطني (National Women's Study) وصلت الإساءات الغرائزية إلى 1900 إساءة يومياً! (راجع الرابط التالي: http://www.paralumun.com/issuesrapestats.htm)

كما أن 99 % من هذه الحوادث تحصل على يد الرجال، لماذا؟ لقد اكتشف العلم الحديث بأن هناك هرمونات كثيرة في جسم الإنسان (والهرمونات هي مواد كيميائية تحفز أعضاء الجسم لأعمال معينة)، إحدى أهم هذه الهرمونات هو هرمون الذكورة التستسترون، هذا الهرمون له علاقة في بعض الصفات الذكورية الجسمية والنفسية، فبسببه ينبت الشارب واللحية وتظهر العضلات في الرجال على النحو الذي نلاحظه بشكل أكبر من عضلات المرأة، وكذلك يرفع الحافز للعنف والغرائز الشهوانية، وهذا الهرمون وجوده في الرجال أكثر بكثير من وجوده في النساء (ما بين عشرة إلى عشرين ضعفاً!)، ويعلق على الاغتصاب الدكتور ليونارد ساكس (Leonard Sax) في كتابه "لماذا الفروقات بين الجنسين هامة؟" (*Why Gender Matters*) (ص 123 ط 2006) بقوله:

"إن الرغبة الجنسية في كثير من الأولاد كما في بعض الرجال مرتبطة جداً بالعنف، وهذا من غير المستغرب لأن الرغبة الجنسية والرغبة العنفية في الذكور متداخلتان في هرمون التستسترون. ففي دراسة دقيقة نُفاجأ بأن نسبة عالية -35%- من طلبة الجامعة العاديين يقولون بأنهم ليس فقط يتمنون ممارسة الاغتصاب وإنما سيغتصبون امرأة إذا وجدوا الفرصة مع ضمان عدم قبض الشرطة عليهم، وفي دراسة أخرى لطلبة الجامعة وجدت بأن أكثر من نصف الرجال يقولون بأنهم سيغتصبون امرأة إذا ضمنوا نجاتهم من العقاب . . . إن الرجال الأكثر ثقافة وتعليماً ليسوا بأقل في تمنّيهم للاغتصاب من الرجال الأقل ثقافة وتعليماً."

وليست الهرمونات هي المسؤولة فقط عن الغرائز وعن زيادتها لدى الرجل، بل وكذلك التركيب الدماغي للرجل مهيأ للاستثارة بشكل أشد من المرأة، ومهيأ للعنف بشكل أكبر من المرأة، وأهم منطقة في الدماغ مسؤولة عما نحن بصدده منطقة دماغية اسمها اللوزة العصبية أو الأميغدالا (Amygdala)، وهذه المنطقة تختلف بين الرجل والمرأة ففي الرجال تزيد من عنفهم بينما في النساء فتهدئهم أكثر، فيبين البروفسور لاري كاهل في مقالة له بعنوان:
"Human Brain Imaging Studies of Emotional Memory"
(والمنشور على الموقع العلمي التالي: http://www.ncbi.nlm.nih.gov/bookshelf/br.fcgi?book=frplas&part=ch15)
بأنهم وجدوا بأن تلف اللوزة في إناث القرود يجعلها تميل للعنف ويحصل العكس في حالة تلفها في الذكور، وأما بالنسبة لعلاقة اللوزة بالشهوة الغرائزية فإن الدكتور ستيفن هامن (Steven Hamann) وزملاءه من قسم علم النفس بجامعة إموري الأمريكية اكتشفوا عن طريق التصوير بالرنين المغناطيسي (وبجعل مجموعة من الرجال والنساء يشاهدون مقاطع مثيرة) أن نشاط اللوزة في الرجال أكبر بكثير من النساء، وبهذا ختم أولئك الخبراء نتيجة اكتشافهم بالقول: "لوزة الإنسان ربما تلعب دوراً هاماً في المستثيرات البصرية لسلوك الرجل الغرائزي والذي يطابق الاكتشافات السابقة في الحيوانات." (مصدر الدراسة: الموقع العلمي:
http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/15004563?ordinalpos=1&itool=EntrezSystem2.PEntrez.Pubmed.Pubmed_ResultsPanel.Pubmed_DiscoveryPanel.Pubmed_RVAbstractPlus)

وهناك دراسة أخرى لجامعة مونتريال الكندية تبين بأن الرجال وقت الاستثارة البصرية تتفاعل أيضاً منطقتا المهاد (Thalamus) والوطاء (Hypothalamus) في الرجل أكثر من المرأة (راجع الموقع العلمي التالي: http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/11870922?ordinalpos=1&itool=EntrezSystem2.PEntrez.Pubmed.Pubmed_ResultsPanel.Pubmed_DiscoveryPanel.Pubmed_Discovery_RA&linkpos=1&log$=relatedarticles&logdbfrom=pubmed)

إذن مما سبق نفهم بأن زيادة هرمون التستسترون في الرجل عن المرأة هو الذي يجعل الرجل أكثر ميلاً للعنف وأكثر غرائزية من المرأة، وبالتالي فإن هرمون التستسترون هو الذي يفسر لنا لماذا الاغتصابات عادة تحصل من الرجال، ثم إن اكتشاف تفاعل المناطق الدماغية كاللوزة العصبية والمهاد والوطاء مع المستثيرات البصرية في الرجال أكثر من النساء يدل على أن الرجال يتأثرون بالنظر أكثر من النساء، وبالتالي نفهم لماذا أمر كلاً من الإسلام المرأة بالحجاب (بالإضافة إلى الأمر بغض البصر).

المسيحي:

ولكن ألا يبيح الإسلام تعدد الزوجات؟ فالمسيحية تعلم الاكتفاء بزوجة واحدة فقط، والزيادة على ذلك يعد زنا.

المسلم:

إن الكتاب المقدس لا يحرم تعدد الزوجات، وإنما حرمته المسيحية، فتعدد الزوجات كان سمة الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم (الذي تزوج سارة وهاجر وقطورة) ويعقوب (الذي تزوج ليئة وراحيل) وموسى (الذي تزوج صفورة وامرأة كوشية) وداود (الذي تزوج ثمانية زوجات) وغيرهم، وفي الحقيقة كان التعدد شائعاً في العهد القديم، ولم ينههم الله عن ذلك، بل جوزها لهم، ولكن جعل عليهم شرطاً: "إِنِ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ أُخْرَى لا يُنَقِّصُ طَعَامَهَا وَكِسْوَتَهَا وَمُعَاشَرَتَهَا. وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَهَا هَذِهِ الثَّلاثَ تَخْرُجُ مَجَّانا بِلا ثَمَنٍ." (الخروج 21 :- 10-11) أي أن تعدد الزوجات يشترط فيه العدل بين الزوجات، هذا هو بالضبط ما يعلمه الإسلام.

المسيحي:

ولكن المسيح لاحقاً حرم التعدد، فقد قال المسيح بأن الأصل هو رجل واحد وامرأة واحدة؛ حيث قال: "4 أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَراً وَأُنْثَى؟ . . . مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً" (متى 19 : 4-5)

المسلم:

كلام المسيح هنا ليس له دخل بتعدد الزوجات، وإنما كلامه عن الطلاق حيث أنه كان يجيب على هذا السؤال: "وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ قَائِلِينَ لَهُ: «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟»" (متى 19 : 3)

فما دخل التعدد هنا؟ نعم خلق الله الإنسان أولاً ذكراً واحداً وهو آدم وامرأة واحدة وهي حواء، ولا يعني ذلك تحريم التعدد، وإنما حتى تكون جميع البشرية وجميع الأعراق هم من نفس الأب ونفس الأم ليكونوا إخوة في الإنسانية فلا يكون هناك تفريق بين الناس كما حصل من اليهود بأن رأوا أنفسهم الشعب المتعالي على جميع الناس، أو ما حصل من احتقار لأهل أفريقيا بسبب بشرتهم السمراء.

وكلام المسيح الذي اقتبسته إنما اقتبسه المسيح عن العهد القديم (التكوين 2 :- 24)، والعهد القديم نفسه كما رأيت في إجابتي السابقة يبيح تعدد الزوجات، ولا أظن أنك ممن يرى تناقض العهد القديم.

المسيحي:

حسناً ما رأيك في هذا النص الذي يقول المسيح فيه:
"إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي." (متى 19 : 9)

فانظر كيف وصف المسيح بأن الذي يتزوج بأخرى يزني؟

المسلم:

من أقدم المخطوطات اليونانية لإنجيل متى التي بها متى 19 :- 9 هي مخطوطة اسمها البردي 25 (ورمزها P25) والمخطوطة الفاتيكانية (ورمزها B) (كلتاهما كتبتا في القرن الرابع الميلادي)، وفي هاتين المخطوطتين لا توجد عبارة "وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى"، أي أن هذه العبارة أضيفت على إنجيل متى.

لماذا أضافها بعض النساخ؟ حتى تتوافق مع ما كتب في إنجيل مرقس 10 :- 11 : "مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي عَلَيْهَا."، ولاحظ هنا الآتي: إنجيل متى لا توجد به عبارة: "وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى" بينما إنجيل مرقس لا توجد به عبارة "إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا"، فما الذي قاله المسيح حقيقة؟

بغض النظر عما قاله المسيح في الحقيقة، إن ما نقرأه في إنجيل متى هو كلام عام يحرم أي سبب للطلاق إلا في حالة واحدة، وهي أن يكون الطلاق بسبب الزنا، وأي سبب غير هذا السبب فإنه حرام، بينما ما نجده في مرقس هو ذكر سبب في أصله مباحاً، ولكن يحرم إن كان سبباً للطلاق، أي أن نص مرقس لم يحرم التعدد لذاته، ولكن التحريم خاص فيما لو كان سبب الطلاق هو إرادة الزواج بامرأة أخرى، وهذا الحكم ليس خاصاً بالرجل وإنما المرأة كذلك، فلو أرادت امرأة أن تطّلّق من زوجها لأنها أرادت رجلاً غيره فإن ذلك يعتبر زناً، وكما هو معلوم لم يكن هناك تعدد أزواج للزوجة لا في العهد القديم، ولا حتى في العرف والثقافة اليونانية المحيطة بالمسيح، فلا داعي لأن يحرم التعدد على المرأة لما هو محرم أصلاً، مما يبين بأن القصد ليس الحديث عن التعدد أو عدمه، وإنما الزواج الذي يؤدي إلى الطلاق، وهذه تكملة عبارة مرقس: "وَإِنْ طَلَّقَتِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ تَزْنِي." (مرقس 10 : 12)

إن هذا النص حقيقة جاء كتكملة لسؤال اليهود عن الطلاق، وبالتالي لا دخل للكلام في تعدد الزوجات، وإنما في أسباب الطلاق.

بل ولنفترض بأن المسيح قصد التعدد (والذي كما هو واضح ليس له دخل بالتعدد) فنقول بأن الأنبياء السابقين للمسيح قد عددوا وأيدهم الله على ذلك، فما المانع من أن يبيح المسلمون ما أباحه الله لأنبيائه والمؤمنين السابقين؟ فالتحريم لو كان صحيحاً عن المسيح لكان شيئاً يخص المسيحيين ولا يخصنا نحن المسلمين.

المسيحي:

ماذا عن الميراث؟ ألم يظلم الإسلام المرأة بأن جعل لها نصف ميراث الرجل؟

المسلم:

قبل أن أجيبك أريد أن أسألك ما هي حصة المرأة من الميراث بحسب الكتاب المقدس؟

المسيحي:

لم يذكر الكتاب المقدس أي تفريق، ولذلك لا شك بأن ميراث المرأة مثل الرجل تماماً.

المسلم:

حينما أراد أخ أن يقتسم الميراث مع أخيه طلب من المسيح لأن يقسم لهما، فأجابه المسيح بإجابة صادمة:
"يَا إِنْسَانُ مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِياً أَوْ مُقَسِّماً؟" (لوقا 12 : 14)

ومعنى كلام المسيح هنا هل تراني قاضياً؟ ارجع إلى القضاء ليحكم لك! والقضاء كان قضاء يهودياً في وقت المسيح، وهو قضاء يحكم بالعهد القديم.

ولذلك لا نجد حكماً للميراث في العهد الجديد، وإنما تم إحالة هذا الحكم إلى العهد القديم، فما الذي يحكم به العهد القديم؟

قبل تقسيم الميراث بين الأخ والأخت أود أولاً أن أنبه على أن الكتاب المقدس يعلّم بأن قيمة نذر الأنفس تكون فيه قيمة الفتاة نصف قيمة الولد:

"1 وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: 2 «قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا أَفْرَزَ إِنْسَانٌ نَذْراً حَسَبَ تَقْوِيمِكَ نُفُوساً لِلرَّبِّ 3 فَإِنْ كَانَ تَقْوِيمُكَ لِذَكَرٍ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً إِلَى ابْنِ سِتِّينَ سَنَةً يَكُونُ تَقْوِيمُكَ خَمْسِينَ شَاقِلَ فِضَّةٍ عَلَى شَاقِلِ الْمَقْدِسِ. 4 وَإِنْ كَانَ أُنْثَى يَكُونُ تَقْوِيمُكَ ثَلاَثِينَ شَاقِلاً. 5 وَإِنْ كَانَ مِنِ ابْنِ خَمْسِ سِنِينَ إِلَى ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً يَكُونُ تَقْوِيمُكَ لِذَكَرٍ عِشْرِينَ شَاقِلاً وَلأُنْثَى عَشَرَةَ شَوَاقِلَ." (اللاويين 27 : 1-5)

ثم إن الأم إذا ولدت ابناً فإنها تتنجس لمدة 40 يوماً (7 + 33)، وأما إذا ولدت بنتاً فإنها تتنجس ضعف نجاستها بالولد، أي أنها تتنجس لمدة 80 يوماً (14 + 66):

"1 وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: 2 «قُلْ لِبَنِي اسْرَائِيلَ: إذَا حَبِلَتِ امْرَاةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَراً تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أيَّامٍ. كَمَا فِي أيَّامِ طَمْثِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجِسَةً. 3 وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. 4 ثُمَّ تُقِيمُ ثَلاثَةً وَثَلاثِينَ يَوْما فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لا تَمَسَّ وَإلَى الْمَقْدِسِ لا تَجِئْ حَتَّى تَكْمُلَ أيَّامُ تَطْهِيرِهَا. 5 وَإنْ وَلَدَتْ انْثَى تَكُونُ نَجِسَةً أسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمْثِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةً وَسِتِّينَ يَوْماً فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا" (اللاويين 12 : 1-5)

ماذا عن تقسيم الميراث؟

الابن الأكبر يرث ضعفي بقية إخوته الذكور (وذلك لأن الابن الأكبر عادة هو من يعول والديه):
"15 إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ فَوَلدَتَا لهُ بَنِينَ المَحْبُوبَةُ وَالمَكْرُوهَةُ. فَإِنْ كَانَ الاِبْنُ البِكْرُ لِلمَكْرُوهَةِ 16 فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لهُ لا يَحِلُّ لهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ المَحْبُوبَةِ بِكْراً عَلى ابْنِ المَكْرُوهَةِ البِكْرِ 17 بَل يَعْرِفُ ابْنَ المَكْرُوهَةِ بِكْراً لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لهُ حَقُّ البَكُورِيَّةِ." (التثنية 21 : 15-17)

وماذا عن البنت؟ كم نصيبها من الميراث؟

لا شيء، لا نصيب ولد ولا ربع نصيبه، لا ترث شيئاً، إلا في حالة واحدة يمكنها أن ترث، وهي عدم وجود أي إخوة ذكور:
"1 فَتَقَدَّمَتْ بَنَاتُ صَلُفْحَادَ بْنِ حَافَرَ بْنِ جِلعَادَ بْنِ مَاكِيرَ بْنِ مَنَسَّى مِنْ عَشَائِرِ مَنَسَّى بْنِ يُوسُفَ. وَهَذِهِ أَسْمَاءُ بَنَاتِهِ: مَحْلةُ وَنُوعَةُ وَحُجْلةُ وَمِلكَةُ وَتِرْصَةُ. 2 وَوَقَفْنَ أَمَامَ مُوسَى وَأَلِعَازَارَ الكَاهِنِ وَأَمَامَ الرُّؤَسَاءِ وَكُلِّ الجَمَاعَةِ لدَى بَابِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ قَائِلاتٍ: 3 أَبُونَا مَاتَ فِي البَرِّيَّةِ وَلمْ يَكُنْ فِي القَوْمِ الذِينَ اجْتَمَعُوا عَلى الرَّبِّ فِي جَمَاعَةِ قُورَحَ بَل بِخَطِيَّتِهِ مَاتَ وَلمْ يَكُنْ لهُ بَنُونَ. 4 لِمَاذَا يُحْذَفُ اسْمُ أَبِينَا مِنْ بَيْنِ عَشِيرَتِهِ لأَنَّهُ ليْسَ لهُ ابْنٌ؟ أَعْطِنَا مُلكاً بَيْنَ أَعْمَامِنَا». 5 فَقَدَّمَ مُوسَى دَعْوَاهُنَّ أَمَامَ الرَّبِّ. 6 فَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: 7 «بِحَقٍّ تَكَلمَتْ بَنَاتُ صَلُفْحَادَ فَتُعْطِيهِنَّ مُلكَ نَصِيبٍ بَيْنَ أَعْمَامِهِنَّ وَتَنْقُلُ نَصِيبَ أَبِيهِنَّ إِليْهِنَّ. 8 وَتَقُول لِبَنِي إِسْرَائِيل: أَيُّمَا رَجُلٍ مَاتَ وَليْسَ لهُ ابْنٌ تَنْقُلُونَ مُلكَهُ إِلى ابْنَتِهِ. 9 وَإِنْ لمْ تَكُنْ لهُ ابْنَةٌ تُعْطُوا مُلكَهُ لإِخْوَتِهِ. 10 وَإِنْ لمْ يَكُنْ لهُ إِخْوَةٌ تُعْطُوا مُلكَهُ لأَعْمَامِهِ. 11 وَإِنْ لمْ يَكُنْ لأَبِيهِ إِخْوَةٌ تُعْطُوا مُلكَهُ لِنَسِيبِهِ الأَقْرَبِ إِليْهِ مِنْ عَشِيرَتِهِ فَيَرِثُهُ». فَصَارَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيل فَرِيضَةَ قَضَاءٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى." (العدد 27 : 1-11)

إن البنت لا ترث في تعاليم الكتاب المقدس لأنها ليست عليها مسؤولية النفقة على أسرتها وإنما النفقة منوطة بالرجال، ومع أن الإسلام أيضاً وضع مسؤولية النفقة على كاهل الرجل إلا أنه لا تمنع المرأة من الميراث ولكن تعطى نصف ما يُعطى أخيها الرجل، ذلك لأن المرأة ليست مكلفة بالنفقة ولا المهر، أي ليس عليها مسؤولية الإنفاق والصرف على أي أحد، وإنما من حقها أن تحتفظ بمالها لها وحدها، وليس لزوجها أو أخيها أو ابنها أن يتدخل في مالها، بينما الرجل، فالميراث الذي يحصل عليه الرجل فإنه ليس له لوحده فحسب، وإنما له ولزوجته ولأولاده وكل من يعولهم (كالأم والأخوات).

المسيحي:

ألا ترى بأن هناك اختلافات بين التعاليم الإسلامية والتعاليم المسيحية؟

المسلم:

بالطبع لابد أن تكون هناك بعض الاختلافات، فمع أن دين الأنبياء واحد إلا أنهم قد يختلفون في بعض الشرائع، فمثلاً قبل زمن سيدنا موسى كان جائزاً أن يتزوج الرجل بأختين كما حصل مع يعقوب حينما تزوج بالأختين رفقة وراحيل، ولكن هذا الأمر تغير لاحقاً حينما أتى سيدنا موسى، حيث تم النهي عن فعل ذلك: "لا تَتَزَوّج امْرَأَةً عَلَى أُخْتِهَا لِتَكُونَ ضَرّةً مَعَهَا فِيْ أَثْنَاءِ حَيَاةِ زَوْجَتِكَ." (اللاويين 18 :18)، وكذلك كان يجوز للرجل أن يتزوج عمته (كما حصل بين عمرام وعمته يوكابيد - الخروج 6 :- 20) أو أن تتزوج المرأة عمها (كما حصل بين ملكة بنت هاران وعمها ناحور – التكوين 11 : 27، 29) بينما في شريعة موسى تم تحريم ذلك (اللاويين 18 : 12).

فما الذي تراه مختلفاً بين الإسلام والمسيحية بشكل جوهري في الأمور التشريعية؟

المسيحي:

تحريم الخمر ولحم الخنزير في الإسلام مثلاً.

المسلم:

بالنسبة لتحريم أكل لحم الخنزير بل لمسه هو ما يعلمه الكتاب المقدس، حيث نقرأ: "وَالخِنْزِيرُ لأَنَّهُ يَشُقُّ الظِّلفَ لكِنَّهُ لا يَجْتَرُّ فَهُوَ نَجِسٌ لكُمْ. فَمِنْ لحْمِهَا لا تَأْكُلُوا وَجُثَثَهَا لا تَلمِسُوا." (التثنية 14 :- 8)، ولذلك من شدة نجاسة الخنزير، فإنه يُضرَب به المثل في النجاسة المعنوية (أشعياء 65 : 4 / 66 : 17 ومتى 7 : 6 و 2 بطرس 2 : 22)، بل وحينما أخرج المسيح الشياطين سمح لهم بالذهاب إلى قطيع الخنازير، والتي قامت بإهلاكها، فلو كانت الخنازير حيوانات طاهرة مثل البقر والغنم لما سمح المسيح بإتلافها وأذيتها (متى 8 : 30-32).

المسيحي:

لقد علّمنا المسيح أنه ليس شيء نجس فكل الطعام طاهر، وإنما النجاسة هي الأفكار الشريرة التي تخرج من قلب الإنسان؛ قال المسيح: "لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ لَكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ." (مرقس 7 : 15)

المسلم:

أنا شخصياً لا أصدق بأن هذا الكلام قد صدر حقيقة عن المسيح، ولي أسباب وجيهة لرفض مثل هذا الكلام، فهل تعلم مناسبة هذا الكلام؟

المسيحي:

نعم لقد ذكر قال هذا الكلام حينما سخر اليهود من تلامذته لأنهم كانوا يأكلون بأيد متسخة.

المسلم:

وهل برأيك أن المسيح حقيقة لا يرى فارقاً بين الأيدي النظيفة والأيدي المتسخة في الطعام؟ دعني أقرأ عليك النص وسياقه:

"1 وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَقَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَادِمِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ. 2 وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضاً مِنْ تَلاَمِيذِهِ يَأْكُلُونَ خُبْزاً بِأَيْدٍ دَنِسَةٍ أَيْ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ لاَمُوا - . . . 5 ثُمَّ سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ: «لِمَاذَا لاَ يَسْلُكُ تَلاَمِيذُكَ حَسَبَ تَقْلِيدِ الشُّيُوخِ بَلْ يَأْكُلُونَ خُبْزاً بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ؟» 6 فَأَجَابَ: «حَسَناً تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ . . . 8 لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ: غَسْلَ الأَبَارِيقِ وَالْكُؤُوسِ وَأُمُوراً أُخَرَ كَثِيرَةً مِثْلَ هَذِهِ تَفْعَلُونَ» . . . 14 ثُمَّ دَعَا كُلَّ الْجَمْعِ وَقَالَ لَهُمُ: «اسْمَعُوا مِنِّي كُلُّكُمْ وَافْهَمُوا. 15 لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ لَكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. 16 إِنْ كَانَ لأَحَدٍ أُذْنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ». 17 وَلَمَّا دَخَلَ مِنْ عِنْدِ الْجَمْعِ إِلَى الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ عَنِ الْمَثَلِ. 18 فَقَالَ لَهُمْ: «أَفَأَنْتُمْ أَيْضاً هَكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ 19 لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلاَءِ وَذَلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الأَطْعِمَةِ». 20 ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذَلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. 21 لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً فِسْقٌ قَتْلٌ 22 سِرْقَةٌ طَمَعٌ خُبْثٌ مَكْرٌ عَهَارَةٌ عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ تَجْدِيفٌ كِبْرِيَاءُ جَهْلٌ. 23 جَمِيعُ هَذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ»." (مرقس 7 : 1 ، 5-6 ، 8 ، 16-22)

لاحظ هنا مما سبق أن المسيح يرى أنه لا فائدة من غسل الأيدي قبل الطعام، لأنه يرى بأن الطعام المتسخ لن يؤثر على جسم الإنسان لأنه يظن بأن الطعام لن يتعدى البطن، وإنما سيخرج مباشرة إلى الخلاء، وأن بهذه العملية مهما كان الطعام متسخاً فإنه سينظف، لا يمكن للمسيح أن يقول مثل هذا الكلام أبداً! فالذي كتب هذه العبارات مهما يكن هذا الشخص فإنه جاهل بأهمية النظافة (يبدو أنه شخص لا تهمه النظافة)، بل ويجهل بأبجديات الطب والصحة التي نعرفها اليوم، فالطعام المتسخ يكون مليء بالميكروبات، هذه الميكروبات بالطبع هي لا تنظف وتخرج بمجرد أن يدخل الطعام بطن الإنسان، على العكس من ذلك تماماً إنها ستبيض وتزيد في داخل ذلك البطن وبعضها عبارة عن ديدان، بل وقد تدخل مع دم الإنسان، هذه الميكروبات لن يزيلها مجرد دخول الإنسان الخلاء بالطبع، وإنما يحتاج لتنظيف الأيدي بغسلها قبل الطعام، بربك هل الكلام في قصة غسل الأيدي يقولها شخص عاقل؟ فما بالك بالمسيح؟ ولذلك القول بأنه "لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ" (مرقس 7 :- 15) إنما هي مقولة خاطئة، وإلا ما رأيك لو أكل شخص طعام فاسد أليس نعتبره من السموم؟ ما رأيك لو تم تعليق هذا النص على أبواب المستشفيات المسيحية بحجة أنها مقولة للمسيح؟ ما رأيك لو تركت المستشفيات الطبية تعقيم غرف العمليات وأدواتها والحفاظ على نظافة الأدوية والمأكولات؟ ولذلك قلت لك أنا لا أصدق بأن هذه القصة حقيقية عن المسيح.

المسيحي:

ولكن الإسلام يعلّم نفس الشيء، ألم يعلّم غمس الذباب في الماء الذي يُشرب؟

المسلم:

الإسلام لم يعلّم نفس الشيء بل علّم عكس ذلك تماماً، وبالنسبة للذباب فإن النبي محمد صلى الله عليه وسلم علّم بأن الذباب حينما يأتي على الماء فإنه يخفض إحدى جناحيه في الماء، وهو الجناح أو الجانب من جسمه الذي يحمل الداء (أي المرض) فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه بغمس الذباب (بحيث يدخل الجناح الآخر وبقية جسمها الماء) فإن ذلك به الدواء المضاد لذلك الداء، لاحظ دقة معلومات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إنه أولاً يعلم بأن الذباب يحمل الداء، فلم يكن معروفاً في زمنه صلى الله عليه وسلم عن الميكروبات والجراثيم، فاليوم نعلم بأن الذباب ناقل للأمراض، هذه من علوم عصر المجهر، بل ثم يعلن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً آخر أكثر إثارة، وهو أن الذباب يحمل دواء أيضاً، وليس أي دواء وإنما هو دواء مختص في القضاء على ذلك الداء! لقد قام فريق بقسم العلوم البيولوجية من جامعة ماكواري الأسترالية (Macquarie University) بإقامة دراسة (2002 م) على جسم الذباب فوجدوا بأن الذباب يفرز مضاداً للبكتيريا (antibecteria)! (راجع خبر الدراسة على الموقع الأسترالي التالي: http://www.abc.net.au/science/articles/2002/10/01/689400.htm)، بل إن يرقات الذباب تستخدم في علاج الجراح المزمنة، وهو علاج معروف في الوسط الطبي باسم maggot debridement therapy (ويختصر اسمه MDT)، وقد أقيمت دراسة على 435 جريحاً ووجد أن يرقات الذباب قامت بشفاء 357 شخص بشكل كامل و 73 شخص بشكل جزئي بينما لم يشف فقط 5 أشخاص (راجع رابط الدراسة: http://www.magonlinelibrary.com/doi/abs/10.12968/jowc.2012.21.2.78)

وبالمناسبة إن أي حشرة تعيش على القاذورات تفرز مضاداً للبكتيريا فهي حماية خاصة هيأها الله لتلك الحشرات، فالصرصار مثلاً أيضاً اكتشف العلماء مؤخراً بأنه يفرز مضاداً للبكتيريات، ويفكر العلماء بالاستفادة من تلك الميزة التي في الصراصير، ولاحظ الفارق بين الصرصار والذباب، فالصرصار يفرز المضاد داخلياً بينما يفرزه الذباب خارج جسمه، والسؤال كيف عرف النبي محمد صلى الله عليه وسلم بذلك؟ كيف أدرك علم الجراثيم كمن يدرك شفرات وأكواد الكمبيوتر؟

إن حديث الذباب يوضح لنا بأنه في الوقت الذي لم يدرك مؤلف القصة (قلت مؤلف القصة لأني لا أؤمن بأنها قصة حقيقية عن المسيح) التي يصرح المسيح فيها بأن الطعام المتنجس والمختلط بالقاذورات لا يضر إنما يطهر وينظف بمجرد أكله (وبالتالي لم يدرك الميكروبات والجرثوميات) كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مدركاً لذلك، مدرك بأن هناك جراثيم وأمراض فتاكة تأتي مع القاذورات.

إن دين الإسلام دين يهتم بالطهارة الجسدية والمعنوية، فالطهارة الجسمية صحة وعافية وجمال ونعمة على الإنسان، ولأن الخنزير حيوان نجس علّم الإسلام عدم أكله (وهو السؤال الذي سألتني عنه أيضاً)، وبالطبع لأن الله أعلمَ أنبياءه موسى ومحمد عليهما السلام بنجاسة الخنزير فإن العلم الحديث يؤكد على مصيبة حمل الخنزير للفيروسات الخطيرة،

حيث يعتبر جسم الخنزير ناقلاً وبيئة خصبة لتلك الفيروسات، ليس فقط لأن الخنزير يعيش على القذارات، ويأكل منها، وإنما جسمه حامل وناقل جيد لتلك الفيروسات التي لا تقتلها أحياناً حتى الدرجات العليا من الحرارة حين طبخه.

ولا يختلف الإسلام في كون الطهارة المعنوية هي مدار قلب المؤمن ومصدر صدقه بل وطوق نجاته كما في الآية الكريمة: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} (الشمس 9)، وفي قوله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (الشعراء 88- 89)، وحينما سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : "كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ"، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: "هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ." (رواه ابن ماجة)

ولكن النظافة والطهارة الجسمية والمحافظة على الصحة البدنية هامة جداً في الإسلام، ولذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على النظافة والطهارة دائماً؛ فقد اهتم بالآتي:

1- الطهارة والنظافة عموماً والتي تعتبر نصف الإيمان؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان" (رواه مسلم)، وقال صلى الله عليه وسلم: "طَهِّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللهُ" (رواه الطبراني)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله جميلٌ يحب الجمال" (رواه مسلم) (وليس المقصود بكون الإنسان جميلاً أن يكون جميلاً بخلقته وإنما التجمل بلبس الملابس الحسنة النظيفة وتمشيط الشعر ونظافة الجسم)، فالله تعالى يحب الإنسان النظيف: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} (التوبة 108)
2- غسل الأيدي قبل الطعام وبعده أيضاً، وعند الاستيقاظ من النوم.
3- تنظيف الأسنان بشكل متكرر على مدى اليوم (قبل كل صلاة وقبل النوم وبعده وعند الخروج من المنزل وغير ذلك)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: "السواك مَطْهَرَةٌ للفم، مرضاةٌ للرب" (رواه ابن حبان)
4- التبول والتبرز بعيداً عن أماكن الناس وعن طرقهم وأماكن ظلهم وعن الماء الراكد، مع الحذر ألا يلامس شيئا من الملبس.
5- الاستنجاء (تنظيف منطقتي التبول والتبرز).
6- الأكل باليد اليمنى والاستنجاء باليد اليسرى، وذلك حرصاً على ألا يبقى شيء من النجاسات على اليد وقت الأكل (بل وحتى حينما يحمل أحد حذاءه فإنه يحمله بيده اليسرى).
7- الاغتسال على الأقل مرة أسبوعياً.
8- لبس الملابس النظيفة وغسل ما اتسخ منها، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً عليه ثياب وسخة، فقال عليه الصلاة والسلام: "أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه؟!" (رواه ابن حبان)
9- تسريح الشعر، قال صلى الله عليه وسلم: "من كان له شعرٌ فليكرمه" (رواه أبو داود)
10- نتف الإبط أو حلقه لإبعاد الروائح الكريهة.
11- حلق شعر العانة حتى لا تتجمع الأوساخ فيه.
12- تقليم الأظافر حتى لا تؤذي الآخرين، وكي لا تتجمع الأوساخ فيها.
13- تغطية الأطعمة والمشروبات المكشوفة حتى لا تتعرض للحشرات الناقلة للميكروبات.
14- قلب الأوعية والأكواب غير المستخدمة، للتقليل من تعرضها للأغبرة والأوساخ.
15- نفض الأغطية قبل النوم للتأكد من ألا شيء من الحشرات أو الحيوانات الصغيرة أن تكون قد دخلت تحتها.
16- استخدام الماء الطاهر النظيف للحماية من البكتيريات والأمراض.

17- الوضوء لكل صلاة؛ فالوضوء يشمل غسل الوجه واليدين والرجلين.
18- التداوي من الأمراض (لحديث: "يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا!" رواه الترمذي) بل وشجّع على ممارسة الطب واكتشاف الأدوية حيث قال صلى الله عليه وسلم: "ما أنزل الله عز وجل داءً إلا أنزل له دواءً" (رواه أحمد)
19- عزل المرضى ذوي الأمراض المعدية الخطيرة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها" (رواه أحمد)
20- وضع اليد أو أي عازل حين العُطاس، وعدم التوجه حينها إلى الناس.
21- عدم التنخم (التفل) في طرقات الناس أو على الأقل دفنها.
22- المحافظة على نظافة الطريق ورفع أي أذى منه، فقد قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: "الإيمان بضعٌ وسبعون، فأفضلها قول ((لا إله إلا الله))، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان." (رواه البخاري ومسلم)، وانظر إلى عظم هذا الحديث: "عُرِضت عليّ أعمال أمتي؛ حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تُدفَن" (رواه مسلم)
23- استخدام الطيب من أجل إضفاء الرائحة الزكية.
24- كنس المنزل وفنائه والمحافظة على نظافته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نظِّفوا أفنيتكم» (رواه الترمذي)
25- الحفاظ على نظافة الرحال (أي المركوب)، لحديث: "إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رِحالكم وأصلحوا لباسكم" (رواه أبو داود)
26- قص الشارب (أي تخفيفه بحيث لا يتجاوز شفة الفم) حتى لا تعلق به الأطعمة والمشروبات.

فتخيل إلى أي درجة اهتم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالنظافة والطهارة والصحة، وكما ترى بأن اهتمامه بالنظافة بهذا الشكل في وقت لم يعرف الناس عن الميكروبات شيئاً لدلالة واضحة على نبوته وإدراكه لحجم الخطورة المترتبة على إهمال النظافة.

المسيحي:

وماذا عن تحريم الخمر؟ لماذا يحرم الإسلام الناس من شربه مع أنه إحدى متع الحياة بل ولم يحرمه الكتاب المقدس؟

المسلم:

إن الإسلام كما أنه علّم طهارة البدن وطهارة القلب علّم أيضاً نوعاً ثالثاً من الطهارات إنه الطهارة الإجتماعية، وبالتالي تمّ تحريم الخمر في الإسلام باعتباره نجاسة اجتماعية، فكلنا نعلم بأن الخمر تُذهب بالعقل، وبالتالي تسلب مكامن التحكم السليم لتصرفات الإنسان، فالخمر من شدة خطورتها يتم منعها على سائقي السيارات وبعض الأماكن العامة في الدول التي تبيحها، لماذا؟
بل إن الكثير من الجرائم الكبرى سببها الخمر؛ فبحسب موقع المنظمة الأمريكية "دليل رِهاب للكحول" (Alcohol Rehab Guide) (على موقعها الإلكتروني: https://www.alcoholrehabguide.org/alcohol/crimes) فإن نسب الجرائم التي سببتها الخمر في أمريكا هي كالتالي:

- القتل: 40 %.

- العنف المؤدي إلى إصابات: 27 %.
- السرقة: 15 %.
- الاغتصابات والإساءات الجنسية: 35 %.
- ضرب الزوجات: ثلثي حالات الضرب بسبب الخمر.
- الإساءة للأطفال: 4 من 10 أطفال يساء إليهم بسبب الخمر.

ولذلك نقرأ في الكتاب المقدس: "اَلْخَمْرُ مُسْتَهْزِئَةٌ. الْمُسْكِرُ عَجَّاجٌ وَمَنْ يَتَرَنَّحُ بِهِمَا فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ." (الأمثال 20 :- 1) (أو بحسب الترجمة العربية المشتركة: "الخمر مجون والسكر عربدة")، وكذلك: "لاَ تَكُنْ بَيْنَ شِرِّيبِي الْخَمْرِ بَيْنَ الْمُتْلِفِينَ أَجْسَادَهُمْ" (الأمثال 23 :- 20) بل وانظر إلى هذا التوصيف الصريح: "29 لِمَنِ الْوَيْلُ؟ لِمَنِ الشَّقَاوَةُ؟ لِمَنِ الْمُخَاصَمَاتُ؟ لِمَنِ الْكَرْبُ لِمَنِ الْجُرُوحُ بِلاَ سَبَبٍ؟ لِمَنِ ازْمِهْرَارُ الْعَيْنَيْنِ؟ 30 لِلَّذِينَ يُدْمِنُونَ الْخَمْرَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي طَلَبِ الشَّرَابِ الْمَمْزُوجِ. 31 لاَ تَنْظُرْ إِلَى الْخَمْرِ إِذَا احْمَرَّتْ حِينَ تُظْهِرُ حِبَابَهَا فِي الْكَأْسِ وَسَاغَتْ مُرَقْرِقَةً. 32 فِي الآخِرِ تَلْسَعُ كَالْحَيَّةِ وَتَلْدَغُ كَالأُفْعُوانِ. 33 عَيْنَاكَ تَنْظُرَانِ الأَجْنَبِيَّاتِ وَقَلْبُكَ يَنْطِقُ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ. 34 وَتَكُونُ كَمُضْطَجِعٍ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ أَوْ كَمُضْطَجِعٍ عَلَى رَأْسِ سَارِيَةٍ. 35 يَقُولُ: «ضَرَبُونِي وَلَمْ أَتَوَجَّعْ. لَقَدْ لَكَأُونِي وَلَمْ أَعْرِفْ. مَتَى أَسْتَيْقِظُ أَعُودُ أَطْلُبُهَا بَعْدُ!»"

وانظر إلى تبيين القرآن إلى ما ينتجه الخمر من مشاكل اجتماعية، ولذلك يعد كما قلت نجاسة اجتماعية:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)- إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} (المائدة 90-91)

المسيحي:

نعم في التعليم المسيحي السكر بالخمر حرام، ولكن شرب القليل لا مانع منه، فلماذا لم تحرموا السكر وتركتم الناس ليستمتعوا بما هو دون السكر؟

المسلم:

صحيح، القليل من الخمر دون حد السكر لا يذهب بالعقل، فالقليل في ذاته لا يجعل الإنسان ليقوم بما لا يريده من شناعات كبرى، ولكن القليل من الخمر لم يُحرّم في الإسلام ويُجرّم لنتيجته الآنية الحالية السريعة، وإنما تمّ تحريمه لضرره البعيد الآجل، فمن اعتاد شرب القليل من الخمر فإنه سيشرب الكثير منها في بعض الأوقات، خصوصاً حينما يمر هذا الإنسان بأحداث صعبة في حياته يريد نسيانها، فما أجمل الخمر ليقوم بهذه المهمة، وما أشنع الخمر فيما ينتجه بعد ذلك، لقد سدّ الإسلام هذا الباب، فلا فائدة من شرب القليل أصلاً، اشرب بدلاً منها عصيراً طازجاً يفيدك بدلاً من أن تفتح لجسمك وعقلك أبواب الجحيم.

ولا أظن بأن المسيحي ينسى بأن كتابه المقدس يذكر أناساً قديسين وقعوا في أشنع وأفظع ما يمكن أن يقع فيه إنسان، والفضل في ذلك يعود إلى فتح باب إباحة القليل من سم العقول (أي الخمر)، فها هو نسل بكامله يتم لعنه على يد أبي البشرية الثاني نوح، فبحسب الكتاب المقدس بسبب انجذابه لمغريات الخمر يتعرى بشكل مخز، ويلعن حفيده كنعان

المسكين، لتطارد هذه اللعنة هذا النسل أكثر من ألفي عام (التكوين 9 :- 25)، ومن مثل النبي لوط؟ ومع ذلك يجعله الكتاب المقدس يعمل أشنع عمل يتخيله إنسان، حيث يزني بابنتيه، فيبدأ بالكبرى حتى أنه "لَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلا بِقِيَامِهَا." (التكوين 19 : 33) ثم ابنته الصغرى "وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلا بِقِيَامِهَا" (التكوين 19 : 35)، وبالتالي يلدن شعبين (الموآبيين والعمونيين)، وهما الآخران يتم لعنهما كنتيجة زق خمر، فهما لا يدخلان في جماعة الرب (التثنية 23 : 3)

فإذا كان نوح ولوط الذين قد وُصفا بتقواهما وكمالهما ومع ذلك بحسب الكتاب المقدس قد أغرتهما الخمر بالوقوع في أعمال أكبر من أن يفكر فيها الشيطان نفسه، ألا يعد الخمر أشطن من الشيطان بعينه؟ فلنطرد هذا الخبيث (الذي هو الخمر) من بيوتنا! ولذلك نجد نبي الطهارة محمد صلى الله عليه وسلم قد علّمنا: "مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ." (رواه ابن ماجة) وبالطبع نحن كمسلمين ننزه أنبياء الله أيضاً لأن يقعوا في تلك الأعمال الشنيعة وإلا ما الفرق بينهم وبين كبار المجرمين والفسقة؟

وإذا كان الإنسان المتحضر في القرن الواحد والعشرين (خصوصاً إن كان هذا الإنسان إنساناً راقياً يحافظ على صحته) يرفض شرب السجائر والمشروبات ذات الأصباغ المضرة والمأكولات الجنك فود فكم بالحري أن يرفض هذا المتحضر ما يغريه ويستحثه على أعمال أصحاب الأمراض العقلية، حتى وإن كان ذلك بدعوى إبليسية "اشرب قليلاً ولكل حادثة حديث"، فما الادعاء بأنه يمكن للمجتمع أن يحافظ على شرب القليل منه كلام لا يصدقه الواقع، ففي دراسة عام 2015 في أمريكا وجدوا بأن ما يقارب 40 % من شباب الجامعات بين سن 18-22 سنة قد شربوا الكثير من الخمر (binge drink) في الشهر الماضي (وذلك بحسب الموقع الأمريكي: https://www.niaaa.nih.gov/alcohol-facts-and-statistics)، هذا الكلام عن السؤال عن شهر فقط يسبق الدراسة، ماذا لو سألوهم عن قبل ثلاثة أشهر أو سنة أو سنتين؟ بالطبع هؤلاء في سن المراهقة ولو سألوا من هم أكبر منهم سناً لكانت النسبة أكبر وأكبر ولتحدثوا عن تجارب مريرة ربما مر بها كل واحد منهم بسبب الخمر، فنفس الصفحة الإلكترونية السابقة ذكرت بأن نتائج الخمر من إساءات كبدت الحكومة الأمريكية خسائر مقدار 249 مليار دولار! وبحسب نفس الموقع فإن الخمر يعتبر السبب الثالث لزراعة الكبد في أمريكا بسبب إفساده للكبد كما هو معلوم، فما القول بأن شرب القليل من الخمر لا مشكلة منه إنما هو فتح باب للشيطان لأن يتمتع باللعب برأس هذا المسكين! طالب بالقليل حتى تكون بوقاً جيداً لإبليس!

لقد كانت ممدوحة في حق يوحنا المعمدان بأن لم يشرب خمراً ولا مسكراً، بل ويرمز الابتعاد عن الخمر أياً كان حجم هذه الخمر للصفاء كما هو حال الناذر (الأرقام 6 :- 3 والقضاة 13 :- 14)، وكذلك عشيرة الركابيين الذين امتنعوا عن الخمر طاعة لجدهم يوناداب بن رَكَاب فباركهم الله لذلك (إرميا 35 : 19)، وبالطبع إن الخمر مجون لذلك "لَيْسَ لِلْمُلُوكِ أَنْ يَشْرَبُوا خَمْراً وَلاَ لِلْعُظَمَاءِ الْمُسْكِرُ" (الأمثال 31 : 4)

الفصل الرابع :

الاشتراك في الأخلاقيات والأخلاق

المسيحي:

لتكمل بقية نقاطك.

المسلم:

النقطة الرابعة هي اشتراكنا في الأخلاقيات والأخلاق، فكل من الإسلام والمسيحية يعلّمان تحريم القتل والسرقة والزنا والغش والكذب بل وتحريم إيذاء الآخرين، ولذلك ستجد الإسلام يأمر بإماطة الأذى عن الطريق، أي أنه حينما يجد أي شخص أي شيء مؤذ في طريق الناس فعليه أن يزيله ويبعده حتى لا يؤذي الناس المارّة، هذا عما وجده في الطريق فكيف به هو وهو يعامل الناس، وبالتالي عليه ألا يخيف الناس، ولو مزاحاً، لأن ذلك يؤذي قلوبهم ومشاعرهم، فعلى المسلم أن يراعي مشاعر الناس، ويدخل الفرحة على قلوبهم، ولذلك نجد بأن المؤمن الحقيقي في الإسلام هو الذي يتميز بكثرة الابتسامة والبشاشة والترحيب، بل ويتميز بحسن الخلق والرحمة بخلق الله من إنسان وحيوان وشجر، والمسيحية أيضاً تعلّم الرحمة والمحبة والعفو والصفح عن المؤذيين، وهي المبادئ التي يتفق فيها الإسلام أيضاً؛ فنقرأ في العهد الجديد مثلاً: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً." (متى 5 : 39)، وبالطبع ليس المعنى هنا حرفي بأنه متى تلقيت لطمة على خدك فإنك ستعطي اللاطم خدك الآخر، وإنما المقصود منه بالمعنى المجازي أنه متى ظلمك شخص فاصفح عنه، أي كن متسامحاً لأبعد درجة، وهذا هو نفس ما يعلمه الإسلام؛قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ مَنَعَكَ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.» (رواه القضاعي)، أي أن الذي يقاطعك فلا تقاطعه، وإنما كن صاحب مبادرة وخلق، ومن منعك من العطاء (سواء أكان شيئاً من مالك أو من ماله احتجت إلى معونته) فأعطه أنت ولا تمنعه، ومن ظلمك لا تنتقم منه، وإنما سامحه واعف عنه، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور 22)، وقال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لجابر بن سُليم: «وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِأَمْرٍ هُوَ فِيكَ فَلاَ تُعَيِّرْهُ بِأَمْرٍ هُوَ فِيهِ، وَدَعْهُ، يَكُونُ وَبَالُهُ عَلَيْهِ وَأَجْرُهُ لَكَ، وَلاَ تَسُبَّنَّ شَيْئًا»، قال جابر: "فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم دَابَّةً وَلاَ إِنْسَانًا." (رواه الطيالسي)

ولا تقف تعاليم المسيح ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما إلى مستوى الصفح والعفو عن المسيء فقط، وإنما تتعدى ذلك إلى الإحسان إلى المسيء؛ ألم يقل المسيح: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ." (متى 5 : 44)، وألم يقل القرآن: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت 34)، وفي الحديث: "صِلْ مَنْ قَطَعَك، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْك، وَقُل الْحَقّ وَلَو عَلَى نَفْسِك." (رواه ابن النجار)، و"جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ذَوِي أَرْحَامٍ، أَصِلُ وَيَقْطَعُونَ، وَأَعْفُو وَيَظْلِمُونَ، وَأُحْسِنُ وَيُسِيئُونَ، أَفَأُكَافِئُهُمْ؟"، أي هل أعاملهم مثل معاملتهم لي من المعاملة السيئة؟، فبماذا أجابه النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال له: «لاَ، إِذًا يُتْرَكُوا، وَلَكِنِ اعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ وَأَحْسِنْ.»" (رواه أحمد والبرجلاني)

المسيحي:

لأول مرة أتنبه إلى أن الإسلام يعلّم الصفح والعفو بل والإحسان إلى المسيء، وما يفاجئني أكثر هو أنه بحسب معلوماتي أن الإسلام تعاليمه مثل تعاليم العهد القديم "عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ." (متى 5 : 38)، أي أن التعليمان يدعوان

إلى الانتقام، وهذا التعليم الذي ناهضه المسيح، بل وكما يعلّم العهد القديم من رجم الزناة أيضاً يُعلّمه الإسلام وهو ما خالفه المسيح في الحادثة الشهيرة قصة المرأة الزانية، والتي قال فيها المسيح: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!" (يوحنا 8 : 7)، بل وكما قال المسيح: "لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا" (متى 7 : 1)، وقال المسيح: "لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ" (متى 5 : 39)، وبالتالي أسألك كيف يُعلّم الإسلام الصفح والعفو والإحسان وعدم الإدانة مثل المسيحية، وفي نفس الوقت يعلّم الانتقام وإدانة المسيء مثلما يعلّمه العهد القديم؟

المسلم:

حقيقة أرى أن هناك سوء فهم عام من بعض المسيحيين لمسيحيتهم والعهد القديم والإسلام، دعني أشرح لك بالسؤال التالي: لنفترض أن هناك عصابة إجرامية أرادت أن تسطو على بنك من البنوك، وهي حاملة السلاح ولا تريد فقط نهب البنك وإنما قتل كل من فيه من حراس وعاملين وعملاء، أي عملية إبادة جماعية لمن بالبنك، ولنفترض أن هناك ثلاثة من الشرطة يحيطون بالبنك والعصابة التي دخلت فيه، هؤلاء الثلاثة الشُرَط أحدهم مسلم وآخر مسيحي وثالثهم يهودي، فهل تتوقع من الشرطي المسيحي أنه لا يرفع سلاحه في وجه أولئك المجرمين ليحمي من هم بالبنك، لأن المسيح طالب بعدم مقاومة الشر؟ وهل تتوقع اليهودي بأنه سيرفع السلاح لأن العهد القديم يعلّم "عين بعين وسن بسن"؟ ثم ما الذي تتوقعه من المسلم أن يعمله هل عليه أن يفعل مثل المسيحي لأن الإسلام يعلّمه الصفح عن المسيئين أم أنه سيرفع سلاحه مثل اليهودي؟

المسيحي:

لا شك بأن كلاً من الثلاثة سيؤديان واجبهما ليحميان الناس برفع السلاح في وجه المعتدين.

المسلم:

نعم أنت تتحدث كأداء واجبهما كشرطة بغض النظر عن ديانتهم، ولكن ما الذي تظن أديان كل من الثلاثة تعلمهم في مثل هذه المواقف؟

المسيحي:

لا أظن أنه يوجد دين سيأمر أولئك الشرطة بالتوقف عن محاربة المجرمين من أجل إيقاف اعتدائهم على الناس البريئين، فالهدف هنا أسمى من مجرد العفو عن المسيئين، فلولا عمل الشرطة البطولي والتضحيات التي يقدمونها لما كان هناك أمن وأمان بين الناس.

المسلم:

إذن أين تضع قول المسيح: "لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ"، وأين تضع "لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا"، وأين تضع قول الإسلام: "وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْك" وغيرها من النصوص؟

المسيحي:

أظنها بحسب الضرر.

المسلم:

هل تقصد بأنه إن سرق منك سارق مبلغاً صغيراً من المال أو بحسب تعبير المسيح "أخذ ثوبك" فعليك أن تسامحه، ولكن إن أخذ منك جميع مالك فعليه ألا تسامحه؟ هل مثلاً مثلما قال المسيح بأن تعفو عنه طالما أن اعتداءه لم يتجاوز لطم خدك بينما لو زاد ذلك بأن فقأ عينك فحينها "عين بعين"؟

المسيحي:

ربما يكون كذلك.

المسلم:

لا إنه ليس كذلك، دعني أفصّل لك الأمر، ففي الحقيقة العهد القديم والعهد الجديد والقرآن كلها تعلم نفس المبدأ، فاليهودية ليست مرتكزة فقط على "عين بعين وسن بسن"، وإنما تعلّم الصفح والعفو أيضاً، وإليك بعضاً من نصوص العهد القديم التي تدعوا إلى ذلك وتعلمه:

1) "تَعَقُّلُ الإِنْسَانِ يُبْطِئُ غَضَبَهُ وَفَخْرُهُ الصَّفْحُ عَنْ مَعْصِيَةٍ." (الأمثال 19 :- 11)، يجب ألا تفهم كلمة "معصية" هنا على أنها المعصية مع الله في ارتكاب المحرمات، وإنما هذه ترجمة ركيكة من أصحاب نسخة الفاندايك، فنسخة الترجمة العربية المشتركة ترجمتها ترجمة صحيحة وهي: "وفخره أن يصفح عن الخطأ." وترجمتها نسخة كتاب الحياة إلى نفس المعنى: "وبهاؤه في العفو عن الخطأ."، أي أن فخر المؤمن أن يعفو عمن أخطأ إليه، فهو ليس بسريع الغضب ممن أساء إليه وإنما حليم يصفح عنه.
2) "مَجْدُ الرَّجُلِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الْخِصَامِ وَكُلُّ أَحْمَقٍ يُنَازِعُ." (الأمثال 20 : 3)
3) "21 إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزاً وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ مَاءً 22 فَإِنَّكَ تَجْمَعُ جَمْراً عَلَى رَأْسِهِ وَالرَّبُّ يُجَازِيكَ" (الأمثال 25 : 21-22)
4) "لاَ تَفْرَحْ بِسُقُوطِ عَدُوِّكَ وَلاَ يَبْتَهِجْ قَلْبُكَ إِذَا عَثَرَ" (الأمثال 24 : 17)
5) "2 لا تَتْبَعِ الْكَثِيرِينَ إِلَى فَعْلِ الشَّرِّ . . . 4 إِذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ حِمَارَهُ شَارِداً تَرُدُّهُ إِلَيْهِ. 5 إِذَا رَأَيْتَ حِمَارَ مُبْغِضِكَ وَاقِعاً تَحْتَ حِمْلِهِ وَعَدَلْتَ عَنْ حَلِّهِ فَلا بُدَّ أَنْ تَحِلَّ مَعَهُ." (الخروج 23 : 2 ، 4-5)
6) ويعطي العهد القديم هذه العبرة: "هَكَذَا تَقُولُونَ لِيُوسُفَ: آهِ! اصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ إِخْوَتِكَ وَخَطِيَّتِهِمْ فَإِنَّهُمْ صَنَعُوا بِكَ شَرّاً. فَالْآنَ اصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ عَبِيدِ إِلَهِ أَبِيكَ». فَبَكَى يُوسُفُ حِينَ كَلَّمُوهُ" (التكوين 50 : 17) فكانت إجابة النبي يوسف عليه السلام: "فَالْآنَ لا تَخَافُوا. أَنَا أَعُولُكُمْ وَأَوْلادَكُمْ». فَعَزَّاهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ." (التكوين 50 : 21)

إذن كما ترى ليس العهد القديم كما يظنه بعض المسيحيين، فما نراه في العهد الجديد من الدعوة إلى الصفح عن المسيئين والإحسان إليهم هو عين ما يعلمه العهد القديم.

المسيحي:

نعم كأنها نصوص من العهد الجديد، وهذا يبين فعلاً أن علينا أن نقرأ بوعي وانتباه، وألا نتأثر بما هو متكرر على ألسنة الناس، فكيف غابت عني مثل هذه النصوص؟ ومع ذلك تبقى نقطة: فمع أني أتفق معك بأن العهد القديم والقرآن كلاهما علّما التسامح والعفو والإحسان إلى المسيئين مثلما علّمه العهد الجديد، ولكن ألا ترى بأن العهد الجديد علّم تلك التعاليم التسامحية وألغى كل ما يتعلق بمقاومة الشر وإنزال العقوبات بالمعتدين؟

المسلم:

يبدو أنك نسيت قصة الثلاثة شرطيين المسلم والمسيحي واليهودي، فلو كان الأمر كذلك لقلنا بأن الشرطي المسلم والشرطي اليهودي هم فقط من سيحملون السلاح ويحاربون العصابة الإجرامية وينقذون الناس المضطهدين، وسيقف الشرطي المسيحي مكتوف الأيدي، ولكنك لا تتفق مع هذه الفرضية وإنما ترى بأن الشرطي المسيحي إن كان مسيحياً متديناً حقاً فإنه سيقف إلى جانب الشرطيان المسلم واليهودي، بل أنت ترى بأن المسيح نفسه لو كان مكان الشرطي المسيحي لتصرف بالتصرف الصحيح ألا وهو عدم التخاذل عن ردع أولئك المجرمين وإنقاذ الأبرياء.

المسيحي:

صحيح.

المسلم:

إذن تعال ولنر تعليم المسيح كما هو مسطرٌ في العهد الجديد، وبنظرة اتزانية بعيدة عن المبالغات التي يهواها بعض الأتباع، فكما بينت لك بأن تعليم المسيح من التسامح ومحبة الخير للمسيء، إنما هي نفس ما يعلمها العهد القديم والقرآن الكريم، ولكن ما موقف المسيح من مواجهة الشر؟ وما موقفه أصلاً من تعاليم العهد القديم فيما يخص بعض العقوبات للمجرمين؟ هل فعلاً ألغاها؟ بمجرد قراءتنا للعهد الجديد سنكتشف بأن المسيح لم يلغِ أي تعليم من تعاليم العهد القديم؛ ففي نفس موعظة الجبل التي قرأت منها النصوص السابقة التي تدعوا إلى عدم مقاومة الشر وعدم إدانة أحد وتحويل الخد الآخر لمن يلطمك ومحبة الأعداء والصلاة لهم (والتي كما بينّا أنها تعاليم أصلاً توافق العهد القديم) نجد بأن المسيح في نفس الموعظة قال أيضاً:

"17 لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. 18 فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. 19 فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ

السَّمَاوَاتِ. 20 فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ." (متى 5 : 17-20)

وهذا النص الذي أمامك هو نص خطير جداً لأنه يشرح حقيقة قصد المسيح من كل ما تكلم به في موعظة الجبل، إنه عبارة عن مقدمة لما سيتحدث به عن تعاليم العهد القديم وما سيقدمه في ذلك الصدد، وفيها ذكر ثلاثة نقاط:

1) أنه لم يأت لينقض الناموس (أي هي شريعة موسى) وإنما ليكمل، بمعنى أنه لن ينقص تعليماً من تعاليم العهد القديم وإنما سيزيد عليها (وهو بالفعل ما عمله كما سنرى)، بل وأكد بحرص وتشديد أنه لن ينقص ليس مجرد تعليم واحد بل إنه لن ينقص حتى حرف واحد أو نقطة واحدة منه.
2) أن من ينقض أي تعليم من تعاليم العهد القديم، ولو كان هذا التعليم بسيطاً فإنه منبوذ من الله، وأما من تمسك بتعاليم العهد القديم كلها فإنه عظيم عند الله، وخطابه هنا ليس لليهود كما يظن بعض المسيحيين اليوم، وإنما كلامه للمسيحيين فهذا الكلام صدر منه حينما جمع المسيحيين في الجبل، وأخذ يعطيهم هذه الأوامر، فهذا الخطاب إنما هو جزء من موعظة الجبل! بل إحدى مقدماتها وقواعدها!
3) ثم بعد ذلك صرّح بأن على أتباعه المسيحيين أن يتّبعوا تعاليم العهد القديم أكثر من اتباع الكتبة والفريسيين (أي أكثر من اليهود ومعلميهم أنفسهم!)، وأنه متى لم يلتزم المسيحي بتعاليم العهد القديم (أشد من التزام اليهود به) فإنه لن يدخل ملكوت السماوات، أي لن ينجو ويُخلَّص في الآخرة، بل سيكون من أهل النار، إذن على خلاف ما يظنه بعض المسيحيين من أنه بتحررهم من تعاليم العهد القديم، ولمجرد كونهم مسيحيين فإنهم سيُخلَّصُون، بل إن الأمر أشد مما توقعوه كما قال المسيح في موعظة الجبل نفسها: "ادْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!" (متى 7 : 13-14)

المسيحي:

ما معنى قولك بأن المسيح طبق ما قاله من أنه لم يلغ ويبطل تعاليم العهد القديم وإنما زاد عليها؟

المسلم:

تعال وانظر للنصوص التي لحقت بمقدمته تلك، فأول وصية تتبع أمر المسيح وتشديده في اتباع العهد القديم هو قوله: "21 قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. 22 وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ." (متى 5 : 21-22)

فالمسيح هنا يبيّن بأن العهد القديم يعلّم بأن القاتل يستوجب الحكم (أي القضاء)، أي أنه يُحكم عليه بعقوبة القتل، كما نص عليه العهد القديم: "إِنَّ الْقَاتِلَ يُقْتَل." (العدد 35 : 16)، والمسيح هنا لم يلغ هذه الوصية التوراتية، وإنما أكّدها وزاد عليها بأنه ليس فقط تُقام عقوبة القتل على القاتل، وإنما هذه العقوبة يجب أن تُطبق على كل من يغضب على أخيه

(وبالمناسبة كلمة "باطلاً" (التي هي في اليونانية εἰκῆ وتقرأ "إِيْكِي" والتي تعني "بلا سبب") ليست موجودة في أقدم المخطوطات اليونانية، أي أنها أضيفت على يد بعض النساخ الذين كانوا ينسخون العهد الجديد، وسبب إضافتهم لهذه الكلمة هو عدم تقبلهم كيف يمكن أن يكون أي غضب (بما في ذلك الغضب المبرر) مستحقاً للعقوبة؟ ولأنها مضافة قامت النسخ العربية الأخرى للكتاب المقدس غير الفاندايك بحذفها)، وإذا كان الغاضب على أخيه مستوجباً للموت فإن من يقول على أخيه "رقا" (وهي كلمة في اللغة الآرامية التي كانت لغة المسيح والتي تعني "يا تافه") فإنه سيستوجب عقوبة أكبر منها، وهي عقوبة المجمع، فما الفرق بين أن يستوجب الحكم وأن يستوجب المجمع؟ بيّن R. A. Torrey في كتابه "كنز معارف الكتاب المقدس" (*Treasury of Scriptural Knowledge*) وهو يتحدث عن هذا النص بأن "الحكم" (أو "القضاء" كما ترجمته الترجمة اليسوعية) عبارة عن محاكم صغرى كانت موجودة في كل مدينة، وهي تتكون من 23 عضواً، والتي تحكم على المجرمين بالشنق أو قطع الرأس، بينما "المجمع" (أو السنهدرين) والذي يتكون من 72 عضواً، فإنها كانت محاكم عليا تحكم في القضايا التي عقوبتها القتل بالرجم، أي أن الغضب يستوجب القتل شنقاً أو بقطع الرأس، وأما التفوه بسبٍ بسيط يستوجب القتل بالرجم، بينما الذي يتفوه بسب لاذع فإنه يستوجب بقاءه في النار وعدم خلاصه في يوم القيامة! أليس هذا التعليم عبارة عن عدم نقض للعهد القديم وإنما زيادة تشديد عليه؟ بل إنه عدم نقض لأشد أنواع العقوبات (القتل)، والتي ألغاها المسيحيون اليوم (وذلك بحكم أنه ليست لديهم سلطة مسيحية على الدول اليوم، وإلا حينما كانت المسيحية تحكم كانت عقوبة الإعدام مطبقة، ومحاكم التفتيش خير مثال على ذلك).

المسيحي:

وماذا تقول في هذا النص: "38 سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. 39 وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً" (متى 5 : 38-39) ألا ترى كيف ألغى المسيح عقوبة القصاص للعين والسن واستبدلها بالعفو؟

المسلم:

بالعكس هذا النص لم يلغ قصاص العين والسن، تخيل معي أن المسيح لا يلغي العقوبة الكبرى، وهي القتل، ويلغي قصاص الأعضاء التي هي أسهل منها! بالطبع لا، وإنما لو ركزت قليلاً لوجدت بأن المسيح يتحدَّث عن تصرف المعتدى عليه لا عن حكم القضاء، فالقضاء حينما يحكم بعقوبة قصاص الأعضاء إنما يقوم بها بناء على شكوى المعتدى عليه، فلو قام المعتدى عليه بمسامحة المعتدي فإن القضاء لن يحكم عليه، وبالتالي المسيح لم يلغ إقامة العقوبة من جانب القضاء، وإنما طلب من المعتدى عليه ألا يطالب بحقه لدى القضاء، وإنما يعفو عن المعتدي، أي أنه طلب التسامح على المستوى الشخصي، ولاحظ حينما تربط هذا النص بالنص السابق لوجدت التالي: النص السابق يبين بأنه حينما يؤتى بمعتدي أمام القضاء فإن عقوبته الموت حتى ولو كان هذا الشخص قام بعمل تافه مثل الغضب، ولكن المعتدى عليه عليه أن يسامح المعتدي (الذي لو لم يسامحه فإن عقوبة الموت تنتظره)، وقد وضّح المسيح هذا المعنى الذي ذكرته حينما قال:

"25 كُنْ مُرَاضِياً لِخَصْمِكَ سَرِيعاً مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ لِئَلَّا يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِي وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الشُّرَطِيِّ فَتُلْقَى فِي السِّجْنِ. 26 اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لاَ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفَلْسَ الأَخِيرَ!" (متى 5 : 25-26)

فكما تقرأ في هذا النص بأن المسيح لم يلغ دور القضاء بقيامه بواجبه العقابي، ولكنه بيّن أيضاً بأن قيام القضاء بذلك الواجب يُشترط فيه الشكوى من المعتدى عليه، فكما هو واضح بأن المسيح لم يلغ عقوبات العهد القديم، وإنما شدّد فيها، وأضاف عليها، فشدّد على الطرفين بحيث جعل شدة نحو المعتدى عليه بأن يتنازل عن حقه (وهي صعبة على النفس)، وشدد على المعتدي بأن ينزل عليه القضاء أشد العقوبات لأسباب بسيطة.

ثم إن المسيح لم يكن دائماً مع مسامحة المخطئ بل مع معاملته كالوثني أو العشّار (أي صاحب الضرائب والذي يعتبر فاسقاً)، وبالتالي لم يعد أخ لك (وسيأتي بأن العهد الجديد يعلم بأنه إن لم يكن الشخص يشاركك الإيمان والمعتقد السليم فلا تسلّم عليه ولا تستقبله في بيتك، بل بحسب العهد القديم أن الوثني عقوبته الموت):

"15 وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. 16 وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فَخُذْ مَعَكَ أَيْضاً وَاحِداً أَوِ اثْنَيْنِ لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ. 17 وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ." (متى 18 : 15-17)

وإليك كلاماً للبابا شنودة (بابا الكنيسة القبطية) حيث يقول (في كتابه "سنوات مع أسئلة الناس" الجزء العاشر، السؤال 26، ص 50، طبعة الكلية الإكليركية بالقاهرة، 1998):

"السيد المسيح لم ينقض شريعة موسى، ويكفي في ذلك قوله: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (مت 5 : 17 ، 18)
إذن لا نقول فقط إن شريعة العهد القديم لم تُلغَ ولم تنقض، بل أن حرفاً واحداً منها لا يمكن أن يزول.
إذن ما معنى: قيل لكم عين بعين، وسن بسن؟
إن هذا كان شريعة للقضاء، وليس لتعامل الأفراد.
بهذا يحكم القاضي حين يفصل في الخصومات بين الناس، ولكن ليس للناس أن يتعاملوا هكذا بعضهم مع البعض الآخر." انتهى كلام البابا شنودة.

ولنسأل بحسب وصية المسيح إن كان المؤمن ستعامله كالوثني بسبب عدم اتباعه لأوامر المسيح فإن ذلك يعني أن تعامله بما هو أشبه بحال المرتد عن الدين، وما هو وضع المرتد في العهد القديم؟
"6 وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرّاً أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ أَوِ ابْنُكَ أَوِ ابْنَتُكَ أَوِ امْرَأَةُ حِضْنِكَ أَوْ صَاحِبُكَ الذِي مِثْلُ نَفْسِكَ قَائِلاً: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلا آبَاؤُكَ 7 مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الذِينَ حَوْلكَ القَرِيبِينَ مِنْكَ أَوِ البَعِيدِينَ عَنْكَ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلى أَقْصَائِهَا 8 فَلا تَرْضَ مِنْهُ وَلا تَسْمَعْ لهُ وَلا تُشْفِقْ عَيْنُكَ عَليْهِ وَلا تَرِقَّ لهُ وَلا تَسْتُرْهُ 9 بَل قَتْلاً تَقْتُلُهُ. يَدُكَ تَكُونُ عَليْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيراً. 10 تَرْجُمُهُ بِالحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ لأَنَّهُ التَمَسَ أَنْ يُطَوِّحَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِكَ الذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ العُبُودِيَّةِ. 11 فَيَسْمَعُ جَمِيعُ إِسْرَائِيل وَيَخَافُونَ وَلا يَعُودُونَ يَعْمَلُونَ مِثْل هَذَا الأَمْرِ الشِّرِّيرِ فِي وَسَطِكَ." (التثنية 13 : 6-11)

المسيحي:

ولكن المسيح من الواضح أنه ألغى الشريعة حينما لم يطبق على المرأة الزانية عقوبة الزنا، الذي هو الرجم، بل طرد كل من أرادوا تطبيق تلك العقوبة حينما قال لهم: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!" (يوحنا 8 : 7)، ثم إنه صرّح بإلغاء العقوبة حينما قال للمرأة: "ولاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضاً" (يوحنا 8 : 11)

المسلم:

أولاً: لم يكن المسيح يمثل سلطة القضاء فليس له أن يعطي حكماً قضائياً، فقد بيّن المسيح ذلك في موقف آخر:
"12 وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ: «يَا مُعَلِّمُ قُلْ لأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ». 14 فَقَالَ لَهُ: «يَا إِنْسَانُ مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِياً أَوْ مُقَسِّماً؟»" (لوقا 12 : 13-14)
ثانياً: لو كان قصد المسيح هو إلغاء العهد القديم كما يقول بعض المسيحيين ألا يصطدم هذا الكلام مع تصريح المسيح بأنه لم يلغ الناموس؟
ثالثاً: هناك مشكلة كبيرة في قصة المرأة الزانية، ألا وهو أن قصة المرأة الزانية كلها مفبركة على المسيح.

المسيحي:

ما الذي تقصده بكلمة "مفبركة" هل تقصد أنها قصة مكذوبة مزيفة ليست حقيقية؟ ألأنك لم تعجبك القصة قمت بادعاء أنها قصة مفبركة؟

المسلم:

كلا ليس الأمر أنه أعجبني أو لم يعجبني، حينما قلت لك بأنها مفبركة (والتي نعم أقصد أنها قصة مزيفة ومكذوبة) إنما استندت إلى دليل قاطع، وهو أن أقدم مخطوطات العهد الجديد ليست بها هذه القصة كلها، فكما هو معلوم بأن إنجيل يوحنا (والعهد الجديد عموماً) تمت كتابته باللغة اليونانية، وحينما كتب المؤلف إنجيله فإنه لن يذهب إلى مطبعة لتقوم بطبع نسخ بالآلاف لكتابه (فلم تكن في زمنهم مطابع والتي اخترعت في القرن الخامس عشر الميلادي)، وإنما سيكتبها أول مرة بخط يده على ورق (والذي كان ورقاً يسمى بورق البردي في ذلك الوقت)، ثم سيتم نسخ كتابه الأصلي هذا ليس بالمطبعة كما قلت، وإنما سيقوم نُسَّاخ بنسخ النسخة الأولى من الكتاب، ثم سيأتي نساخ آخرون لينسخوا من تلك النسخ المنسوخة وهكذا كلما يأتي جيل أو تنتقل نسخة إلى منطقة ما فإنه ستنتسخ منها نسخ أخرى.

إن الكثير من المسيحيين اليوم لا يعلمون بأن النسخة الأصلية التي كتبها مؤلف الإنجيل قد ضاعت، فهي ليست موجودة اليوم، وبالتالي حتى يقرأ المسيحيون والمختصون نص إنجيل يوحنا بلغته اليونانية فما عليهم إلا دراسة مخطوطات

لإنجيل يوحنا قد نسخت في قرون مختلفة، وبالطبع المخطوطات الأقدم تكون صاحبة مصداقية أكبر من المخطوطات الأحدث والتي جاءت بعدها، وذلك لأن المخطوطات الأقدم هي الأقرب إلى النسخة الأصلية.
إن أقدم مخطوطات يونانية لإنجيل يوحنا تعود إلى القرن الثالث الميلادي (وهما مخطوطتان اسمهما p66 و p75 أي البردي 66 والبردي 75)، وبالطبع هناك مخطوطة تسبقهما، والتي تعتبر أقدم مخطوطات مكتشفة لإنجيل يوحنا على الإطلاق وهي p52، وهي تعود إلى القرن الثاني الميلادي، ولكنها عبارة عن قصاصة صغيرة جداً بها خمسة أعداد من إنجيل يوحنا فقط، بينما المخطوطتان اللتان ذكرتهما فإن فيهما أغلب إصحاحات إنجيل يوحنا، وأكمل أقدم المخطوطات التي بها إنجيل يوحنا كله هما مخطوطتان تعودان إلى القرن الرابع الميلادي، وهما المخطوطة الفاتيكانية والمخطوطة السينائية.

في هذه المخطوطات الأربع الأقدم لإنجيل يوحنا (أي المخطوطات p66 و p75 والفاتيكانية والسينائية) نجدها لا تحتوي على آخر نص من الإصحاح السابع أي الآية 53 إلى الإحدى عشر آية الأولى من الإصحاح الثامن (أي يوحنا 8 :- 1-11، والتي هي عبارة عن قصة المرأة الزانية)، أي أن هذه 12 آية غير موجودة في أقدم المخطوطات، وبالتالي هي أضيفت لاحقاً على يد أحد النساخ المحرفين، وأقدم مخطوطة موجودة أضيف عليها هذا النص هي المخطوطة السكندرية، والتي تعود إلى القرن الخامس الميلادي.

وبالتالي فإن قصة المرأة الزانية عبارة عن قصة مزيفة أضافها محرف متأخر أراد أن يبالغ في تصوير رحمة المسيح، وبالتالي لا يوجد نص واحد ينص على إلغاء المسيح لأحكام العهد القديم، وإنما على العكس كما رأينا بأن المسيح قد صرّح بنفسه بأنه لم يلغها.

المسيحي:

إن ما تقوله خطير جداً، هل تريد أن تقول بأن مفهومنا كمسيحيين لتعاليم المسيح مبني على التحريف؟

المسلم:

ليس موضوعنا الآن التحريف، سنتحدث عنه لاحقاً، ولكن ما أقصده هنا هو أن قصة المرأة الزانية الشهيرة والتي توحي بأن المسيح قد قام بإلغاء تعاليم العهد القديم إنما هي قصة ملفقة ومختلقة ومكذوبة على المسيح بينما علّم المسيح حقيقة بحسب العهد الجديد بأنه لم يأت لينقض الناموس.

المسيحي:

ولكن العهد الجديد مملوء بالمحبة فلا يمكن أن يأمر المسيح باتباع شريعة العهد القديم، فصحيح أن العهد القديم يعلم الصفح والإحسان إلى المسيء، والذي هو نفس ما يعلمه العهد الجديد، ولكن العهد الجديد أعطى سمواً روحياً بأن زاد على العهد القديم في معاني المحبة للآخرين والتسامح التام لأقصى درجة.

المسلم:

كيف جعلتَ كون العهد الجديد مملوءً بالمحبة متناقضاً مع أمر المسيح باتباع الشريعة؟ هذا لا يناقض ذلك، ثم ما دام أن المسيح قد صرّح بأنه ما جاء لينقض الشريعة وأنه لن يُخلّص من لا يتبع شريعة موسى من المسيحيين فما الداعي لمحاولة التملص من هذا الأمر الصريح من المسيح، فإن لم تعجبك شريعة موسى وعقوباتها الشديدة فكيف أصلاً آمنتَ بأن العهد القديم هو من الله؟ وكيف أصلاً قبلتَ المسيح الذي يأمرك باتباع تلك الشريعة التي لم تعجبك؟ كيف تدعي محبة المسيح وأنت لم تعجبك وصاياه؟ وهو الذي قال: "إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي . . . اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كلاَمِي." (يوحنا 14 : 23-24)

ثم من قال بأن العهد الجديد لا يعرف إلا المحبة والمسالمة والتسامح لأقصى درجة؟ هذا الكلام يخالف تعاليم العهد الجديد نفسه؛ لاحظ هذه النصوص مثلاً:

1) "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِيكُمْ وَلاَ يَجِيءُ بِهَذَا التَّعْلِيمِ، فَلاَ تَقْبَلُوهُ فِي الْبَيْتِ، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ سَلاَمٌ. لأَنَّ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ يَشْتَرِكُ فِي أَعْمَالِهِ الشِّرِّيرَةِ" (2 يوحنا 1 : 10-11) (وهذا النص يبين بأن المسيحي إن التزم بمذهب واعتقد بأن مذهبه حق فإن عليه مقاطعة أصحاب المذاهب الأخرى ويطرد من بيته أي أحد اعتنق مذهباً غير مذهبه حتى لو كان من أهله)
2) أمر المسيح لتلامذته بألا يسلموا على من يقابلونهم في الطريق (حيث كان أكثر الناس يهوداً غير مؤمنين به) بينما يكون سلامهم فقط لمن يستقبلونهم والذين بالطبع هم مؤمنون:
"4 لاَ تَحْمِلُوا كِيساً وَلاَ مِزْوَداً وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ تُسَلِّمُوا عَلَى أَحَدٍ فِي الطَّرِيقِ. 5 وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلاً: سَلاَمٌ لِهَذَا الْبَيْتِ" (لوقا 10 : 4-5)
(وهذا التعليم يوافق ما علّمه العهد القديم من عدم السلام على الأشرار: "4 الرَّبُّ صِدِّيقٌ. قَطَعَ رُبُطَ الأَشْرَارِ . . . 8 وَلاَ يَقُولُ الْعَابِرُونَ: بَرَكَةُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ. بَارَكْنَاكُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ." (المزامير 129 : 4 ، 8))
3) قول المسيح: "وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا . . . وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ." (متى 18 : 15 ، 17)
4) وبينما هذه النصوص التالية أخذها المسيحيون بالمعنى المجازي إلا أنها حينما تُضَمُّ مع النصوص السابقة (وخصوصاً تلك التي تطالب بمقاطعة المخالفين وطردهم وعدم السلام عليهم) فإنك ستفهمها بمعنى مختلف:
"لا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً." (متى 10 : 34)
"49 جِئْتُ لأُلْقِيَ نَاراً عَلَى الأَرْضِ فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ . . . 51 أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ! بَلِ انْقِسَاماً. 52 أَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ. 53 يَنْقَسِمُ الأَبُ عَلَى الاِبْنِ وَالاِبْنُ عَلَى الأَبِ وَالأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ وَالْبِنْتُ عَلَى الأُمِّ وَالْحَمَاةُ عَلَى كَنَّتِهَا وَالْكَنَّةُ عَلَى حَمَاتِهَا." (لوقا 12 : 49 ، 51-53) (ولاحظ هنا قول المسيح: "فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟" أي ما الذي يهمني حينما يحدث ذلك؟ وهي عبارة تخالف الصورة ذات السماحة المطلقة التي ألصقها بعض المسيحيين بالمسيح، وبالطبع لا أعني هنا أن المسيح لم يعلّم السماحة، ولكن ليست إلى الدرجة التي أرادها بعض المسيحيون، وبالتالي وصلوا إلى درجة نقض تعاليم العهد القديم، والتي أمرهم المسيح نفسه باتباعها)

5) "1 حَتَّى أَنْ تَكُونَ لِلإِنْسَانِ امْرَأَةُ أَبِيهِ. 2 أَفَأَنْتُمْ مُنْتَفِخُونَ وَبِالْحَرِيِّ لَمْ تَنُوحُوا حَتَّى يُرْفَعَ مِنْ وَسَطِكُمُ الَّذِي فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ؟ 3 . . . قَدْ حَكَمْتُ كَأَنِّي حَاضِرٌ فِي الَّذِي فَعَلَ هَذَا هَكَذَا . . . 5 أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلاَكِ الْجَسَدِ لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ." (1 كورنثوس 5 : 1-3 ، 5) (يبيّن العالم البروتستانتي الشهير جون كالفن (والذي كان معاصراً لمحاكم التفتيش وما كانت تعمله الكنيسة الكاثوليكية من تنكيل وتعذيب لكل من خالف تعاليمها) في تفسيره على 1 كورنثوس 5 : 5 بأن الكنيسة الكاثوليكية كانت تفهم من هذا النص التعذيب الشديد للجسد)

6) "9 كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ فِي الرِّسَالَةِ أَنْ لاَ تُخَالِطُوا الزُّنَاةَ. 10 وَلَيْسَ مُطْلَقاً زُنَاةَ هَذَا الْعَالَمِ أَوِ الطَّمَّاعِينَ أَوِ الْخَاطِفِينَ أَوْ عَبَدَةَ الأَوْثَانِ وَإِلاَّ فَيَلْزَمُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الْعَالَمِ. 11 وَأَمَّا الآنَ فَكَتَبْتُ إِلَيْكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ مَدْعُوٌّ أَخاً زَانِياً أَوْ طَمَّاعاً أَوْ عَابِدَ وَثَنٍ أَوْ شَتَّاماً أَوْ سِكِّيراً أَوْ خَاطِفاً أَنْ لاَ تُخَالِطُوا وَلاَ تُؤَاكِلُوا مِثْلَ هَذَا. 12 لأَنَّهُ مَاذَا لِي أَنْ أَدِينَ الَّذِينَ مِنْ خَارِجٍ أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ تَدِينُونَ الَّذِينَ مِنْ دَاخِلٍ. 13 أَمَّا الَّذِينَ مِنْ خَارِجٍ فَاللَّهُ يَدِينُهُمْ. فَاعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ." (1 كورنثوس 5 : 9-13)

7) "14 لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ 15 وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟ 16 وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللهُ: «إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْباً. 17 لِذَلِكَ اخْرُجُوا مِنْ وَسَطِهِمْ وَاعْتَزِلُوا، يَقُولُ الرَّبُّ. وَلاَ تَمَسُّوا نَجِساً فَأَقْبَلَكُمْ" (2 كورنثوس 6 : 14-17)
(نقرأ في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس الآتي: "يحث الرسول بولس المؤمنين على عدم تكوين صلات وثيقة مع غير المؤمنين لأن هذا قد يضعف من التزامهم أو أمانتهم أو معاييرهم المسيحية.")

هذه النصوص السابقة تبيّن لك بأنه مع أن هناك سماحة في تعاليم العهد الجديد إلا أنها ليست بالصورة المبالغ فيها، فأحياناً تتم مسامحة المسيء بل وأعظم من ذلك أن يُحسن إليه، وهو الأفضل في المعاملة، وأحياناً يُقدّم إلى القضاء والأحكام الشديدة، ولكن في حالة أن اتبع المسيحي تعاليم تخالف التعليم الصحيح (وبالطبع كل مذهب مسيحي يرى بأن تعليمه هو الصحيح) حينها تتخذ ضده قرارات صارمة تبدأ من مقاطعته وعدم السلام عليه ويمكن أن تنتهي بإهلاك جسده، أي تصفيته جسدياً، وذلك في حالة وجود سلطة بيد المسيحيين (وبالفعل كانت الحكومات المسيحية منذ بداية حكمها من القرن الرابع الميلادي على يد قسطنطين وحتى الثورة الفرنسية التي أقصت حكم الكنيسة في أوروبا في القرن الثامن عشر تتعامل مع المخالفين بين النفي والقتل).

المسيحي:

ولكن المسيح قال لبطرس بعدما قطع أذن العبد: "رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!" (متى 26 : 52)، وهذا يوضّح لنا بأن المسيح كان ضد السيف.

المسلم:

لماذا أصلاً جلب بطرس معه سيفاً؟ وكيف سمح له المسيح بذلك؟

المسيحي:

لا أعلم لماذا جلبها، ولكنهم كانوا مهددين ومن دون شك بأن المهدد سيقوم بعمل احتياطاته، وأما عن سماح المسيح فالمسيح لم يسمح له، لربما هربها بطرس معه ولم ينتبه لها المسيح.

المسلم:

في الحقيقة المسيح نفسه هو الذي طلب من تلامذته أن يحملوا سيفاً، بل إلى درجة أن يبيعوا ثيابهم ليحصلوا لهم على السيف، وقد طلب منهم ليفعلوا كذلك حتى يحملوا السيف احتياطاً لأنهم كانوا مهددين بعد خيانة يهوذا الإسخريوطي: "فَقَالَ [المسيح] لَهُمْ: «لَكِنِ الآنَ مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذَلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفاً . . . فَقَالُوا: «يَا رَبُّ هُوَذَا هُنَا سَيْفَانِ». فَقَالَ لَهُمْ: «يَكْفِي!»." (لوقا 22 : 36 ، 38)

وبعدها ذهب المسيح وتلاميذه ليتحصنوا في حديقة جيشيماني ظانّين بأن المهاجمين سيتخذون طريقة أشبه بعملية اغتيال (ولذلك سيفين كانا كافيين)، ولكنهم فوجئوا بأنها عملية اعتقال على يد مجموعة من العسكر، وبالتالي من الحكمة وقتها عدم رفع السلاح في وجه العسكر وإلا لقام العسكر بإبادة المسيح ومن معه، وبالتالي تفهم قول المسيح: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!" (متى 26 : 52)

ومع أن هناك من المفسرين المسيحيين فهموا بشراء السيوف هو أخذ التدابير اللازمة للدفاع عن النفس والجاهزية للمقاتلة (كما في تفسير جاميسون وفاوست وبراون) فإنه للأسف هناك من المفسرين من أرادوا أن يبقوا المسيح على صورة مبالغ فيها من السماحة، وبالتالي لم يعجبهم طلب المسيح لتلامذته لأن يشتروا سيوفاً، وعلى ذلك قاموا بتحويل كلام المسيح من الحرفي إلى المجازي، انظر مثلاً كلام القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره على لوقا 22 :ـ 36 بقوله بأن المسيح إنما طلب من تلامذته "لا ليحملوا سيفًا ويحاربوا به كما ظن التلاميذ، وإنما ليحملوا سيف الإيمان الحيّ العامل بالمحبة. لهذا عندما قالوا له أنه يوجد سيفان، قال لهم: يكفي. وقد حسبوه أنه يقصد السيفين الماديين."

لا شك بأن كلام القمص تادرس يبين لك بأن بعض المسيحيين يحاولون بكل ما أوتوه من قوة ليغيّروا كل ما قاله المسيح ليصب فقط في الصورة التي رسموها له، فالنص واضح بأنه طلب منهم أن يحملوا معهم كيس مال ومزود طعام، ومن ليس معه أياً منها فليبع ثوبه، ثم ماذا يفعل بالمال؟ يشتري الإيمان؟ كلا بل ليشتر به سيفاً، بل وقد أخبر التلامذة المسيح بأن معهم سيفين اثنين، ولم يقل لهم المسيح لم أقصد السيف المادي وإنما أيدهم بقوله: "يكفي"، بل بأحد هذين السيفين قطع بطرس أذن العبد، فهل قطع أذن العبد بسيف الإيمان أم بالسيف المادي؟ والكلام مع أنه واضح وصريح، إلا أنه لم يعجب بعض أولئك المسيحيين فحرّفوا المعنى ليوافق هواهم لا ليوافق ما أراده المسيح نفسه، إن تفسير القمص وتحويره للقصة إنما يرينا مثالاً على عدم فهم الكثير من المسيحيين العهد الجديد (بل ومحاولة البعض منهم لتحوير ما هو مفهوم وواضح)، ولذلك استمروا يظنون بأن المسيح نقض ناموس موسى.

الفصل الخامس:
الاشتراك في الشخصية (ساداتنا المسيح ومحمد عليهما السلام)

المسلم:

هناك علاقة خامسة بين الإسلام والمسيحية، ألا وهي التشابه في الشخصية بين المسيح ونبينا محمد عليهما السلام، فكلاهما كانا يعيشان حياة بسيطة متواضعة، نجد المسيح مثلاً يقول: "لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ." (متى 8 : 20)، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيش بكل زهد حتى أن يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، ويمر عليه الشهر والشهران ولا يجد شيئاً يأكله غير القليل من التمر، بل وكما يصفه سيدنا عمر رضي الله عنه بقوله: "لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ." (الدقل: الرديء اليابس من التمر)

فتخيل حياة الزهد التي كان ساداتنا المسيح ومحمد عليهما السلام يعيشانها مع أنهما كانا لهما من الأتباع الكثير، لقد كانا يستطيعان لأن يكونا أغنى الأغنياء، ومع ذلك رفضا أن يبقيا معهما أي شيء من المال، وقد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يطيق أن يرى محتاجاً فيعطيه حتى أنه قد يستلف فقط من أجل أن يسد حاجة المسكين، فكما روى البيهقي عن سيدنا أبوهريرة: "أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُهُ، فَاسْتَسْلَفَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَطْرَ وَسْقٍ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ."، وكان إذا رأى رجلاً عارياً محتاجاً يستلف ليكسوه ويطعمه.

إن من يلقي نظرة عن كثب لحياة المسيح وحياة نبينا محمد عليهما السلام فإنه سيجد بأنهما كانا طاهري القلب صادقَين، يُنبئك عن صدقهما ما بينته أنهما كانا يعيشان تلك الحياة الزاهدة بالإضافة إلى اجتهادهما الشديد ليبلغا الناس عبادة ربهم، بل ولأنهما صادقين كانت أبغض الصفات لديهم هو الكذب، قالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها وأرضاها: "مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ."

وكان المسيح متسامحاً مملوء بالرحمة، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث: "كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقَاً، لَمْ يَكُنْ فَاحِشَاً، وَلاَ مُتَفَحِّشَاً، وَلاَ سَخَّابَاً فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ."، وكما قال عمران بن الحصين: "وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَقِيقًا"، ولذلك أحب الناس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يرون النور في كل شيء؛ فعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ."

المسيحي:

ولكن ألا ترى بأن هناك فرقاً هائلاً بين رحمة المسيح ورحمة نبيكم محمد؟ فالمسيح مثلاً لم يقاتل أحداً قط بينما محمد شن حروباً وقاتل، كيف يكون نبياً مرسل من الله وهو يقتل الناس، بل ويجبر الآخرين على دينه؟

المسلم:

لم يجبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أحداً على الإسلام، ففي القرآن الكريم نقرأ: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} (البقرة 256)، ولم يكن الحرب من أجل إجبار الآخرين على الإسلام، وإنما كان لصد عدوان المعتدين.

المسيحي:

كيف لصد عدوان المعتدين؟ أما تقرأ في القرآن: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} (البقرة 191)، أي أن المسلم مأمور لأن يقتل كل من هو ليس بمسلم، ثم انظر إنها نفس أفعال الجماعات الإرهابية، أليست هذه الجماعات تتبع القرآن؟ ولذلك هي تقوم بما تقوم به من قتل وتخريب.

المسلم:

أولاً وقبل كل شيء هل قرأت الآية التي تسبق هذه الآية والآية التي بعدها؟

المسيحي:

كلا.

المسلم:

هنا تكمن المشكلة، إنك فقط سمعت من بعض المسيحيين المتعصبين، وعن تلك الجماعات الإرهابية، وأخذت تؤيد رأيها باقتصاص بعض الآيات، ولم تراع سياقها، ولو راجعت سياق تلك الآيات لعلمت أن ما يعمله أولئك الإرهابيون إنما هو مخالف للقرآن نفسه، فأنت لو قرأت الآية التي قبلها ستجدها كالآتي:
{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (البقرة 190)

هل رأيت؟ إن الآية الكريمة التي تسبقها تبين بأن المقصود بالقتل هنا إنما هو قتل المقاتلين المعتدين، وليس قتل المسالمين من غير المسلمين، فانظر إلى الآية الكريمة: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ} أي أن القتال مع المقاتلين ثم يقول تعالى: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} أي أن على المسلم ألا يكون هو المعتدي، فلا يكون هو البادئ بالحرب، وإنما حربه فقط مع المعتدين، ولذلك لأن حربنا مع المعتدين فأمرنا تعالى نحو المعتدين في المعركة:
{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} (البقرة 191)

ثم لم تقف الآيات هنا وإنما تجد الآية التي بعدها تؤكد على أن المعتدين متى توقفوا عن الحرب فعلينا أن نتوقف عن الحرب: {فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (192)

وبالتالي لا تقل لي الجماعة الفلانية أو الشخص العلاني ما دام أنهم يخالفون تعاليم الإسلام فهم خطأ، وبالطبع لا يمثلون الإسلام، ألم يشن بعض المسيحيين حروباً غير عادلة؟ ألم يعتدي مسيحيون باسم الدين؟ ألم يقم من المسيحيين بالحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، والاستعمار الأوروبي، وحرب الثلاثين عاماً بين الكاثوليك والبروتستانت والتي أفنت الكثير

من الشعوب الأوروبية؟ ألا يوجد اليوم وأمس وغداً قتلة بين المسيحيين؟ ولكن بالطبع ما يعملونه يعرض على الكتاب المقدس فإن خالفوا الكتاب المقدس فإن أعمالهم ستعتبر مخالفة للدين المسيحي، حتى وإن ادعوا بأنهم يتبعون الكتاب المقدس أو أنهم مسيحيون، بينما لو تطابقت أعمالهم مع ما يعلمه الكتاب المقدس فإن فعلهم يمثل ما تعلمه المسيحية، وهكذا بالنسبة للجماعات الإرهابية لدى المسلمين، فأعمالهم تخالف تعاليم الإسلام، وبالتالي هم مخالفون للإسلام، مهما ادعوا ما ادعوه.

المسيحي:

هناك حديث: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ." (رواه البخاري)، ألا يأمر نبيكم هنا بقتل كل من هو على غير الإسلام؟

المسلم:

الحديث لم يقل: "أمرت أن أقتل" وإنما قال: "أمرت أن أقاتل"، أي ليس القتل وإنما المقاتلة، فكلمة "القتل" لفظة عامة لأي سبب كان، بينما كلمة "المقاتلة" خاصة بالحرب، فهي من المفاعلة، أي يقاتِل ويُقاتَل في نفس الوقت، أي القتال مع المقاتلين، وبالتالي هي مرتبطة بمقاتلة الأعداء التي سببها كما بينت سابقاً هو اعتداؤهم.

وإليك كيف يبين القرآن الكريم بأن على المسلم أن يحارب المعتدين على المجتمع فقط، وأنه متى كان غير المسلم مسالماً فللمسلم أن يبره ويحسن إليه، قال تعالى: {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)} (الممتحنة 8-9)

وكذلك هذه الآيات التي تشرح سبب الحرب من جانب المسلمين، والذي هو لوقف الاضطهادات:
{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج 39-40)

وأما عن سؤالك كيف يكون نبياً من يقتل؟ فكما رأيت بأن الحرب الدفاعية مبررة، ولا تعد جريمة قتل، فالهدف من حروب النبي صلى الله عليه وسلم ليس الاعتداء على الناس، وإنما حفظ الناس، أي أنه كان يحفظ الناس البريئين من اعتداء المعتدين.

ثم إن هناك من الأنبياء من قاموا بالقتال، فإن كان القتال في نظرك ينقض النبوة، فعليك أن تنكر نبوة أولئك الأنبياء الذين أقاموا حروباً! ألا تعلم بأن العهد الجديد نفسه امتدح أولئك الأنبياء الذين أقاموا حروباً؟

المسيحي:

نعم هناك أنبياء قد حاربوا، وبالطبع لا يمكننا إنكار نبوتهم بسبب حروبهم، وإنما نؤمن بأن حروبهم قد شنوها بأمر من الله، إن الأنبياء يمثلون عقوبات إلهية أقيمت على الوثنيين، وبذلك لا أستبعد أن يمتدح العهد الجديد أولئك الأنبياء على ما فعلوه.

المسلم:

إن هناك أنبياء كثيرون في العهد القديم قاتلوا أعداءهم مثل نبي الله موسى ويشوع وداود وغيرهم، وقد امتدحهم العهد الجديد على حروبهم تلك، فنقرأ في العهد الجديد الآتي:
"32 وَمَاذَا أَقُولُ أَيْضاً؟ لأَنَّهُ يُعْوِزُنِي الْوَقْتُ إِنْ أَخْبَرْتُ عَنْ جِدْعُونَ، وَبَارَاقَ، وَشَمْشُونَ، وَيَفْتَاحَ، وَدَاوُدَ، وَصَمُوئِيلَ، وَالأَنْبِيَاءِ، 33 الَّذِينَ بِالإِيمَانِ قَهَرُوا مَمَالِكَ، صَنَعُوا بِرّاً، نَالُوا مَوَاعِيدَ، سَدُّوا أَفْوَاهَ أُسُودٍ، 34 أَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ، نَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، تَقَوُّوا مِنْ ضُعْفٍ، صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي الْحَرْبِ، هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ" (العبرانيين 11 : 32-34)

وبالمناسبة لا توجد مقارنة بين حروب أنبياء الكتاب المقدس وبين حروب النبي صلى الله عليه وسلم:
<u>فأولاً</u>: حروب أولئك الأنبياء الذين امتدحهم العهد الجديد عبارة عن إبادات عرقية لا يراعى فيها لا طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً بينما في حروب نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم كان يحرم قتل الأطفال والنساء والشيوخ (أي كبار السن).
<u>ثانياً</u>: كانت حروب العهد القديم تهدم وتقتل كل ما هو مفيد كالشجر والآبار والحيوانات بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بعدم فعل ذلك إلا في حالة واحدة وهي استفادة العدو منها في حربه.
<u>ثالثاً</u>: كان الكثير من حروب العهد القديم حروب اعتداء بينما كان المقصود من حروب النبي صلى الله عليه وسلم الدفاع.
<u>رابعاً</u>: لأن حروب العهد القديم مبنية على الاعتداء فإنه حتى لو اختار غير المؤمنين عدم الحرب فإنهم يُقتلون وأما في الإسلام لأن الحروب إنما هي دفاعية فإن على المسلمين التوقف عن الحرب إذا توقف العدو عن اعتدائه.

وإليك نصوص الكتاب المقدس التي تدل على ذلك:

- بحسب توراة موسى فإن الله أعطى لبني إسرائيل جميع أرض فلسطين، ولم يعطهم بمعنى أن يعيشوا فيها بسلام مع الأمم التي تسكنها، وإنما بمعنى أنهم سيبيدون كل الأمم التي تسكن هناك، بل يمنع إقامة أي معاهدة سلام مع تلك الأمم: "فَإِنَّ مَلاكِي يَسِيرُ أَمَامَكَ وَيَجِيءُ بِكَ إِلَى الأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. فَأُبِيدُهُمْ." (الخروج 23 : 23)- "31 وَأَجْعَلُ تُخُومَكَ مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلَى بَحْرِ فَلَسْطِينَ وَمِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلَى النَّهْرِ. فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلَى أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الأَرْضِ فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ. 32 لا تَقْطَعْ مَعَهُمْ وَلا مَعَ آلِهَتِهِمْ عَهْداً. 33 لا يَسْكُنُوا فِي أَرْضِكَ لِئَلا يَجْعَلُوكَ تُخْطِئُ إِلَيَّ. إِذَا عَبَدْتَ آلِهَتَهُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ فَخًّا»." (الخروج 23 : 31-33)

- شعوب فلسطين يتم إبادتهم عن بكرة أبيهم رجالهم ونساؤهم وأطفالهم بينما الأمم البعيدة الخارجة عن فلسطين فإنها تستعبد إن أقامت معاهدة سلام ولكن إن دافعت عن نفسها يقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وأطفالهم:
"10 حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِتُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا لِلصُّلحِ 11 فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلى الصُّلحِ وَفَتَحَتْ لكَ فَكُلُّ الشَّعْبِ المَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لكَ. 12 وَإِنْ لمْ تُسَالِمْكَ بَل عَمِلتْ مَعَكَ حَرْباً فَحَاصِرْهَا. 13 وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. 14 وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي المَدِينَةِ كُلُّ غَنِيمَتِهَا فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ التِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. 15 هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ المُدُنِ البَعِيدَةِ مِنْكَ جِدّاً التِي ليْسَتْ مِنْ مُدُنِ هَؤُلاءِ الأُمَمِ هُنَا. 16 وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلاءِ الشُّعُوبِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيباً فَلا تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا 17 بَل تُحَرِّمُهَا تَحْرِيماً: الحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرِزِّيِّينَ وَالحِوِّيِّينَ وَاليَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ." (التثنية 20 : 10-17)
- تدمير النبي يشوع لمدينة أريحا وإبادة أي كائن حي بها: "وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْلٍ وَشَيْخٍ - حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ . . . وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا . . . وَحَلَفَ يَشُوعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَائِلاً: «مَلْعُونٌ قُدَّامَ الرَّبِّ الرَّجُلُ الَّذِي يَقُومُ وَيَبْنِي هَذِهِ الْمَدِينَةَ أَرِيحَا. بِبِكْرِهِ يُؤَسِّسُهَا وَبِصَغِيرِهِ يَنْصِبُ أَبْوَابَهَا». وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَشُوعَ." (يشوع 6 :ـ 21 ، 24 ، 26-27) (ومعنى حرموا كل ما في المدينة أي قتلوهم وأبادوهم) بل ومع إبادة جميع أهل أريحا أطفالهم ونسائهم وشيوخهم وحيواناتهم تم استثناء أسرة الزانية راحاب ومع أن تعاليم الكتاب المقدس تعلم قتل الزناة إلا هذه الزانية، فلأنها أعانتهم على تلك الإبادات تم حمايتها (يشوع 6 : 25)
- وهكذا أقام النبي يشوع بأمر من الله إبادات جماعية هائلة لعدد من المناطق والممالك مثل لِبْنَةَ: "فَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ بِهَا شَارِداً" (يشوع 10 :ـ 30) ولَخِيشَ: "وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ." (يشوع 10 : 32)، وتمت إبادة جميع شعب جَازَرَ أيضاً فقط لأنها أعانت شعب لخيش في حماية نفسها (يشوع 10 :ـ 33) ثم إبادة أهل عَجْلُون (يشوع 10 :ـ 35)، ثم مملكة حَبْرون أبادوها عن بكرة أبيها: "وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدُنِهَا وَكُلِّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِداً حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِعَجْلُونَ، فَحَرَّمَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا." (يشوع 10 : 37) وكذلك تمت إبادة جميع أنفس مملكة دَبير (يشوع 10 : 39)، وهكذا فعل يشوع بجميع الممالك التي حوله: "فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِداً، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ." (يشوع 10 :ـ 40)، ثم على خلاف الممالك السابقة يقوم بنو إسرائيل بإبادة كل شعب مملكة عاي (والتي كان عدد سكانهم 12 ألف شخص) ماعدا حيوناتهم ومواشيهم لينهبوها لأنفسهم (يشوع 8 :ـ 2) "وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلاً أَبَدِيّاً خَرَاباً إِلَى هَذَا الْيَوْمِ." (يشوع 8 : 28) ثم إبادة لمملكة حاصور: "وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمُوهُمْ. وَلَمْ تَبْقَ نَسَمَةٌ. وَأَحْرَقَ حَاصُورَ بِالنَّارِ." (يشوع 11 :ـ 11)، وهكذا تم إبادة ممالك أخرى كثيرة، "لأَنَّهُ كَانَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ يُشَدِّدَ قُلُوبَهُمْ حَتَّى يُلاَقُوا إِسْرَائِيلَ لِلْمُحَارَبَةِ فَيُحَرَّمُوا، فَلاَ تَكُونُ عَلَيْهِمْ رَأْفَةٌ، بَلْ يُبَادُونَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى." (يشوع 11 : 20)
- وكان كل من لا يسمع ما يأمر به يشوع من بني إسرائيل يُقتل: "كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْصَى قَوْلَكَ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكَ فِي كُلِّ مَا تَأْمُرُهُ بِهِ يُقْتَلُ." (يشوع 1 :ـ 18)، وقد أخذ رجل من بني إسرائيل من تلك الحروب رداءً وشيئاً من الفضة والذهب فتم إحراقه حياً مع أولاده وبناته وحيواناته وكل ما يملك (يشوع 7 : 15 ، 21 ، 24-25)
- وحينما تم تولية أول ملك على بني إسرائيل وهو الملك شاول كانت مهمته الأولى ليست نشر العدل والسلام، وإنما إبادة الشعوب من رجل وامرأة وطفل ورضيع وحيوان: "1 وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكاً عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. 2 هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. 3 فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ

تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعاً، بَقَراً وَغَنَماً، جَمَلاً وَحِمَاراً».» (1 صموئيل 15 : 1-3) (ولاحظ هذا الافتقاد أي الانتقام لشيء عمله أجداد شعب العماليق قبل مئات السنين)

- ثم يأتي سيدنا داود الذي حكم بعد شاول مباشرة لينشر على كلامه مثل هذا الكلام: "38 أَلْحَقُ أَعْدَائِي فَأُهْلِكُهُمْ، وَلاَ أَرْجِعُ حَتَّى أُفْنِيَهُمْ. 39 أُفْنِيهِمْ وَأَسْحَقُهُمْ فَلاَ يَقُومُونَ، بَلْ يَسْقُطُونَ تَحْتَ رِجْلَيَّ." (2 صموئيل 22 : 38-39)
- ثم في أيام النبي إليشع يؤمر بنو إسرائيل إلى جانب إبادة الموآبيين وملاحقتهم في مدنهم قطع كل شجرة مثمرة وردم الآبار وإفساد المزارع: "18 وَذلِكَ يَسِيرٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَيَدْفَعُ مُوآبَ إِلَى أَيْدِيكُمْ. 19 فَتَضْرِبُونَ كُلَّ مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ وَكُلَّ مَدِينَةٍ مُخْتَارَةٍ وَتَقْطَعُونَ كُلَّ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ وَتَطُمُّونَ جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ وَتُفْسِدُونَ كُلَّ حَقْلَةٍ جَيِّدَةٍ بِالْحِجَارَةِ]." (2 الملوك 3 : 18-19)

والآن قارن ما سبق مع أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الحروب، فليست حروب النبي صلى الله عليه وسلم أولاً هجومية كما هو الحال مع حروب الكتاب المقدس وإنما حروب دفاعية لصد اعتداء المعتدين، ومع ذلك أيضاً فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عدم قتل الأطفال والنساء والشيوخ والخدم والمسالمون عموماً من رهبان وتجار ومزارعين وغيرهم من أهالي القرى والمدن غير المحاربين، بل وحتى من عرفوا أنه لم يخرج لقتال المسلمين إلا مجبراً وكارهاً للحرب (ولاحظ بأن النبي صلى الله عليه وسل كان يوصي بعدم أذية الرهبان أصحاب الصوامع، ما هذا التسامح والرقي وعدم التعصب؟):

- عن ابن عباس أنه قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: «اخْرُجُوا بِسْمِ اللهِ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، لاَ تَغْدِرُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ.»" (رواه أحمد)
- وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال وقت بعث الجيش: «وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا طِفْلاً وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ شَيْخًا كَبِيرًا وَلاَ تُعَوِّرُنَّ عَيْنًا وَلاَ تَعْقِرُنَّ شَجَرًا إِلاَّ شَجَرًا يَمْنَعُكُمْ قِتَالاً أَوْ يَحْجُزُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَلاَ تُمَثِّلُوا بِآدَمِيٍّ وَلاَ بَهِيمَةٍ وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَغُلُّوا.» (رواه البيهقي في السنن الكبرى)
- وأوصى صلى الله عليه وسلم أحد قادة الجند (وهو سيدنا خالد بن الوليد): «لَا تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً، وَلَا عَسِيفًا» (رواه أحمد) (والذرية هم النساء والأطفال، وأما العسيف فهو المأجور والتابع، والذي كما يبدو أنه كل مستأجر غير محارب كالطباخ والطبيب والخادم وغيرهم)، وقد رُوي: "بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً كُنْتُ فِيهَا فَنَهَانَا أَنْ نَقْتُلَ الْعُسَفَاءَ وَالْوُصَفَاءَ." (رواه أحمد) (الوصفاء: أي الخدم)، ورُوي عنه عليه أفضل الصلوات والتسليمات: «لا تَقْتُلوا عَسِيفاً ولا أسِيفاً.» (ابن الأثير في النهاية). (الأسيف: هو الحزين المتلهف على مافات أو الرجل السريع الحزن رقيق القلب، والذي قد يقصد به المجبر على القتال، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف أخر ألا يقتلوا أولئك الذين خرجوا للقتال مكرهين مجبرين مثل أبي البختري الذي لم يخرج لقتال المسلمين إلا لأن قريشاً أجبرته على ذلك).
- وعن جابر بن عبد الله أنه قال: "كَانُوا لاَ يَقْتُلُونَ تُجَّارَ الْمُشْرِكِينَ." (رواه ابن أبي شيبة)
- وعلى نفس نهج النبي صلى الله عليه وسلم كان سيدنا أبوبكر الصديق يقول: "أَلاَ لاَ يُقْتَلُ الرَّاهِبُ فِي الصَّوْمَعَةِ." (رواه ابن أبي شيبة)، وأيضاً قال: "لاَ تَقْتُلُوا صَبِيًّا وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ شَيْخًا كَبِيرًا وَلاَ مَرِيضًا وَلاَ رَاهِبًا وَلاَ تَقْطَعُوا مُثْمِرًا وَلاَ تُخَرِّبُوا عَامِرًا وَلاَ تَذْبَحُوا بَعِيرًا وَلاَ بَقَرَةً إِلاَّ لِمَأْكَلٍ وَلاَ تُغْرِقُوا نَحْلاً وَلاَ تُحْرِقُوهُ. وَقَدْ رُوِىَ فِى ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-." (رواه البيهقي)، وقال سيدنا عمر بن الخطاب: "لاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْفَلاَّحِينَ الَّذِينَ لا يَنْصِبُونَ لَكُمُ الْحَرْبَ." (رواه سعيد بن منصور في سننه)

المسيحي:

ولكن المسيح كان على خلاف موسى ومحمد، فهو لم يقاتل أبداً، لم يتعد على أحد، حتى أنه لم يدافع عن نفسه.

المسلم:

ما زلت أريدك ألا تنسى مثال الشرطيين الثلاثة، وكما قد قلت لي بأن الشرطي الذي يحمي الناس بمواجهته للأشرار إنما هو بطل، وأما الشرطي المتخاذل فإنما هو عار، ولذلك تعال لنفهم قليلاً عن وضع كل من أولئك الأنبياء العظماء محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام، فالأنبياء ينقسمون إلى صنفين: صنف يمكننا أن نسميهم بالأنبياء الكهنوتيين، وصنف يمكننا أن نسميهم بالأنبياء الملكيين.

الأنبياء الكهنوتيون إنما مهمتهم التعليم والإرشاد فقط، فهم لا يتولون زمام أمتهم، ولا يحكمونها، وبالتالي ليست من مهمتهم الدفاع عن شعوبهم، وغالباً مثل هؤلاء يكونون مضطهدين، خذ أمثلة من أولئك الأنبياء: المسيح وحزقيال وأشعياء ويونان ويوحنا المعمدان وغيرهم، وهذا الصنف من الأنبياء هم من قصدهم كاتب الرسالة إلى العبرانيين بقوله: "وَآخَرُونَ تَجَرَّبُوا فِي هُزُءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضاً وَحَبْسٍ. رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ" (العبرانيين 11 : 36-37)

وأما الأنبياء الملكيون فمنهم موسى ويشوع وداود وسليمان ومحمد وغيرهم، ومهمة هؤلاء الأنبياء إلى جانب التعليم والإرشاد هو الحكم على أمتهم المؤمنة، وبالتالي الدفاع عنها في حالة هجوم الأعداء، وبالطبع هذا الدفاع سيتخذ طريق صد الاضطهادات بالحرب، وهم الذين قصدهم كاتب الرسالة إلى العبرانيين في قوله: "الَّذِينَ بِالإِيمَانِ قَهَرُوا مَمَالِكَ، صَنَعُوا بِرّاً . . . صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي الْحَرْبِ، هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ" (العبرانيين 11 : 33-34)

تابع حروب النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثلاً، ستجده اتخذ الحرب مضطراً لها لا محباً لها، فهو القائل: «لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا.»، بمعنى لا تتمنوا الحرب ولكن متى اضطررتم لها فعليكم بالصبر وعدم التخاذل، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن الاعتداء على المسالمين؛ فقال عليه أفضل الصلوات والتسليمات: «دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ.» (ودعوكم وتركوكم كلاهما بنفس المعنى، والمقصود عدم محاربتهم ماداموا مسالمين)، بل ومتى رأى شخصاً اسمه "حرب" غيّر اسمه مباشرة لأنه صلى الله عليه وسلم يكره الحرب، ولذلك تجده هاجر مع أتباعه بسبب اضطهاد الأعداء لهم من مدينة (وهي مكة) إلى مدينة أخرى (وهي المدينة المنورة)، ومن ثم حينما أراد الأعداء الهجوم على المدينة المنورة وأرادوا استئصاله مع أتباعه، حينها وقف النبي محمد صلى الله عليه وسلم صامداً في وجههم فقامت تلك الحروب التي أشهرها بدر وأحد والخندق وفتح مكة، ولاحظ بأن كل من الثلاثة المعارك الأولى التي ذكرتها إنما كلها على حدود المدينة المنورة (أي أنها هجوم من الأعداء على المسلمين)، وأما الرابعة فهي هجوم النبي وأتباعه على أهل مكة المعتدين، ولكنها هجوم من غير حرب، أي كان إخضاعاً لهم وتوقيفاً لاعتداءاتهم، بل ووقتها عفا عن أعدائه ولم ينتقم، فقال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، أي عفوت عنكم فأنتم أحرار.

هذه هي مهمة النبي الذي يحكم على أمته، إنه يدافع عن شعبه بشكل بطولي فائق، ولكنه متى تمكن من أعدائه فإنه يعفو ويصفح عنهم بل ويحسن إليهم، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جسد صورة التسامح بأبهى صورة، فهو ليس فقط يأمر بالحسنى مع المسيء، وإنما طبقها ونفذها بشكل عملي، وبالمناسبة قد بينت لك مسبقاً بأن أنبياء الكتاب المقدس الذين حكموا على بني إسرائيل لم يكونوا مثل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كانوا يبيدون الشعوب الأخرى على خلاف صاحب الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك نجد أصابع بعض المسيحيين تشير إلى الاتهام للنبي صلى الله عليه وسلم، أما كان الأولى بالمسيحي اتهام الكتاب المقدس وأنبيائه؟ وأنا لا أقلل من مقدار أنبياء الله، ولا أتهمهم، ولكنني أتعجب من تناقض بعض المسيحيين في الاتهام.

المسيحي:

ولكن كما قلت لك ما يهمني هو أن المسيح كان متسامحاً لأقصى درجة.

المسلم:

إنني لأتعجب من بعض المسيحيين الذين يريدون المبالغة في تصوير سماحة المسيح، فمع أنه كان نبياً كهنوتياً إلا أنه كان شديداً في بعض الأحيان بصورة تخالف الصورة المرسومة في أذهان بعض أصحاب الكنائس، فمثلاً لم يعجبه أولئك اليهود الذين أخذوا يبيعون ويشترون في الهيكل "فَصَنَعَ سَوْطاً مِنْ حِبَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ اَلْغَنَمَ وَالْبَقَرَ وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ." (يوحنا 2 :- 15)، وهذه بالطبع صورة غير الصورة النمطية المأخوذة عن المسيح، فها هو يصنع سوطاً بنفسه ليطرد به أولئك المخالفين، إنه يستخدم القوة والعنف، هذا وهو نبي كهنوتي كيف به لو كان نبياً ملكياً؟

هل تريد أن ترى صورة المسيح كنبي ملكي؟ أنتم تؤمنون بأنه سيأتي آخر الزمان بمجيئه الآخر ليحكم ويحاكم الناس، فمجيئه الأول إنما هو مثل النبي حزقيال الذي كان يُرجم وليست له حول ولا قوة لردعهم وإنما يُجرّ كشاة ساكت، أو مثل يوحنا المعمدان الذي رفضه كثيرون ولا حول له ولا قوة لمنع سيف الحاكم لأن يقطع رأسه، وأما مجيء المسيح الثاني فإنه سيأتي مثل داود وسليمان الذين قاتلوا وحاربوا أعداءهم بل سحقوهم وأبادوهم، فانظر إلى نبوءات سفر الرؤيا عن مجيء المسيح الثاني:

"ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِيناً وَصَادِقاً، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ . . . وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ «كَلِمَةَ اللهِ». وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بِيضٍ، لاَبِسِينَ بَزّاً أَبْيَضَ وَنَقِيّاً. وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بِعَصاً مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. " (الرؤيا 19 : 11-15)

بل وما ينتظره اليهود من بشارات العهد القديم بمسيح ملك محارب يقاتل الأعداء يفهمها المسيحيون بأنها المجيء الثاني للمسيح كمثل هذا النص مثلاً: "تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ . . . شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ." (المزامير 45 : 3 ، 5)

إذا كان هذا شأنه في المجيء الثاني فكيف تحاولون تصويره بأكثر مما هو عليه؟ بل وحتى في مجيئه الأول هل تجد أي نص يتبسم المسيح فيه؟

المسيحي:

كلا، ولكن من دون شك كان المسيح يتبسم مع تلامذته، ولم يحتج كتبة الأناجيل لأن يسجلوا ابتسامات المسيح، فقد ركزوا على مواضيع أهم.

المسلم:

إنك لتجد الأناجيل الأربعة تكرر في مرات عديدة نفس كلمات المسيح أو نفس الحدث، بل وفي بعض الأحيان يتم تسجيل مشاعره من حزن وغضب وتخوف وبكاء ولم تسجل ولا مرة ابتسامة له؟ بل كان لاذعاً في نقاشاته وحواراته تجده يصرح لمن يناقشه بالغباء (لوقا 11 : 40 / 24 : 25)، وينعتهم بالجهل والعمى (متى 23 : 16 ـ 17 ـ 19 ـ 24 ، 26 / 15 : 14)، ويسميهم بالحيات وأولاد الأفاعي (متى 3 : 7 / 12 : 34 / 23 : 33 ولوقا 3 : 7)، وحتى في أسلوبه مع تلامذته يصفهم بقلة الإيمان وعدمه والشيطنة، فصورة المسيح في العهد الجديد شخصية دائمة الجدية بين الغضب والحزن، شخصية لا تعرف التبسم، وهذا بالطبع على عكس ما يحاول المسيحيون إبرازه، فالمسيح البسّام لا نجده إلا في الأفلام السينيمائية، والتي تحاول أن تملي الفراغ الموجود في شخصية المسيح، ولا أريدك أن تفهم مني أنني لا أعتقد أن المسيح كان يتبسم بل ما أقصده أنه بحسب العهد الجديد لم يكن التبسم سمة له.

لاحظ وصف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما يصفه أحد أصحابه، وهو عبد الله بن الحارث بن جَزْء: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."، أي أنه حتى أكثر الناس ابتسامة لم يكونوا مثله في كثرة تبسمه وحلاوة طبعه، أو كما يصفه سيدنا علي بن أبي طالب بأنه كان "دائم البشر"، أي أنه كان دائما بشوشاً، دائماً مُرَحِّباً، وقد كان يتبسم حتى لمن آذوه، بل وحتى لمن أرادوا قتله، فعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ."

وحينما أتى زيد بن سعنة الحبر اليهودي الذي جاء ليطالب بدينه في غير وقته وتعدى على النبي صلى الله عليه وسلم بيده حيث جذب النبي بشدة فأسقط رداءه وأقبل عليه بوجه جهم غليظ، فرأى سيدنا عمر ما عمله اليهودي فروعه بتهديد ووعيد؛ قال زيد: "وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ :

«أَنَا وَهُوَ أَحْوَجُ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ اتِّبَاعِهِ اذْهَبْ بِهِ، فَأَعْطِهِ حَقَّهُ، وَأَعْطِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ»"

وحينما أراد شيبة بن عثمان اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم من الخلف؛ يقول شيبة: "فَالْتَفَتَ إِلَيّ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَتَبَسّمَ، وَعَرَفَ الّذِي أَرَدْت، فَمَسَحَ صَدْرِي، وَذَهَبَ عَنّي الشّكّ." وقال: "فَوَاللهِ لَهُوَ كَانَ سَاعَتَئِذٍ أَحَبّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي وَبَصَرِى وَنَفْسِي، وَأَذْهَبَ اللهُ مَا كَانَ فِيّ."

المسيحي:

ولكن المسيح كان مشغولاً جداً، حيث أنه كان شديد الاهتمام بالناس، فكم من الناس كان يشفي ويعلم، فيصعب على شخص بهذه الحال أن يتبسم.

المسلم:

نعم صحيح، لقد كان المسيح شديد الاهتمام بالناس وبهدايتهم، ولكن هذا لا يمنع الابتسامة التي تدخل السرور على قلوب الناس، فالتبسم من الأخلاق الأساسية، تخيل لو أنك تصلي في كنيسة قسّها دائماً إما متجهم الوجه أو حزين، وحتى حينما يتحدث مع الناس لا تجده إلا بإحدى هاتين الصفتين، لا شك بأنك كما أنك تعلم بأنه مشغول ومهتم جداً إلا أنك لن تعذره في عدم اتخاذه للبشاشة صفة له.

كذلك نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم كان شديد الاهتمام بالناس ويشفيهم ويعلمهم، وبالمناسبة أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أكثر بكثير من أتباع المسيح عليه السلام، وبالتالي انشغالاته كانت أكبر، ومع ذلك لم ينس أن يتبسم للناس دائماً، وأعود وأكرر بأنني هنا لا أظن بأن المسيح لم يكن متبسماً، ولكن سؤالي هو أن الصورة المتصورة للمسيح يخالفها ما هو مسجل في الأناجيل، بل وتجد بعض المذاهب المسيحية تعتمد على الفرحة في الكنائس ربما تصل إلى الرقص (بعضهم لا يهتم حتى بملابس الحشمة) اتباعاً للعهد القديم خصوصاً تلك التي تتحدث عن رقص داود فرحاً، ولكن ليس هذا مما علمه المسيح أو تحدث عنه، وإنما تجده مثلاً يقول: "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ الآنَ لأَنَّكُمْ سَتَحْزَنُونَ وَتَبْكُونَ." (لوقا 6 :- 25)، "طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْبَاكُونَ الآنَ لأَنَّكُمْ سَتَضْحَكُونَ." (لوقا 6 :- 21)، "طُوبَى لِلْحَزَانَى لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ." (متى 5 : 4)

بل وحينما جاءت تلك المرأة غير الإسرائيلية (فقد كانت كنعانية) تستغيث به ليخرج الشياطين من ابنتها "23 فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» 24 فَأَجَابَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ أَعِنِّي!» فَأَجَابَ: «لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ»."
(متى 15 : 23-26)

لم يكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يطيق أن يرى امرأة محتاجة إلا ويبادر في نجدتها، حتى ولو كانت غير مؤمنة، فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم في أحد أسفاره بامرأة وثنية وعَلِمَ بأنها أرملة ولها صبيان أيتام طلب من أصحابه أن

يجمعوا ما عندهم حيث قال لهم: «هَاتُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ»، يقول عمران بن حصين راوي القصة: "فَجَمَعْنَا لَهَا مِنْ كِسَرٍ وَتَمْرٍ، وَصَرَّ لَهَا صُرَّةً، فَقَالَ [النبي صلى الله عليه وسلم] لَهَا: «اذْهَبِي فَأَطْعِمِي هَذَا عِيَالَكِ»"، ثم يقول عمران: "فَلَمَّا أَتَتْ أَهْلَهَا، قَالَتْ: لَقَدْ لَقِيتُ أَسْحَرَ الْبَشَرِ أَوْ إِنَّهُ لَنَبِيٌّ كَمَا زَعَمَ، كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ذَيْتَ وَذَيْتَ. فَهَدَى اللَّهُ ذَاكَ الصِّرْمَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمُوا." (رواه أحمد) ("الصّرم": بيوت مجتمعة)

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه: "أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلاَنٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ». فَخَلاَ مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا." (رواه مسلم)

وفي قصة إسلام عدي بن حاتم، وقد كان مسيحياً، فيخبر عن موقف رآه من معاملة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لامرأة وابنها؛ يقول عدي: "فَأَخَذَ [النبي صلى الله عليه وسلم] بِيَدِي فَوَجَّهَ بِي إِلَى مَنْزِلِهِ، فَبَيْنَا هُوَ يَمْشِي مَعِي إِذْ نَادَتْهُ امْرَأَةٌ وَغُلامٌ مَعَهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لَنَا إِلَيْكَ حَاجَةً، فَخَلَوْا بِهِ قَائِمًا مَعَهُمَا حَتَّى أَوَيْتُ لَهُ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، قُلْتُ فِي نَفْسِي: أَشْهَدُ أَنَّكَ بَرِيءٌ مِنْ دِينِي وَدِينِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، وَأَنَّكَ لَوْ كُنْتَ مَلِكًا لَمْ يَقُمْ مَعَهُ صَبِيٌّ وَامْرَأَةٌ طُولَ مَا رَأَى، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِي لَهُ حُبًّا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَأَلْقَى إِلَيَّ وِسَادَةً حَشْوُهَا لِيفٌ، فَقَعَدْتُ عَلَيْهَا، وَقَعَدَ هُوَ عَلَى الأَرْضِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَهَذَا!" (قوله "وهذا!": أي وهذا موقف آخر، يشير إلى أن هذا الفعل الذي هو جلوس النبي صلى الله عليه وسلم على الأرض وجعله هو من يجلس على الوسادة إنما هو خلق آخر من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم إلى جانب وقوفه مع المرأة والطفل لمدة طويلة يقضي لهما حاجتهما، فهما موقفان جعلا عدي يحب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر فأكثر ويؤكدان على أنه ليس بطالب ملك وإنما نبي حقاً)

وقال سيدنا عبد الله بن أبي أوفى: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيَقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلاةَ، وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ، وَلا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ يَقْضِي حَوَائِجَهُمَا."

ولم يهتم النبي صلى الله عليه وسلم بحاجة النساء والمساكين فقط، وإنما اهتم أيضاً بالأطفال، وإليك حادثة مع فتاة صغيرة، وهي من تلك الحوادث التي تنبئك عن مدى حنانية هذا النبي الكريم، فقد رُوِيَ عن ابن عمر أنه أخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم: "وَأَتَى صَاحِبَ بَزٍّ، فَاشْتَرَى مِنْهُ قَمِيصًا بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ، فَخَرَجَ وَهُوَ عَلَيْهِ فَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! اكْسُنِي قَمِيصًا كَسَاكَ اللَّهُ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ! فَنَزَعَ الْقَمِيصَ فَكَسَاهُ إِيَّاهُ, ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صَاحِبِ الْحَانُوتِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ قَمِيصًا بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ، وَبَقِيَ مَعَهُ دِرْهَمَانِ، فَإِذَا هُوَ بِجَارِيَةٍ فِي الطَّرِيقِ تَبْكِي، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دَفَعَ إِلَيَّ أَهْلِي دِرْهَمَيْنِ أَشْتَرِي بِهِمَا دَقِيقًا فَهَلَكَا، فَدَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا الدِّرْهَمَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ، ثُمَّ وَلَّتْ وَهِيَ تَبْكِي، فَدَعَاهَا, فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ وَقَدْ أَخَذْتِ الدِّرْهَمَيْنِ؟» قَالَتْ: أَخَافُ أَنْ يَضْرِبُونِي، فَمَشَى مَعَهَا إِلَى أَهْلِهَا، فَسَلَّمَ فَعَرَفُوا صَوْتَهُ، ثُمَّ عَادَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ عَادَ فَسَلَّمَ، ثُمَّ عَادَ فَثَلَّثَ، فَرَدُّوا، فَقَالَ: «أَسَمِعْتُمْ أَوَّلَ السَّلامِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، لَكِنْ أَحْبَبْنَا أَنْ تَزَوِّدَنَا مِنَ السَّلامِ، فَمَا أَشْخَصَكَ بِأَبِينَا وَأُمِّنَا؟ قَالَ: «أَشْفَقَتْ هَذِهِ الْجَارِيَةُ أَنْ تَضْرِبُوهَا»، قَالَ صَاحِبُهَا: فَهِيَ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ لِمَمْشَاكَ مَعَهَا، فَبَشَّرَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَيْرِ وَالْجَنَّةِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَشَرَةِ كَسَا اللَّهُ نَبِيَّهُ قَمِيصًا، وَرَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ قَمِيصًا، وَأَعْتَقَ اللَّهُ مِنْهَا رَقَبَةً، وَأَحْمَدُ اللَّهَ هُوَ الَّذِي رَزَقَنَا هَذَا بِقُدْرَتِهِ»." (رواه الطبراني)

يقول سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ». قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا." (رواه مسلم)

المسيحي:

لقد اهتم المسيح أيضاً بالأطفال، فقد قال: "وَمَنْ قَبِلَ وَلَداً وَاحِداً مِثْلَ هَذَا بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي. وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هَؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ." (متى 18 : 5-6)

المسلم:

نعم لقد اهتم المسيح بالأطفال، وهل لديكم تعامل من تعاملات المسيح مع الحيوانات؟

المسيحي:

كلا.

المسلم:

إنني هنا لا أحاول أن أقلل من شأن المسيح عليه السلام، وإنما أحاول أن أبين بأن من المسيحيين من يأخذون تصوراً ظالماً لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فمع أن مواقف الرحمة مذكورة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من المسيح عليه السلام، مع ذلك تجد بعض المسيحيين يغفلون عن ذلك، ويسارعون باتهام النبي صلى الله عليه وسلم تهم باطلة.

لقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم اهتماما بالغاً بالحيوان، فهو ليس فقط أعطى وصايا تدعوا إلى الرحمة بالحيوان، وإنما كان يدقق ويركّز على ما حوله من حيوانات، بلغت المسألة إلى درجة أنه صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ الحيوانات التي في الشوارع هل يطعمها أصحابها أم لا، فعن سهل بن الحنظلية حينما قال: "فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَتِهِ فَمَرَّ بِبَعِيرٍ مُنَاخٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ، وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فقَالَ: «أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ؟» فَابْتُغِيَ فَلَمْ يُوجَدْ، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ ارْكَبُوهَا صِحَاحاً، وَكُلُوهَا سِمَاناً»." (رواه ابن حبان)

وجمل من الجمال حينما "رَأَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ، فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟». فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ : «أَفَلاَ تَتَّقِي

اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ».» (رواه أحمد وابن أبي داود) (معنى "تدئبه" أي تتعبه)

وقد روي عن صدقة بن يسار أنه قال: "تَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْماً فَاحْتَبَسَ عَنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: «دُوَيْبَةٌ شَرِبَتْ»." (رواه عبد الرزاق)

ما ألطفه وما أرحمه من إنسان! نحن اليوم قد لا نلتفت إلى من يحتاج إلينا وقت انشغالنا، والنبي صلى الله عليه وسلم يتأخر على أصحابه، وهم ينتظرونه للصلاة التي هي أعظم شيء، وذلك رحمة ورفقاً بقطة.

وفي طريقه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة (والتي عفا فيها عن كل المجرمين الذين حاربوه): "لَمّا سَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْعَرْجِ، فَكَانَ فِيمَا بَيْنَ الْعَرْجِ وَالطّلُوبِ، نَظَرَ إلَى كَلْبَةٍ تَهِرّ عَلَى أَوْلادِهَا وَهُمْ حَوْلَهَا يَرْضَعُونَهَا، فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، يُقَالُ لَهُ جُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ أَنْ يَقُومَ حِذَاءَهَا، لَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ مِنْ الْجَيْشِ وَلِأَوْلَادِهَا." (ذكره الواقدي في مغازيه) (حذاء الشيء: بموازاته وجانبه ومحاذاته)

ولم يقتصر قلبه الحنون صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم على عدم إيراد تحريك الكلبة من مكانها وإقامته لمن يحرسها، وإنما حنّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم على بعيرٍ أرادت زوجته الكريمة الشريفة عائشة أن تشد عليه ليتحرك! فدعاها لأن تتلطف به، فعن المقدام بن شُريح أنه قال: "رَكِبَتْ عَائِشَةُ بَعِيرًا فَكَانَتْ فِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ.»" (رواه مسلم)

كما كان صلى الله عليه وسلم من حنيته مع الحيوانات بأنه كان يأمر أصحاب المواشي أن يقصوا أظفارهم حتى لا يدموا ضروع الحيوانات، وأن يبقوا من لبنها ما يكفي لأطفالها! فعن سَوَادَةَ بْنَ الرَّبِيعِ، قَالَ: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهُ، فَأَمَرَ لِي بِذَوْدٍ، ثُمَّ قَالَ لِي: «إِذَا رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِكَ فَمُرْهُمْ فَلْيُحْسِنُوا غِذَاءَ رِبَاعِهِمْ، وَمُرْهُمْ فَلْيُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ، لَا يَعْبِطُوا بِهَا ضُرُوعَ مَوَاشِيهِمْ إِذَا حَلَبُوا.»" (رواه أحمد)

ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليطق أن يرى أحداً يجلس على الحيوانات كأنها كراسي في حالة عدم الحاجة إليها؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: «ارْكَبُوهَا سَالِمَةً، وَدَعُوهَا سَالِمَةً، وَلاَ تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ لأَحَادِيثِكُمْ فِي الطُّرُقِ وَالأَسْوَاقِ، فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا، وَأَكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ.»" (رواه أحمد)

هكذا كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم ورحمته بالحيوانات، وبالتالي من يكون حاله هكذا مع الحيوانات كيف تتوقع منه مع البشر؟ كان لا يطيق أن يرى محتاجاً إلا ويساعده ويعينه:

فعن سيدنا أنس بن مالك: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا، وَكَانَ لاَ يَأْتِيهِ أَحَدٌ إِلاَّ وَعَدَهُ، وَأَنْجَزَ لَهُ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، وَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَأَخَذَ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: إِنَّمَا بَقِيَ مِنْ حَاجَتِي يَسِيرَةٌ، وَأَخَافُ أَنْسَاهَا، فَقَامَ مَعَهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَصَلَّى." (رواه البخاري في الأدب المفرد)

وعن أنس بن مالك أيضاً: "كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ." (رواه البخاري)، وقال سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه: "وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الإِنْسَانُ مُسْلِمًا فَرَآهُ عَارِياً يَأْمُرُنِي، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَقْرِضُ، فَأَشْتَرِي لَهُ الْبُرْدَةَ، فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ." (رواه أبو داود وابن حبان)

المسيحي:

إذا كانت أخلاق نبيكم إلى هذه الدرجة، فلماذا يلزم الإسلام غير المسلمين بالجزية؟

المسلم:

كما يُطالب المسلمون بدفع الزكاة يطلب من غير المسلمين الجزية ليتشاركا في بناء الوطن، والجزية أقل من الزكاة، فالزكاة عبارة عن 2,5 % من المال الكلي للمسلم (بشرطي بلوغ النصاب والحول) فإن على غير المسلم دفع جزية بحسب قدرته، بل من لم يستطع من غير المسلمين كان يعطى له من المسلمين.

هل قرأت في المسيحية أو اليهودية بأن على المؤمن أن يعطي غير المؤمن إذا احتاج؟ هذا تجده في الإسلام، فحينما هاجر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم من مدينة مكة إلى المدينة المنورة أخذ المسلمون يتصدقون على المسلمين هناك فقط، ولم يكونوا يهتموا بالتصدق على غير المسلمين، فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأمرهم بقوله تعالى:
{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} (سورة البقرة 272)

أي أن الله تعالى أمر المسلمين بأن يتصدقوا ويعينوا غير المسلمين، ونجد أيضاً إلى جانب هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم: «تَصَدَّقُوا عَلَى أَهْلِ الْأَدْيَانِ» (رواه ابن أبي شيبة)، أي تصدقوا على جميع الناس مهما كانت أديانهم.
وبالتالي على المسلم أن يتعاون ويتساعد مع غير المسلم، كما يحرم على المسلم إيذاء غير المسلم كما قال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.» (رواه أبو داود والبيهقي) (المعاهد: هو غير المسلم الذي بين دولتنا ودولته معاهدة أي سلام، بمعنى أنه ليس محارب، حجيجه: أي خصمه)

وبالطبع من غير المنطقي أن يطالب المسلم غير الفقير بدفع زكاة ولا يطالب غير المسلم غير الفقير بدفع شيء، بل إن الكتاب المقدس يعلِّم بأن المطالبة بالجزية ليست من الظلم، وإنما هي من سلطان الله وترتيبه، فانظر إلى ما يقوله بولس عن مطالبة الحاكم الروماني الوثني من المسيحيين بدفع الجزية (ولا أدري كيف يعترض بعض المسيحيين من الجزية مع أن كتابهم المقدس يؤيدها ويربطها بالله؟):

"1 لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ 2 حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً. 3 فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفاً لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ الصَّلاَحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ 4 لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثاً إِذْ هُوَ خَادِمُ اللهِ مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ. 5 لِذَلِكَ يَلْزَمُ أَنْ يُخْضَعَ لَهُ لَيْسَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ فَقَطْ بَلْ أَيْضاً بِسَبَبِ الضَّمِيرِ. 6 فَإِنَّكُمْ لأَجْلِ هَذَا تُوفُونَ الْجِزْيَةَ أَيْضاً إِذْ هُمْ خُدَّامُ اللهِ مُوَاظِبُونَ عَلَى ذَلِكَ بِعَيْنِهِ. 7

فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ." (رومية 13 : 1-7)

وبالمناسبة أخذ الجزية من غير المؤمنين هو عمل أنبياء الله أيضاً فها هم بنو إسرائيل تحت حكم النبي يشوع (الذي كان خليفة سيدنا موسى عليه السلام) يأخذون الجزية من الكنعانيين (أي الفلسطينيين):
"وَكَانَ لَمَّا تَشَدَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا الْكَنْعَانِيِّينَ تَحْتَ الْجِزْيَةِ، وَلَمْ يَطْرُدُوهُمْ طَرْداً." (يشوع 17 : 13)، بل وكان للنبي داود عليه السلام مسؤولاً خاصاً على الجزية (2 صموئيل 20 : 24)

المسيحي:

ولكن ما رأيك في تعدد زوجات نبيكم؟ ألا ترى كيف أن المسيح لم يتزوج فلم يكن شخصية تهتم بالشهوات.

المسلم:

إن تعدد الزوجات كان أحد سمات أنبياء الله، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو أحد أولئك الأنبياء، فاحذر من جعل التعدد كمقياس لنبذ النبوة، وبالتالي عليك أن ترفض أنبياء الله إبراهيم وموسى وغيرهم.

فكما بينت سابقاً بأن الله في العهد القديم أيد التعدد، ولكن وضع لها شرط العدل في الطعام والكسوة والمعاشرة (الخروج 21 : 10-11)، فكيف تعود وتربط المسألة بالنبوة أوعدمها؟

بل ولاحظ كيف أن الله يعد سيدنا داود (ذو الزوجات الثمانية) بأنه لو لم يكتف بالنساء اللاتي معه فإن الله سيزيده:
"7 فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: «أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ! هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَنَا مَسَحْتُكَ مَلِكاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَأَنْقَذْتُكَ مِنْ يَدِ شَاوُلَ 8 وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ سَيِّدِكَ وَنِسَاءَ سَيِّدِكَ فِي حِضْنِكَ، وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ قَلِيلاً كُنْتُ أَزِيدُ لَكَ كَذَا وَكَذَا." (صموئيل الثاني 12 : 7-8)

ولقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم لأسباب مختلفة منها تقريب قيادات القبائل والجماعات التي كانت تحارب المسلمين كزواجه من صفية بنت أبي سفيان زعيم قبيلة قريش التي حاربت المسلمين وصفية بنت حيي بن أخطب زعيم اليهود، كما أن كلهن كن ثيبات ما عدا واحدة، ولو كان الزواج بسبب الشهوات لتزوج النبي صلى الله عليه وسلم الأبكار.

وأما عدم زواج المسيح يفسر لنا لماذا لم يوص المسيح أتباعه (بحسب العهد الجديد) كيفية التعامل بين الزوجين.

المسيحي:

ولكن كيف يحدد نبيكم أربع زوجات للمسلمين بينما يزيد هو على الأربع؟ أليس عليه أن يلتزم بما أمر غيره به؟

المسلم:

لا يشترط أن يجري الله ما على الناس على الأنبياء، ذلك أن الأنبياء هم سفراء الله، وكما هو معلوم بأنه حتى في قوانين الدول السفراء لهم وضع خاص، ولا تجري عليهم قوانين الدولة التي هم فيها، ولذلك مع أن العهد القديم حرّم على بني إسرائيل الزواج من خارج بني إسرائيل (التثنية 7 : 3 والخروج 34 : 16، 1 الملوك 11 : 2 وعزرا 9 : 2 ونحيميا 13 : 25 ـ 27) إلا أن سيدنا موسى عليه السلام صاحب الشريعة تزوج امرأة كوشية (أي حبشية) من خارج بني إسرائيل، فغضب عليه إخوته هارون ومريم، ولكن الله وقف في صف موسى وبين بأنه أمين على وحي الله (أي أنه لن يفعل شيئاً إلا بوحي من الله ولن يخالفه):

"1 وَتَكَلَّمَتْ مَرْيَمُ وَهَارُونُ عَلى مُوسَى بِسَبَبِ المَرْأَةِ الكُوشِيَّةِ التِي اتَّخَذَهَا (لأَنَّهُ كَانَ قَدِ اتَّخَذَ امْرَأَةً كُوشِيَّةً) 2 فَقَالا: «هَل كَلمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلمْ يُكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضاً؟» فَسَمِعَ الرَّبُّ. 3 وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيماً جِدّاً أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الذِينَ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ. 4 فَقَال الرَّبُّ حَالاً لِمُوسَى وَهَارُونَ وَمَرْيَمَ: «اخْرُجُوا أَنْتُمُ الثَّلاثَةُ إِلى خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ». فَخَرَجُوا هُمُ الثَّلاثَةُ. 5 فَنَزَل الرَّبُّ فِي عَمُودِ سَحَابٍ وَوَقَفَ فِي بَابِ الخَيْمَةِ وَدَعَا هَارُونَ وَمَرْيَمَ فَخَرَجَا كِلاهُمَا. 6 فَقَال: «اسْمَعَا كَلامِي. إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ فَبِالرُّؤْيَا أَسْتَعْلِنُ لهُ. فِي الحُلمِ أُكَلِّمُهُ. 7 وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَليْسَ هَكَذَا بَل هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. 8 فَماً إِلى فَمٍ وَعَيَاناً أَتَكَلمُ مَعَهُ لا بِالأَلغَازِ. وَشِبْهَ الرَّبِّ يُعَايِنُ. فَلِمَاذَا لا تَخْشَيَانِ أَنْ تَتَكَلمَا عَلى عَبْدِي مُوسَى؟». 9 فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَليْهِمَا وَمَضَى. 10 فَلمَّا ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الخَيْمَةِ إِذَا مَرْيَمُ بَرْصَاءُ كَالثَّلجِ. فَالتَفَتَ هَارُونُ إِلى مَرْيَمَ وَإِذَا هِيَ بَرْصَاءُ. 11 فَقَال هَارُونُ لِمُوسَى: «أَسْأَلُكَ يَا سَيِّدِي لا تَجْعَل عَليْنَا الخَطِيَّةَ التِي حَمِقْنَا وَأَخْطَأْنَا بِهَا. 12 فَلا تَكُنْ كَالمَيِّتِ الذِي يَكُونُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ قَدْ أُكِل نِصْفُ لحْمِهِ». 13 فَصَرَخَ مُوسَى إِلى الرَّبِّ: «اللهُمَّ اشْفِهَا». 14 فَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: «وَلوْ بَصَقَ أَبُوهَا بَصْقاً فِي وَجْهِهَا أَمَا كَانَتْ تَخْجَلُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ؟ تُحْجَزُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ خَارِجَ المَحَلةِ وَبَعْدَ ذَلِكَ تُرْجَعُ». 15 فَحُجِزَتْ مَرْيَمُ خَارِجَ المَحَلةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَلمْ يَرْتَحِلِ الشَّعْبُ حَتَّى أُرْجِعَتْ مَرْيَمُ." (العدد 12 : 1-15)

المسيحي:

ولكن نبيكم وقع في خطيئة الزواج من عائشة، وهي قاصر بعمر التاسعة، فكيف يكون نبياً؟

المسلم:

كلمة "قاصر" هي لفظة معاصرة لمن هم دون الثامنة عشرة، ولم يكن الأمر كذلك في الزمن القديم، وقبل أن أناقش قانونية هذا الفعل أسألك هل وضع الكتاب المقدس سناً معيناً للزواج؟

المسيحي:

كلا، لأن مثل هذا الأمر معروفة شناعته فلم يحتج الكتاب المقدس لأن يبين تحريمه.

المسلم:

إن كل الأشياء المحرمة على المؤمن قد ذكرها الكتاب المقدس، فلا يمكنك أن تقول عن شيء بأنه خطيئة إلا حينما يصرح لك الكتاب المقدس بعدم فعله، بل وحتى الأشياء النادر حدوثها قد بيّن الكتاب المقدس حدودها، حتى الشيء الذي العمل به شبه مستحيل مثل إتيان البهائم: "كُلُّ مَنِ اضْطَجَعَ مَعَ بَهِيمَةٍ يُقْتَلُ قَتْلاً." (الخروج 22 : 19) بل مع ندرة هذا العمل تم تكرار تحريمه في الكتاب المقدس عدة مرات! راجع اللاويين 18 : 23 والتثنية 27 : 21 واللاويين 20 : 15-16.

هذا عن إتيان البهائم الذي كان أصلاً مرفوضاً لدى المجتمع الإسرائيلي، وكان يعد عملاً ذا شناعة فظيعة مع ذلك ذكر الكتاب المقدس تحريمه، فلماذا لم يحرم الكتاب المقدس زواج الصغيرات مع أنه كان أمراً شائعاً لدى الأمم السابقة؟

لم يحرم الكتاب المقدس زواج الصغيرات مع أنه كان منتشراً ومعروفاً لدى المجتمعات السابقة لأنه لم يكن محرماً أصلاً، فأي ممارسة شائعة سكت عنها الكتاب المقدس يدل على قبول الكتاب المقدس لذلك الفعل، وعدم تحريمه، وبالتالي لم يكن فعله خطيئة، وعلى ذلك لا يمكنك أن تقول بأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد ارتكب خطيئة بزواجه من سيدتنا عائشة وهي في سن مبكر، وعلى ذلك لا طعن هنا في نبوته.

هل تعلم من أين جاء نقدك وطعنك هنا؟ لقد جاء فقط من مسايرتك للنظام الغربي المعاصر، والذي يمنع من هم دون سن الثامنة عشرة من الزواج (مع أن الكتاب المقدس يبيح ذلك كما قلت)، إن نفس هذا النظام يخالف الكتاب المقدس في مواضع عدة منها: إباحة الزنا وإباحة الشذوذ الجنسي (أي أن يتزوج الرجل الرجل أو المرأة المرأة) وإباحة الربا وإباحة إتيان الزوجة وهي طامث، وهذه كلها تخالف تعاليم الكتاب المقدس:

- "لا تَزْنِ." (الخروج 20 : 14)
- "وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطِجَاعَ امْرَاةٍ فَقَدْ فَعَلا كِلاهُمَا رِجْساً. إِنَّهُمَا يُقْتَلانِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا." (اللاويين 20 : 13)
- "إِنْ أَقْرَضْتَ فِضَّةً لِشَعْبِي الْفَقِيرِ الَّذِي عِنْدَكَ فَلا تَكُنْ لَهُ كَالْمُرَابِي. لا تَضَعُوا عَلَيْهِ رِباً." (الخروج 22 : 25)
- "وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَاةٍ طَامِثٍ وَكَشَفَ عَوْرَتَهَا عَرَّى يَنْبُوعَهَا وَكَشَفَتْ هِيَ يَنْبُوعَ دَمِهَا يُقْطَعَانِ كِلاهُمَا مِنْ شَعْبِهِمَا." (اللاويين 20 : 18)

يا رجل إن الذي لا يزني في المجتمعات الغربية يعتبرونه إما مريض نفسياً أو شاذ جنسياً! هل تريد أن نحتكم في أوامر الله إلى مثل هذه الشناعات الاجتماعية؟

ثم إن حتى الدول الغربية ودول العالم عموماً يختلف قوانينها بعضها عن الآخر، بل ما هو ممنوع اليوم هو مباح غداً وما هو مباح اليوم ممنوع غداً، فلا يمكننا أخذ القرارات التي تتخذها بعض الدول بناء على تقاليدها أو اتفاقات معينة لتمثل البشرية جمعاء أو لتعتبر قانون الله وشريعته.

المسيحي:

أليس الزواج المبكر متفق على المنع منه بين دول العالم اليوم؟

المسلم:

ما دام أن الفتاة وصلت إلى سن البلوغ (فوصول الفتاة إلى سن البلوغ هو وصولها إلى تهيئة جسمها للحمل والولادة) وكانت ذات جسم صحي فما المانع من أن تتزوج متى أرادت؟ ألا يعد ذلك انتهاكاً لحريتها الشخصية بأن نفرض عليها سناً معيناً للزواج؟ ماذا لو أرادت فتاة أن تتزوج وهي بعمر السابعة عشر؟ هي تريد أن تتزوج لحاجتها إليه فهل نقول لها لا بل اذهبي فعليك بالزنا أفضل من أن تتزوجين؟ أليس التعامل مع الفتاة بهذه الطريقة يعد جريمة في حقها؟

وللعلم فإن معظم دول العالم (منها غالبية الدول الغربية) تبيح زواج الفتاة تحت سن الثامنة عشر، سن الثامنة عشر لمعظم الدول ليس منعاً من الزواج وإنما منعاً لتزويج الفتاة بنفسها من غير إذن والديها أو المحكمة.

فمع أن السن القانوني للزواج يبدأ من سن الثامنة عشرة إلا أنها تسمح بالزواج المبكر إما بشرط رضى الوالدين أو إذن من المحكمة ، فبريطانيا (إنجلترا) وبعض ولايات أمريكا وبلجيكا والبرتغال وإسبانيا تسمح لأقل من 18 سنة إلى 16 سنة كحد أدنى بشرط رضى الوالدين، وأضافت إلى ذلك هولندا قانوناً وهو أنه يحق لمن هم دون 16 سنة من أن يتزوجوا ولكن بإذن من الملكة! وجعلت ألمانيا وإيطاليا شرط الزواج المبكر إلى سن 16 أيضاً كحد أدنى هو إذن المحكمة، بينما أباحت كل من كندا وبعض ولايات أمريكا (ولاية نيويورك وتكساس وبنسلفانيا) الزواج المبكر حتى 14 سنة بشرط إذن من المحكمة (وأباحت لمن هم في سن 16 سنة برضى الوالدين) ، وأما في الدنمارك فمع أن السن القانوني هو 18 سنة إلا أن الدولة تأذن لمن هم دون ذلك إلى سن 15 سنة بشرط توفر السكن، وأما في اسكتلندا فإن السن القانوني هو 16 سنة و 15 سنة برضى الوالدين، وفي ولاية ماستشوسيتس بأمريكا مع أن السن القانوني هو 18 سنة إلا أنه يحق للرجل أن يتزوج وهو في عمر 14 سنة والمرأة في عمر 12 سنة بإذن من المحكمة والوالدين ، وفي ولاية ميسيسيبي بأمريكا السن القانوني هو 17 سنة للرجل و 15 سنة للمرأة ويحق للزوجين أن يكونا أصغر من ذلك بإذن من المحكمة والوالدين، وولاية أوهايو جعلت السن القانوني للرجل هو 18 وأما المرأة 16 سنة وأقل من ذلك يُشترط فيه رضى الوالدين، وهناك دول أباحت الزواج المبكر في حالة حمل الفتاة أو ولادتها من زنا والعياذ بالله كالمكسيك التي جعلت السن القانوني للزواج هو 20 سنة و 18 سنة برضى الوالدين و 14 سنة في حالة حمل الزنا، وبورتوريكو جعلت السن القانوني هو 21 سنة و 18 سنة برضى الوالدين وأما في حالة حمل أو ولادة زنا فإنه أقل من ذلك وليس له سن معين، وولاية إنديانا الأمريكية جعلت لحالة حمل الزنا سن 15، وتشددت ولاية نيوجرسي فجعلت السن القانوني 18 سنة وأما في حالة حمل الزنى فإنه إلى سن 16 كحد أدنى ، وأما ولاية نورث كارولينا الأمريكية فإنه يحق للفتاة الزواج إن كانت حاملاً من زنا مهما كان عمرها ، وهناك ولايات أمريكية سمحت للزواج المبكر من غير تحديد لسن معين حتى من غير الزنا ولكن بإذن المحكمة كولاية كاليفورنيا وميسيسيبي وأريزونا.

على العموم . . من الكلام السابق يمكننا القول بأن أغلب الدول الغربية لا تمنع الزواج المبكر (تحت سن 18 سنة)! وإنما ما تمنعه هو الزواج المبكر بغير إذن الوالدين أو المحكمة، وهنا للأسف تكمن المغالطة الإعلامية والثقافة العامة التي تعمم القول بأن الغرب يمنع الزواج المبكر!

ولأن هناك حاجة بيولوجية في الزواج فإن الكثير من الفتيات الصغيرات في الغرب وقعن في الزنا! ألا يحق لهن أن يتزوجن بدلاً من رذيلة الزنا؟ بل وبسبب وقوع الكثير من الفتيات الصغيرات في الزنا اضطرت وزيرة الصحة الإيرلندية ماري هارني أن تطالب في عام 2005 بتوفير حبوب منع الحمل لفتيات في عمر الحادية عشرة![1] بل وبسبب الغريزة التي تمر بها المراهقات غير المتزوجات فإنهن قد يقعن في فاحشة أسوأ من الزنا وهي فاحشة الشذوذ الجنسي وذلك بسبب إساءة الأولاد لهن (ففي دراسة لمدارس الثانوية في مدينة تورنتو في كندا تبين بأن 20 % من الطالبات يخبرن بأنهن تعرضن للإساءة في علاقاتهن الرومنسية (المصدر: مقالة بعنوان "ليست بصورة جميلة: دراسة كاشفة عن العنف ضد النساء في المدارس الثانوية عن طريق علاقات المواعدة" لشيرلي ليتش ميرسر للمركز الثقافي لأذى الزوجات في تورنتو 1987)) أو بسبب خوفهن من حالة الحمل ، تذكر مجلة التايم الأمريكية (Time Magazine) في عددها 26 سبتمبر 2005 بعنوان: "انحراف المراهقين الجنسي" بأن 11 % من البنات (أصغر من 19 سنة) عملن علاقات جنسية شاذة (أي بنت مع بنت) في أمريكا.

المسيحي:

ولكن ألا ترى بأن الزواج المبكر له مشاكل على الفتاة منها مشاكل صحية (فهي لن تطيق الحمل والولادة) وأخرى نفسية (فهي لن تطيق المسؤوليات الزوجية والأمومة)؟ وبالتالي لا بد من منع أي ضرر على المجتمع.

المسلم:

في الواقع إن المحاولات الإعلامية لنشر أضرار الزواج المبكر هي من المبالغات الإعلامية ، إليك خبيرة الحمل والولادة والإرضاع الأمريكية روبين إليس ويس (Robin Elise Weiss) (وهي بسبب جهودها في هذا المجال حصلت على أربعة جوائز: جائزة إليزابيث بينغ وجائزة الولادة الطبيعية وجائزة الرئيس وجائزة منتدى الاتحاد من أجل خدمات الأمومة) تبين في مقالة لها بعنوان "حمل المراهقات" (أي الحمل في سن مبكر) سخف تلك الادعاءات وتبيّن بأن حمل الفتيات قبل سن الثامنة عشر هو حمل طبيعي وإنما تحتاج الفتاة في ذلك السن إلى التغذية الجيدة ومراجعة الطبيب المستمر (وهو بالضبط ما تحتاجه المرأة الحامل في أي سن كانت) حيث تقول:

"بينما نواجه الحقائق الفاجعة لحمل المراهقات التي لا تسر إلا أن هذه صورة لا يصح أن نصورها ، فالأمهات الصغيرات قادرات بشكل تام على الحصول على حمل صحي وطفل صحي ، فمع التغذية الصحيحة والعناية المبكرة بالحمل والفحص الجيد للمشاكل المحتملة هذه المشاكل المحتملة لن تظهر ، وأما ما يميل إليه البعض من الاعتقاد بأنك لا تستطيع تعليم أمّ صغيرة أي شيء عن جسمها أو طفلها فإنها فكرة سخيفة ، فالكثير من الأمهات الصغيرات اللاتي

1الـ USA Today الإخبارية على موقعهم الرسمي بالانترنت: **http://www.usatoday.com/news/world/2005-08-10-europe-religion-cover_x.htm**)

يتخذن أدواراً إيجابية من عنايتهن يحصلن على أطفال أصحاء بالرغم من الصعوبات الأخرى التي سيواجهنها في حياتهن ، فالتأييد من الأهالي والمجتمعات مهم للصغيرة وللأسرة الجديدة لتنجح." [2]
والتغذية الجيدة تقصد به الأستاذة روبين ويس عبارة عن حمض الفوليك والفيتامينات الهامة للحمل و الطعام المفيد للحمل وهو ما تحتاجه بالمناسبة الحوامل عموماً.

لا أريد أن تفهم بأن الإسلام أباح الزواج المبكر وفقط، وإنما حرم الإسلام الزواج إن كان ضارا بها في أي سن كانت.

وحقيقة تبلغ الفتيات أغلبهن ما بين 11 و 12 سنة وقد يبلغ بعضهن في سن التاسعة وبعضهن في الرابعة عشر، ووصول الفتاة إلى سن البلوغ إنما هو بلوغها لسن الزواج من الناحية البيولوجية وبالتالي جاهزيتها للأمومة بيولوجياً، فالبلوغ هو تحولها من فتاة إلى امرأة، حيث تظهر عليها الدورة الشهرية والتي تسببها جاهزية البويضة للتخصيب وجاهزية رحمها للحمل والولادة.

ولذلك في عام 2005 طالبت وزيرة الصحة الإيرلندية ماري هارني بتوفير حبوب منع الحمل لفتيات في عمر الحادية عشرة![3] بل وبسبب الغريزة التي تمر بها المراهقات غير المتزوجات فإنهن قد يقعن في فاحشة أسوأ من الزنا وهي فاحشة الشذوذ الجنسي وذلك بسبب إساءة الأولاد لهن (ففي دراسة لمدارس الثانوية في مدينة تورنتو في كندا تبين بأن 20 % من الطالبات يخبرن بأنهن تعرضن للإساءة في علاقاتهن الرومنسية (المصدر: مقالة بعنوان "اليست بصورة جميلة: دراسة كاشفة عن العنف ضد النساء في المدارس الثانوية عن طريق علاقات المواعدة" لشيرلي ليتش ميرسر للمركز الثقافي لأذى الزوجات في تورنتو 1987)) أو بسبب خوفهن من حالة الحمل ، تذكر مجلة التايم الأمريكية (*Time Magazine*) في عددها 26 سبتمبر 2005 بعنوان: "انحراف المراهقين الجنسي" بأن 11 % من البنات (أصغر من 19 سنة) عملن علاقات جنسية شاذة (أي بنت مع بنت) في أمريكا.

وبالتالي بأي حق يتم منع الفتيات من الزواج متى أردن ذلك؟

المسيحي:

بقي لدي سؤال عن نبيكم، أما ترى كيف تتشابه تعاليمه مع الكتاب المقدس؟ وبالتالي ألم يأخذ تعاليمه عن الكتاب المقدس؟ ما الذي يؤكد نبوته؟

2 Robin Elise Weiss is the winner of the Elisabeth Bing Award, The Normal Birth Award and the President's Award from Lamaze International as well as the Coalition for Maternity Services (CIMS) Forum Award. She said: "While facing the grim realities of teen pregnancy is not pleasant, this is not the picture that has to be painted. Teen mothers are perfectly capable of having a healthy pregnancy and a healthy baby. With the proper nutrition, early prenatal care and good screening for potential problems the majority of these potential problems will not come to light. While some tend to think that you can't teach a teen mother anything about her body or baby, it's really a ridiculous notion. Many of the teen mothers who take active roles in their care do go on to have healthy babies, despite the other hardships that they will face in their lives. Support from the families and communities is a must for the young, new family to be successful." (http://pregnancy.about.com/cs/teenpregnancy/a/teenpreg.htm)

3 الـ USA Today الإخبارية على موقعهم الرسمي بالانترنت: **http://www.usatoday.com/news/world/2005-08-10-europe-religion-cover_x.htm**)

المسلم:

هناك مشكلة حاصلة من جانب بعض المسيحيين، إن رأوا تشابهاً بين الإسلام والكتاب المقدس قالوا ها هو دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم نسخ عن الكتاب المقدس تعاليمه، وإن رأوا اختلافاً بين الإسلام والكتاب المقدس قالوا ها هو دليل على أن الإسلام ليس من الله! وهكذا بدلا من أن تؤخذ تلك الاتفاقات بين الإسلام والكتاب المقدس على أنها من نفس المصدر يتم اتهام الإسلام بأنه أخذ تلك المعلومات عن الكتاب المقدس.

وحقيقة هناك تشابهات وهناك اختلافات، فبالطبع سيشترك الإسلام مع الكتاب المقدس في الدعوة إلى توحيد الله تعالى بل ويعتبر النبي صلى الله عليه وسلم مجدداً لتعاليم الأنبياء بعدما نسي المسيحيون التوحيد الخالص واتبعوا عقيدة التثليث، ومن المشتركات أيضاً الإيمان بالملائكة والأنبياء وتحريم القتل والسرقة والكذب وما إلى ذلك، كما يشتركان في بعض القصص وأخبار الأنبياء عليهم السلام، فإن ما حدث بالفعل للأنبياء سيتم نقله بشكل مشترك بين الإسلام والكتاب المقدس.

بينما يختلفان كما بينت سابقاً في بعض التشريعات التفصيلية فإنهما يختلفان فيما أخطأ فيه الكتاب المقدس فيقوم الإسلام بتصحيحه.

دعني أعطيك مثالاً على ما تم تصحيحه في الإسلام، فالكتاب المقدس يعلم بأنه منذ أيام سيدنا إبراهيم إلى زمن حفيده سيدنا يوسف وحاكم مصر يسمى بفرعون كما في النصوص التالية:

- "17 فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ. 18 فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَقَالَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟" (التكوين 12 : 17-18)
- "41 ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «انْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ» . . . 44
- "1 وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَى حُلْماً وَإِذَا هُ وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «أَنَا فِرْعَوْنُ. فَبِدُونِكَ لاَ يَرْفَعُ إِنْسَانٌ يَدَهُ وَلاَ رِجْلَهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ»." (التكوين 41 : 41 - 44)وَ وَاقِفٌ عِنْدَ النَّهْرِ. 2 وَهُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ طَالِعَةٍ مِنَ النَّهْرِ حَسَنَةِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَةِ اللَّحْمِ فَارْتَعَتْ فِي رَوْضَةٍ. 3 ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ أُخْرَى طَالِعَةٍ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ قَبِيحَةِ الْمَنْظَرِ وَرَقِيقَةِ اللَّحْمِ. فَوَقَفَتْ بِجَانِبِ الْبَقَرَاتِ الأُولَى عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ. 4 فَأَكَلَتِ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ وَالرَّقِيقَةُ اللَّحْمِ الْبَقَرَاتِ السَّبْعَ الْحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ وَالسَّمِينَةَ. وَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ." (التكوين 41 : 1-4)

والخطأ هنا أن لقب فرعون لم يتسم به حكام مصر إلا بعد زمن سيدنا إبراهيم ويوسف عليهما السلام بقرون، فقد عاش سيدنا إبراهيم بين القرنين 2000 و 1800 قبل الميلاد، وبعده بوقت قصير عاش سيدنا يوسف عليه السلام (يُرجح كحد أدنى أنه عاش في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، مع بداية حكم ملوك الهيكسوس على مصر، والذين حكموا بين الفترة 1786 و 1570 قبل الميلاد) بينما تم تلقيب حكام مصر بالفراعنة منذ ما يسمى بالمملكة الحديثة (أو الدولة الحديثة) في عهد الأسرة الثامنة عشر، وبالتحديد في زمن الملك تحتمس الثالث (Thutmose III) (وهو الحاكم السادس للأسرة الثامنة عشر، وهو صاحب أكبر توسع لمصر، وحكم بين 1479-1425 قبل الميلاد)، وقبل تحتمس هذا كان حكام مصر يُسمون بالملوك وليس الفراعنة.

نقـرأ في الموسـوعة البريطانيـة (*Britannica Encyclopedia*) تحت عنـوان "Pharaoh" (على الرابـط التـالي: https://www.britannica.com/topic/pharaoh):
"إن الكلمة [أي فرعون] أصبحت تستخدم كتسمية بديلة للملك المصـري في ظل المملكـة الحديثـة (والـتي بـدأت بالأسرة الملكيـة الثامنـة عشر، 1539-1292 ق.م)، ومن الأسـرة الملكيـة الثانيـة والعشرين (945-730 ق.م تقريبـاً) أصـبحت كلقب احترامي."
“The word came to be used metonymically for the Egyptian king under the New Kingdom (starting in the 18th dynasty, 1539–1292 bce), and by the 22nd dynasty (*c.* 945–*c.* 730 bce) it had been adopted as an epithet of respect.”

ونقرأ في موسوعة التاريخ القديم (*Ancient History Encyclopedia*) تحت عنوان "Pharaoh" (على الرابط التالي: https://www.ancient.eu/pharaoh):
"إن ملوك مصر القدماء لم يُعرَفوا كفراعنة وإنما كملوك، فاللقب التقديري ‘فرعون‘ الذي أعطي للحاكم لم يظهر إلا في فترة عرفت باسم المملكة الحديثة (1570-1069 ق.م)."
“The early monarchs of Egypt were not known as pharaohs but as kings. The honorific title of `pharaoh' for a ruler did not appear until the period known as the New Kingdom (1570-1069 BCE).”

ونقلاً عن كتاب "*The Oxford History of the Biblical World*" تحرير Michael D. Coogan، ص 89-90، طبعـة جامعـة أوكسفورد (1998) تخبرنـا موسـوعة ويكيبيـديا (Wikipedia) تحت عنـوان "Pharaoh" (على الرابـط التالي: https://en.wikipedia.org/wiki/Pharaoh) بالتالي:
"خلال فترة حكم تحُتمس الثالث (حوالي 1479-1425 ق.م) في المملكة الحديثة (وبعد الحكم الأجنبي للهيكسـوس خلال الفترة الانتقالية الثانية) أصبحت [كلمة] فرعون تشكل لقب الشخص الذي كان ملكاً."
“During the reign of Thutmose III (circa 1479–1425 BCE) in the New Kingdom, after the foreign rule of the Hyksos during the Second Intermediate Period, pharaoh became the form of address for a person who was king.”

وأما الموسوعة الكاثوليكية (*Catholic Encyclopedia*) تحت عنوان "Pharao" (على الرابط التالي: http://www.newadvent.org/cathen/11788c.htm) فقد حـاولت التعذر للخطـأ في اسـتخدام كلمـة فرعـون في أيـام سيدنا إبراهيم ويوسف عليهما السلام بقولها:

"إن غياب الأسماء المناسبة في الأسفار الأولى للكتـاب المقدس لا يـدل على تـأخر تـاريخ تأليفهـا وجهـل المؤلـف بتـاريخ مصـر، وإنمـا العكس من ذلك. ونفس الشـيء صـحيح بالنسبة لاسـتخدام لقب فرعـون للملـوك قبـل الأسـرة الملكيـة الثامنـة عشر، والتي تتماشى مع الاستخدام المصري في زمن الأسرة الملكية التاسعة عشر."
“The absence of proper names in the first books of the Bible is no indication of the late date of their composition and of writer's vague knowledge of Egyptian history, rather the contrary. The same is true of the use of the title Pharao for kings earlier than the eighteenth dynasty, which is quite in keeping with Egyptian usage at the time of the nineteenth dynasty.”

إن الموسوعة الكاثوليكية تحاول الدفاع عن الاستخدام الخاطئ لأسفار التوراة الخمسة للقب فرعون حينما تم إطلاقه على ملوك مصر أيام سيدنا إبراهيم ويوسف عليه السلام اللذين عاشا قبل فترة الأسرة الثامنة عشر (لأن اللقب كما بينا سابقاً لم يطلق إلا منذ فترة الأسرة الثامنة عشر) معتبرة أنه استخدام شائع في زمن الأسرة التاسعة عشر (وهي الفترة التي عاش فيها سيدنا موسى عليه السلام)، ولكن رأي الموسوعة الكاثوليكية يمكن أخذه بعين الاعتبار لو كانت نصوص التوراة تطلق على ملوك مصر فراعنة كتلقيب من جانب مؤلفها وتماشياً مع لغته وثقافته، لكن الموضوع ليس كذلك فهذا النص مثلاً: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «أَنَا فِرْعَوْنُ." (التكوين 41 :- 44) يبيّن بأن مؤلف الأسفار الخمسة كان يظن بأن ملك مصر أيام سيدنا موسى يسمي نفسه فرعون! وبالطبع لا يمكن أن يصدر هذا الخطأ من الله وبالتالي لا يمكن أن يكون كاتب هذه الأسفار الخمسة قد كتبها بوحي من الله.

إن القرآن الكريم لم ينسخ معلوماته عن الكتاب المقدس، فالقرآن الكريم لم يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الكتاب المقدس، وإنما قام القرآن الكريم بتصحيح ذلك الخطأ حيث لقّب القرآن الكريم حاكم مصر أيام سيدنا يوسف بالملك؛ فنقرأ في القرآن الكريم:

- {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} (يوسف 43)
- {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)} (يوسف 54-56)

والسؤال هنا كيف عرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه في زمن سيدنا يوسف كان حكام مصر يسمون بالملوك ولم يتسموا بالفراعنة؟ علماً بأن الكتابات الهيروغليفية كانت مجهولة القراءة في زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يتم فك ومعرفة قراءة الكتابات الهيروغليفية إلا في عشرينيات القرن التاسع عشر الميلادي على يد جين فرانسوا شامبليون Jean-François Champollion.

المسيحي:

ربما لم يَعْلَم القرآن بلقب فرعون بتاتاً ولذلك استخدم لقب ملك؟

المسلم:

حينما ذكر القرآن نبي الله موسى عليه السلام وحاكم مصر في زمنه ذكره بلقب فرعون لأن هذا اللقب تاريخيا كان صحيحاً، لكن كما رأيت سابقاً بأن القرآن حينما ذكر نبي الله يوسف عليه السلام الذي لم يلقب الحاكم بَعدُ بفرعون وإنما بالملك لم يخطئ القرآن كما أخطأ الكتاب المقدس وإنما ميّز الفارق؛ وإليك ذكر القرآن لحاكم مصر أيام سيدنا موسى ولقبه بفرعون:

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الزخرف 46)

لو كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ينسخ معلوماته عن الكتاب المقدس لما فرق بين زمني النبيان يوسف وموسى عليهما السلام في لقب حاكم مصر، هذا التفريق القرآني بين اللقبين (واللذين يطابقا الواقع كما تم اكتشافه عبر الرموز الهيروغليفية) ليس فقط يبين لنا بأن القرآن لم يأخذ الكتاب المقدس مصدراً له، وإنما يبين بأن مصدر القرآن الكريم هو الله تعالى، العالم بحقائق الأمور.

المسيحي:

أنت ذكرت بأن الكتاب المقدس أخطأ حينما لقب حاكم مصر أيام يوسف بفرعون، فهل تزعم بأن الكتاب المقدس به أخطاء؟

المسلم:

نحن لا نؤمن بحرفية الكتاب المقدس، أقصد بأننا لا نؤمن بأن كل حرف في الكتاب المقدس هو من الله، نحن نؤمن بتوراة موسى مثلاً، ولكن نؤمن بحرفية الذي أنزل على موسى، وكان بين يديه.

المسيحي:

ما دام أنكم تؤمنون بما أنزله الله على موسى فكيف إذن تقول لي بأن ما لدينا لا تؤمن بكليته؟ فمعنا توراة موسى وكتب أنبياء إسرائيل (وهي التي تسمى بالعهد القديم)، لدينا كذلك العهد الجديد، وهو ما كتبه رسل المسيح وتلامذته.

المسلم:

لا يمكننا قبول كل ما هو مسطر في الكتاب المقدس لسببين:

أولهما: أنه مع مرور السنين والقرون تدخلت بعض أيادي النساخ لتغير ما كتبه أنبياء الله، بل وتجد تصريحاً بهذه المشكلة في نفس الكتاب المقدس: "كَيْفَ تَقُولُونَ: نَحْنُ حُكَمَاءُ وَشَرِيعَةُ الرَّبِّ مَعَنَا؟ حَقّاً إِنَّهُ إِلَى الْكَذِبِ حَوَّلَهَا قَلَمُ الْكَتَبَةِ الْكَاذِبُ." (إرميا 8 : 8)

ثانيهما: أن الكثير من أسفار الكتاب المقدس تعاني من مشكلة الجهالة بالمؤلفين، فمثلاً سفري الملوك الأول والثاني وسفري أخبار الأيام وسفر أستير وغيرها من الأسفار لا يعلم أحد من الذي ألفها، فكيف نسبت إلى الله وكُتّابها مجهولون؟ ثم حتى تلك الأسفار المنسوبة إلى بعض الأنبياء والمؤلفين اكتشف علماء اليهود والمسيحيون مع الزمن أن نسبتها مزيفة كما حصل مع أسفار موسى الخمسة حيث بدأ اعتراف واسع في الوسط المسيحي العلمي بأن موسى لم

يكتبها، وكذلك الرسالة إلى العبرانيين، وهي إحدى رسائل العهد الجديد كانت منسوبة إلى بولس، ثم اكتشفوا بأن كاتبها مجهول، ولذلك تجد في النسخ والطبعات الجديدة للكتاب المقدس لم تعد تعنون الرسالة بـ"رسالة بولس إلى العبرانيين"، وإنما "الرسالة إلى العبرانيين" هكذا بصيغة المجهول.

المسيحي:

قول النبي إرميا "إِلَى الْكَذِبِ حَوَّلَهَا قَلَمُ الْكَتَبَةِ الْكَاذِبُ" يقصد بها تحريف معاني نصوص الكتاب المقدس لا تحريف النصوص نفسها، ثم إن كون بعض مؤلفي أسفار الكتاب المقدس مجهولين لا يضر باعتبار أننا تسلمناها كوحي من الله، فلا يهمنا من هو الشخص بقدر ما يهمنا ما هو النص الموحى، ويكفي أن المسيح وتلامذته تقبلوا تلك الأسفار على أنها موحاة من الله، ثم إن الرسول بولس قال: "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ" (2 تيطس 3 : 16)

المسلم:

إن كلام النبي إرميا واضح أنه لا يتحدث عن التحريف المعنوي، وإنما التحريف الحرفي، أي تحريف النصوص نفسها، وذلك بدلالة لومه لقلم الكتبة الكاذب، أي تحريف النساخ الذين ينسخون الأسفار المقدسة.

وأما عن عدم الضرر بالجهل بالمؤلفين، فما أدراك من هم الكتبة؟ ما أدراك هل المؤلفين أنبياء أم ليسوا بأنبياء؟ فسفري صموئيل مثلاً تؤمنون بأن كاتبها النبي صموئيل، ولكن مهلاً اقرأ 1 صموئيل 25 :- 1 وهو نص عجيب يصرح بموت صموئيل نفسه: "وَمَاتَ صَمُوئِيلُ فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَنَدَبُوهُ وَدَفَنُوهُ فِي بَيْتِهِ فِي الرَّامَةِ."

ففي هذا النص يصرّح بموت صموئيل ثم بقية نصوص صموئيل الأول ومعها جميع نصوص صموئيل الثاني كلها تتحدث عن الأحداث التي حدثت بعد وفاة صموئيل! إذن لقد اعتبر اليهود والمسيحيون بأن سفري صموئيل كلاهما موحى بهما من الله باعتبار أن صموئيل النبي هو من كتبهما، ولكن بعد إدراكنا بأن صموئيل النبي لم يكتبهما فما الذي يضمن لنا بأن من كتبهما نبي؟ إن وحي الله بالنسبة إلينا ليس بالشيء الرخيص حتى نقبل أي كلام وننسبه إلى الله، وإنما يجب حتى يكون أي كلام هو وحي من الله أن نتحقق من نسبة الكلام إلى نبي من أنبياء الله.

تعال مثلاً لنتحقق من مشكلة الجهل بمؤلفي الأسفار، فسفري صموئيل الأول والثاني وسفري الملوك الأول والثاني كلها مجهولة التأليف وبينها وبين بعضها تناقضات كثيرة فكيف يمكن أن ننسب مثل هذه الأسفار إلى الأنبياء ونحن لا نعلم من هم مؤلفوها؟ وبالإضافة إلى الجهل بالمؤلفين نجد بتلك الأسفار مجهولة التأليف تناقضات لا يمكن أن تصدر عن الله؛ وإليك جدولاً يبين بعض تناقضات سفري صموئيل مع سفر أخبار الأيام الأول:

سفري صموئيل	سفر أخبار الأيام الأول
ألف وسبعمائة فارس: "3 وَضَرَبَ دَاوُدُ هَدَدَ عَزَرَ بْنَ رَحُوبَ مَلِكَ	سبعة آلاف فارس: "3 وَضَرَبَ دَاوُدُ هَدَدَ عَزَرَ مَلِكَ صُوبَةَ فِي حَمَاةَ

صُوبَةَ حِينَ ذَهَبَ لِيَرُدَّ سُلْطَتَهُ عِنْدَ نَهْرِ الْفُرَاتِ. 4 فَأَخَذَ دَاوُدُ مِنْهُ أَلْفاً وَسَبْعَ مِئَةِ فَارِسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ. وَعَرْقَبَ دَاوُدُ جَمِيعَ خَيْلِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَبْقَى مِنْهَا مِئَةَ مَرْكَبَةٍ." (2 صموئيل 8 : 3-4)	حِينَ ذَهَبَ لِيُقِيمَ سُلْطَتَهُ عِنْدَ نَهْرِ الْفُرَاتِ , 4 وَأَخَذَ دَاوُدُ مِنْهُ أَلْفَ مَرْكَبَةٍ وَسَبْعَةَ آلاَفِ فَارِسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ, وَعَرْقَبَ دَاوُدُ كُلَّ خَيْلِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَبْقَى مِنْهَا مِئَةَ مَرْكَبَةٍ. (1 أخبار الأيام الأول 18 : 3-4)
سبعمائة مركبة وأربعين ألف فارس (أي راكبين على فرس): "وَهَرَبَ أَرَامُ مِنْ أَمَامِ إِسْرَائِيلَ، وَقَتَلَ دَاوُدُ مِنْ أَرَامَ سَبْعَ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَضَرَبَ شُوبَكَ رَئِيسَ جَيْشِهِ فَمَاتَ هُنَاكَ." (2 صموئيل 10 : 18)	سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف راجل (أي مشاة): "وَهَرَبَ أَرَامُ مِنْ أَمَامِ إِسْرَائِيلَ, وَقَتَلَ دَاوُدُ مِنْ أَرَامَ سَبْعَةَ آلاَفِ مَرْكَبَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ, وَقَتَلَ شُوبَكَ رَئِيسَ الْجَيْشِ." (1 أخبار الأيام 19 : 18)
يسّى له ثمانية أولاد أصغرهم النبي داود: "10 وَعَبَّرَ يَسَّى بَنِيهِ السَّبْعَةَ أَمَامَ صَمُوئِيلَ, فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِيَسَّى: «الرَّبُّ لَمْ يَخْتَرْ هؤُلاَءِ». 11 وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِيَسَّى: «هَلْ كَمُلَ الْغِلْمَانُ؟» فَقَالَ: «بَقِيَ بَعْدُ الصَّغِيرُ [داود] وَهُوَذَا يَرْعَى الْغَنَمَ»." (1 صموئيل 16 : 10-11)	يسّى له سبعة أولاد أصغرهم داود: "13 وَيَسَّى وَلَدَ: بِكْرَهُ أَلِيآبَ وَأَبِينَادَابَ الثَّانِي وَشَمْعَى الثَّالِثَ 14 وَنَثْنِئِيلَ الرَّابِعَ وَرَدَّايَ الْخَامِسَ 15 وَأُوصَمَ السَّادِسَ وَدَاوُدَ السَّابِعَ." (1 أخبار الأيام 2 : 13-15)
مدة التجويع التي توعد الله بها داود لبني إسرائيل هي سبعة سنين: "فَأَتَى جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «أَتَأْتِي عَلَيْكَ سَبْعُ سِنِي جُوعٍ فِي أَرْضِكَ، أَمْ تَهْرُبُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ أَمَامَ أَعْدَائِكَ وَهُمْ يَتْبَعُونَكَ، أَمْ يَكُونُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَبَأٌ فِي أَرْضِكَ؟ فَالآنَ اعْرِفْ وَانْظُرْ مَاذَا أَرُدُّ جَوَاباً عَلَى مُرْسِلِي»." (2 صموئيل 24 : 13)	مدة التجويع التي توعد الله بها داود لبني إسرائيل هي ثلاثة سنين: "11 فَجَاءَ جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْبَلْ لِنَفْسِكَ 12 إِمَّا ثَلاَثَ سِنِينَ جُوعٌ, أَوْ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ هَلاَكٌ أَمَامَ مُضَايِقِيكَ وَسَيْفُ أَعْدَائِكَ يُدْرِكُكَ, أَوْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَكُونُ فِيهَا سَيْفُ الرَّبِّ وَوَبَأٌ فِي الأَرْضِ, وَمَلاَكُ الرَّبِّ يَعْثُو فِي كُلِّ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ. فَانْظُرِ الآنَ مَاذَا أَرُدُّ جَوَاباً لِمُرْسِلِي». (1 أخبار الأيام 21 : 11-12)
ابن صموئيل البكر (أي الكبير) اسمه يوئيل: "1 وَكَانَ لَمَّا شَاخَ صَمُوئِيلُ أَنَّهُ جَعَلَ بَنِيهِ قُضَاةً لإِسْرَائِيلَ. 2 وَكَانَ اسْمُ ابْنِهِ الْبِكْرِ يُوئِيلَ, وَاسْمُ ثَانِيهِ أَبِيَّا. كَانَا قَاضِيَيْنِ فِي بِئْرِ سَبْعٍ. (1 صموئيل 8 : 1-2)	ابن صموئيل البكر اسمه وشني: "وَابْنَا صَمُوئِيلَ: الْبِكْرُ وَشْنِي ثُمَّ أَبِيَّا." (1 أخبار الأيام 6 : 28)
جد الملك شاول هو أبنيئيل: "وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بِنْيَامِينَ اسْمُهُ قَيْسُ بْنُ أَبِيئِيلَ بْنِ صَرُورَ بْنِ بَكُورَةَ بْنِ أَفِيحَ, ابْنُ رَجُلٍ بِنْيَامِينِيّ	جد الملك شاول هو نير: "وَنِيرُ وَلَدَ قَيْسَ, وَقَيْسُ وَلَدَ شَاوُلَ." (1 أخبار الأيام 8 : 33)

جَبَّارَ بَأْسٍ." (1 صموئيل 9 : 1)	
أم سليمان اسمها بثشبع بنت أليعام: "فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟»" (2 صموئيل 11 : 13) "وَعَزَّى دَاوُدُ بَثْشَبَعَ امْرَأَتَهُ وَدَخَلَ إِلَيْهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا فَوَلَدَتِ ابْناً، فَدَعَا اسْمَهُ سُلَيْمَانَ، وَالرَّبُّ أَحَبَّهُ." (2 صموئيل 12 : 24)	أم سليمان اسمها بثشوع بنت عميئيل: "وَهؤُلاَءِ وُلِدُوا لَهُ فِي أُورُشَلِيمَ. شَمْعَى وَشُوبَابُ وَنَاثَانُ وَسُلَيْمَانُ. أَرْبَعَةٌ مِنْ بَثْشُوعَ بِنْتِ عَمِّيئِيلَ." (1 أخبار الأيام 3 : 5)
يثرا إسرائيلي (أي من بني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم): "وَأَقَامَ أَبْشَالُومُ عَمَاسَا بَدَلَ يُوآبَ عَلَى الْجَيْشِ. وَكَانَ عَمَاسَا ابْنَ رَجُلٍ اسْمُهُ يِثْرَا الإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي دَخَلَ إِلَى أَبِيجَايِلَ بِنْتِ نَاحَاشَ أُخْتِ صَرُويَةَ أُمِّ يُوآبَ." (2 صموئيل 17 : 25)	يثرا إسماعيلي (أي من بني إسماعيل بن إبراهيم): "وَأَبِيجَايِلُ وَلَدَتْ عَمَاسَا, وَأَبُو عَمَاسَا يَثْرُ الإِسْمَاعِيلِيُّ." (1 أخبار الأيام 2 : 17)

وأما عن كلام بولس، فليس قبول بولس بأن "كل الكتاب موحى به من الله" يدل على أنه فعلاً كل شيء بها موحى به من الله، وذلك لأن بولس أحياناً يضع رأيه الشخصي ولا يتحدث بوحي من الله؛ كما صرّح بنفسه حول إحدى المسائل:

"25 وَأَمَّا الْعَذَارَى فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ وَلَكِنَّنِي أُعْطِي رَأْياً كَمَنْ رَحِمَهُ الرَّبُّ أَنْ يَكُونَ أَمِيناً. 26 فَأَظُنُّ أَنَّ هَذَا حَسَنٌ لِسَبَبِ الضِّيقِ الْحَاضِرِ. أَنَّهُ حَسَنٌ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا" (1 كورنثوس 7 : 25-26)

فلاحظ بأن بولس قد صرّح بأنه ليس عنده أمر من الرب، فإن كان يكتب بإلهام من الله كما يؤمن به المسيحيون فلن يقول بأنه ليس لديه أمر من الرب، ثم انظر إلى قوله "فأظن" وهي عبارة عن ظن وعدم تأكد، أي أنه رأي مظنون وليس وحي من الله بخبر مؤكد.

وأما عن شهادة المسيح فكلام المسيح نفسه قد تعرض للتحريف فكيف بكلام من سبقوه؟

المسيحي:

كلام المسيح لا يمكن تحريفه، فقد قال هو بنفسه: "اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلَكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ." (متى 24 : 35)

المسلم:

إن قول المسيح بأن كلامه لا يزول لا يقصد بأن كلامه لن يحرف في الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) فهذه الأناجيل الأربعة كتبت بعد زمنه، وإنما يقصد بأن كلامه لن يزول أي أن ما وعد به سوف يحدث، وهو مثل الكلام العامي: "كلامي لن ينزل الأرض"، وعن أي وعد يقصد المسيح هنا؟ إن النص الذي يسبق هذا الكلام مباشرة يقول المسيح فيه: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ." (متى 24 :- 34) وهو يتحدث عن مجيئه الثاني والتي سبقها بأربع نصوص بقوله: "وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ." (متى 24 : 30)
أي أن المسيح يقول هنا بأنه سيأتي قريباً، وأن مجيئه هذا سيكون قبل أن ينتهي هذا الجيل (جيل تلامذته)، وأن وعده بهذا المجيء القريب جداً لن يزول بل سيحدث، ولكن للأسف لم يأت المسيح لا في جيل التلامذة، ولا بعدهم بقرون إلى جيلنا هذا في القرن الواحد والعشرين، واقرأ وعداً آخر إن شئت (وهو مذكور في إنجيل متى أيضاً)، وهو قول المسيح:

"27 فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. 28 اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْماً لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي مَلَكُوتِهِ." (متى 16 : 27-28)
فهو يصرح هنا بأن من تلامذته من سيكونون في حياتهم مجيء المسيح الثاني! وهذا بلا شك كلام باطل ولا يمكن أن يصدر عن المسيح.

إن هذا الوعد المنسوب إلى المسيح لهو دلالة واضحة على أن هناك تحريفاً وتزويراً حاصلاً على كلام المسيح، ودعني أعطيك مثالاً آخر على كيفية أن الأهواء قد تتدخل لتغير كلام المسيح بما يناسبها.

المسيحي:

هات!

المسلم:

كما أن نفس النص الذي يصرح المسيح فيه بأن كلامه لا يزول قد رأينا بأن النص الذي يسبقه مباشرة لا يمكن أن يصدر عن المسيح (لأنه وعد لم يحصل) فإن النص الذي يلي تصريحه بكلامه الذي لا يزول نجد فيه مشكلة تحريفية؛ حيث يقول المسيح:

"وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ." (متى 24 : 36)

هذا النص كما ترى بأن المسيح يتحدث عن يوم القيامة، متى سيأتي ذلك اليوم لا أحد يعلم بذلك ولا حتى الملائكة إلا واحد فقط هو من يعلم بها وهو الآب، بالطبع فهو الذي حددها، ولكن السؤال المطروح هنا هو هل المسيح يعلم بوقت

يوم القيامة أم لا؟ النص لم يوضح، وبالطبع المسيحيون الذين يؤمنون بالتثليث سيقولون بأنه من دون شك يعلم لأن المسيح والآب يشكلان معاً إلهاً واحداً.

ولكن الصدمة والمفاجأة هي أن ما قرأناه هنا إنما هو طبقاً لنسخة الفاندايك العربية للكتاب المقدس (والتي يوافقها نسخة كتاب الحياة)، وأما النسخ والتراجم العربية الأخرى للكتاب المقدس فإن النص سنقرأه هكذا (ولاحظ الكلمة المضافة التي تحتها خط):

- الترجمة العربية المشتركة: "أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد، لا ملائكة السماوات ولا الابن، إلا الآب وحده."
- الترجمة اليسوعية: "فأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فما من أحد يعلمها، لا ملائكة السموات ولا الابن إلا الآب وحده."
- الترجمة البولسية: "أما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلمهما أحد، ولا ملائكة السماوات، ولا الابن، إلا الآب وحده."
- نسخة الإنجيل الشريف: "لا أحد يعرف متى يحين ذلك اليوم وتلك الساعة، لا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إنما الأب وحده هو الذي يعرف."

ما الذي تفهمه من الذي حدث؟ هذه الأربعة نسخ وتراجم الكتاب المقدس بالعربية إنما أضافت عبارة "ولا الابن" أي أن يوم القيامة لا يعلم بها المسيح نفسه، بينما قامت نسختي الفاندايك والحياة بحذف هذه العبارة التي تبين عدم معرفة المسيح بيوم القيامة وبالتالي تثبت بأنه لم يكن إلهاً.

المسيحي:

ولكن هذه تحريفات التراجم العربية، وهي لا تمس الأصل اليوناني للعهد الجديد.

المسلم:

إن هذا التحريف بحذف عبارة "ولا الابن" إنما وقع في المخطوطات اليونانية للعهد الجديد، فالمخطوطات اليونانية للعهد الجديد الأقدم (كالمخطوطة السينائية والمخطوطة الفاتيكانية وكلاهما قد تم كتابتهما في القرن الرابع الميلادي) بها عبارة "ولا الابن" (أو "ουδε ο υιος" في اليونانية والتي تقرأ "أودي هو هويوس") بينما قامت مخطوطات يونانية لاحقة بحذف هذه العبارة، والسبب واضح وهو أن بعض النساخ خاف من استخدام هذا النص ليهدم ألوهية المسيح، فما كان من هؤلاء النساخ إلا حذف العبارة الطاعنة في عقيدتهم.

إن هذا المثال يبين لك كيف أن هناك أياد قد تتدخل لتغير كلام المسيح ليوافق أهواءها.

وبالطبع ليس هذا النص هو الموضع الوحيد للتحريف، وإنما هناك الآلاف من نصوص الكتاب المقدس تم تحريفها على يد بعض النساخ، ومنها ما هو بقصد ومنها ما هو بغير قصد.

فمنذ ثلاثة قرون والعلماء المختصون بعلوم المخطوطات وهم ينقبون ويبحثون ويدرسون مخطوطات الكتاب المقدس، وقد اكتشفوا وجود اختلافات بين المخطوطات اليونانية للعهد الجديد.

ولربما يتساءل بعضنا كم عدد تلك الاختلافات الموجودة بين صفحات العهد الجديد؟ الدراسات القديمة تقدر تلك الاختلافات بين 150,000 و 200,000 بينما تؤكد الدراسات الجديدة بأنها وصلت قريباً من 400,000 اختلاف! فالموسوعة الكاثوليكية (*Catholic Encyclopedia*) تصرح بأن التحريفات وصلت إلى أكثر من 150,000 اختلاف ، حيث نقرأ في نفس الموسوعة تحت عنوان "العهد الجديد" (New Testament):

"ليس هناك سفر [من أسفار العهد الجديد] وصل إلينا من العهود القديمة مثلما تركته يد كاتبها . . . فهناك أكثر من 150,000 قراءة مختلفة اكتشفت في المخطوطات القديمة لنصوص العهد الجديد."
"No book of ancient times has come down to us exactly as it left the hands of its author--all have been in some way altered. . . More than 150,000 different readings have been found in the older witnesses to the text of the New Testament." (http://www.newadvent.org/cathen/14530a.htm#IV)

هذا كان في السابق بينما يشير عالم الكتاب المقدس البروتستانتي الشهير دانيال والاس إلى أنها بلغت اليوم (مع اكتشافات مخطوطات جديدة وتكثيف الدراسات أكثر) 400,000 اختلاف! حيث يقول في مقالة له بعنوان "عدد الاختلافات النصية":

"لا يوجد [في مخطوطات العهد الجديد] 200,000 اختلاف فقط، فهذا التقدير كان دقيقاً في عام 1963 حينما كنا نعرف مخطوطات أقل بكثير [من الآن]، فمع الجهود التي بُذلت على إنجيل لوقا على يد مشروع العهد الجديد اليوناني العالمي، ودراسة [العالم] تومي واسرمان على [رسالة] يهوذا، و[العالم] مونستر على [رسالة] يعقوب ورسالتي بطرس الأولى والثانية فإن التقدير اليوم أصبح قريباً من 400,000"
"Further, there aren't only 200,000. That may have been an accurate estimate in 1963, when we knew of far fewer manuscripts. But with the work done on Luke's Gospel by the International Greek New Testament Project, Tommy Wasserman's work on Jude, and Muenster's work on James and 1-2 Peter, the estimates today are closer to 400,000." (Daniel B. Wallace, "The Number of Textual Variants: An Evangelical Miscalculation."
(www.bible.org/article/number-textual-variants-evangelical-miscalculation)

وعلى العموم أشكرك على حسن استماعك، وعلى الحوار الراقي، وتذكر دائماً بأن الحياة قصيرة وكأناس نحب الله فإننا نحتاج إلى الصدق مع أنفسنا واتباع الحق أينما كان.

المسيحي:

أشكرك أنا أيضاً على ذلك.

الخاتمة

كما هو واضح من هذا الكتاب هو أن غالبية ما يعترضه المسيحيون علينا إنما هو مسطر في كتبهم المقدسة وهم لا يدرون.

فسيدنا إسماعيل الذي يشتمونه فيقطعون بذلك النبوة والعظمة في نسله إنما تم مدحه في الكتاب المقدس مع البشارة بأنه سيكون نسله أمة عظيمة، وقد بشرت نصوص أخرى بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم بذكر أهم الأحداث التي تجري في حياته كغزوة بدر والهجرة إلى المدينة وما إلى ذلك، كما أن مكة المكرمة تم ذكرها في كتبهم المقدسة باسم بكة، وأنها مقصد الحجيج، وأن الكعبة ليست من الوثنية من شيء لأن المسلمين لا يعبدونها بل إنها تقريبا نفس تابوت العهد بالنسبة لبني إسرائيل.

كما علم المسيح التوحيد ولم يدع إلى التثليث أبداً والتي تخالف تعاليم الأنبياء السابقين والمنطق السليم، كما لا يوجد ولا نص واحد يقول فيه المسيح بأنه هو الله، بل هناك نصوصا تبين بأنه ليس بإله بل نبيا مختارا من الله، وأن الإسلام ليس دينا جديدا مبتدعا بل هو دين الأنبياء، وأن دين المسيح ليس هو المسيحية بل الإسلام.

وبالنسبة لبعض الأسئلة مثل وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن؟ وهل الله يوصف بالمكر؟ وهل الله يضل الناس؟ وهل يوصف الله بالجبار والمنتقم؟ فإنها كلها مذكورة في كتبهم المقدسة، كما تصرح كتبهم بأن قيامة الأموات يوم القيامة ستكون قيامة أجساد وأرواح مثل ما يعلمه الإسلام.

كما أننا نشترك في المنطقة (الشرق الأوسط) وبالتالي نشترك أيضا في الثقافة، فحجاب المرأة الذي رمز العفة واجب في كلا الدينين بل كتبهم المقدسة أشد بأن أمرت من لا تتحجب أن يُقص شعرها، وكما أن الإسلام يبيح التعدد للرجل فكذلك كتبهم المقدسة تبيح التعدد، وبدلا من ميراث المرأة الذي هو نصف ما للرجل فإن الكتاب المقدس يمنع المرأة من الميراث تماما في حالة وجود إخوة ذكور.

وبالطبع كما حرم الإسلام أكل الخنزير وشرب الخمر حرمته كتبهم (بالنسبة للخمر حرمت السكر به فقط)، وعلى عكس الإسلام دين النظافة فإن المسيحية تعلم عدم غسل الأيدي قبل أكل الطعام بل تعتبر غسل الأيدي والنظافة من العادات المقيتة!

يعلم الدينان العفو والصفح عن المعتدين في حق النفس، وفي نفس الوقت محاكمة المذنبين في حق القضاء، ولم يلغ العهد الجديد شرائع العهد القديم، وإنما أضاف عليها أوامر أخرى أشد، وليست المسيحية كما يصورها بعضهم بأنها كلها محبة لجميع الناس وحسن تعامل مع الكل، وإنما خصصت حسن التعامل فقط مع المسيحيين، وأما غيرهم فلا سلام ولا استقبال ولا ترحيب بهم.

وقد كانت شخصيتا المسيح ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم شخصية متواضعة رحيمة طيبة النفس، ولكن حينما يعتدى على المظلومين فإن النبي الملكي عليه أن يدافع عنهم ويحارب المعتدين، ولربما من أعجب ما في الكتاب المقدس هو أن المسيح لم تذكر له ابتسامة واحدة بل سجلت عنه أكثر الصفات السلبية من غضب وحزن، ومع شدة تكرار المسيحيين من حديثهم عن رحمة المسيح لا نجد نصاً يهتم فيه المسيح بالحيوان على عكس ما دونته كتبنا من أحداث كثيرة تبين وصاية نبينا صلى الله عليه وسلم بالحيوانات واهتمامه بها، كما أن الجزية مذكورة في كتبهم المقدسة قد أخذها الأنبياء بل كما يوصي بولس بأن دفع المسيحيين الجزية للحاكم غير المسيحي من الواجبات وليست من الظلم بشيء.

وأما تعدد النبي صلى الله عليه وسلم في زواجه إنما هو سنة الأنبياء، وكذلك الزواج المبكر لم ينه عنه الكتاب المقدس بل أباحه، ومن أعجب الاتهامات هي زعمهم اقتباس النبي صلى عليه وسلم من كتبهم المقدسة، ولكن الدلائل تشير إلى أنه ليس كذلك، فعلى سبيل المثال تسمية القرآن للقب حاكم مصر أيام سيدنا يوسف بالملك بينما أخطأت كتبهم المقدسة بتسمية حاكم مصر أيام سيدنا يوسف (بل وسيدنا إبراهيم) بفرعون، لأن لقب فرعون تاريخيا لم يُتخذ إلا بعد زمن سيدنا يوسف عليه السلام، هذا الخطأ وغيره من الأخطاء والتناقضات والتحريفات الموجودة في الكتاب المقدس تجعلنا نحن المسلمين في حذر شديد من نظرتنا نحو الكتاب المقدس.

أرجوا من الله أن أكون وفقت في توضيح تلك النقاط، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم